BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI

MEBÂHİS MİNE'L-KAZA VE'L-KADER Fİ'L-KEVSERİ'L-CÂRÎ İLÂ RİYÂDİ AHÂDÎSİ'L-BUHARÎ

Hazırlayan
MOHAMMED SEDEEQ MOHAMMED

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danişman
Yrd .Doç. Dr. ABDULNASIR SÜT

BİNGÖL 2017

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
KELAM BİLİM DALI

MEBÂHİS MİNE'L - KAZA VE'L - KADER Fİ'L-KEVSERİ'L- CÂRÎ İLÂ RİYÂDİ AHADİSİ'L-BUHARÎ

Hazırlayan
MOHAMMED SEDEEQ MOHAMMED

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman
Yrd. Doç. Dr. ABDULNASIR SÜT

BİNGÖL2017

الجمهورية التركية
جامعة بنغول
معهد العلوم الاجتماعية
قسم /علم الكلام

مباحث من القضاء والقدر في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري
(دراسة عَقدية مقارنة)

إعداد الطالب
محمد صديق محمد
(رسالة ماجستير)

بإشراف
الدكتور: عبد الناصر سوت

بنغول / ٢٠١٧

الجمهورية التركية

جامعة بنغول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم/ علم الكلام

مباحث من القضاء والقدر في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري

(دراسة عقدية مقارنة)

إعداد الطالب

محمد صديق محمد

رسالة ماجستير

بإشراف

الدكتور: عبد الناصر سوت

هذه الرسالة نالت درجة (ماجستير) من قبل جامعة بنغول معهد العلوم الاجتماعية قسم، علم الكلام برقم .....

بنغول/٢٠١٧

المحتويات

مقدمة..... V

ABSTRACT..... IX

ملخص البحث..... X

الاختصارات..... XI

التمهيد ١

الفصل الأول..... ١٢

حياة الإمام شهاب الدين الگوراني (رحمه الله) ١٢

١: حياة الگوراني الشخصية..... ١٢
٢: حياة الگوراني العلمية..... ١٣
٣: عصر الگوراني..... ١٥

الفصل الثاني..... ١٧

مذاهب العلماء في القضاء والقدر..... ١٧

١: القضاء والقدر لغة واصطلاحا..... ١٧
٢: آراء المتكلمين في معاني القضاء والقدر ٢٥
٢.١:القدريّة فرق وأصناف ٢٦
٢.٢:الجبرية..... ٣٢
٢.٣:المعتزلة..... ٣٦
٢.٤:السلف وأهل الحديث في معاني القضاء والقدر ٣٨
٣: الآيات الواردة في القضاء والقدر..... ٤٠
٤: رأي الگوراني في معاني القضاء والقدر..... ٤٧

الفصل الثالث..... ٥٠

أعمال العباد عند المتكلمين..... ٥٠

١: رأي المتكلمين في أعمال العباد..... ٥٠

١.١: أعمال العباد عند المعتزلة..... ٥٠
١.٢: أعمال العباد عند الماتريدية..... ٥٠
١.٣: أعمال العباد عند الاشاعرة..... ٥٢
٢: أعمال العباد عند السلف..... ٥٣
٣: رأي الگوراني في اعمال العباد..... ٥٨

الفصل الرابع..... ٦٣

منهج الگوراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، والكون والأجل، والأنبياء ٦٣

١: منهج الگوراني وآراؤه في شرح الاحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات ٦٣
١.١:العبادة ٦٤
١.٢:الدعاء ٦٧
٢: منهج الگوراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالكون والأجل ٧٠
٢.١: الكـــــون ٧١
٢.٢: الأجل ٧٢
٢.٣: العطاء ٧٩
٢.٤: الخلق ٨٧
٢.٥: السعادة والشقاوة ٩٠
٢.٦:الأعمال بالخواتيم ٩٦
٢.٧: العدل ٩٨
٢.٨:حكم من مات من أولاد المشركين وهو صغير ١٠٤
٢.٩:معرفة الله تعالى بصفاته ١٠٦
٢.١٠: الفطرة ١٠٩
٣: منهج الگوراني وآراؤه في شرح الاحاديث المتعلقة بالأنبياء في القضاء والقدر ١١٩
١.١:فهم السلف لأحاديث الجبر ١٢٣
١.٢:موقف الجبرية من حديث محاجة آدم وموسى (عليهما السلام) ١٢٤
١.٣:موقف المعتزلة من حديث محاجة آدم وموسى (عليهما السلام) ١٢٥
١.٤:موقف المعتزلة لحديث الفطرة الذي يعد من أحاديث الاختيار ١٢٧
١.٥:أفعال العباد الجانب الجبري والجانب الاختياري ١٢٨
١.٦:موقف الجبرية والمعتزلة فمخالف لآيات المتعلقة بأفعال العباد ١٣٣

الخاتمة ١٤٢

التوصيات ١٤٣

المصادر والمراجع ١٤٤

السيرة الذاتية ١٦٣

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım "Mebâhis Mine'l-Kaza Ve'l-Kader Fi'l- Kevseri'l-Cârî Ilâ Riyâdi Ahâdîsi'l-Buharî" adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim**.**

\ \2017

İmza

Mohammed Sedeeq MOHAMMED

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Mohammed Seddeq Mohammed tarafından hazırlanan "Mebâhis Mine'l-Kaza Ve'l-Kader Fi'l- Kevseri'l-Cârî Ilâ Riyâdi Ahâdîsi'l-Buharî" Karşılaştırmalı Akidevî Bir Araştırma- başlıklı bu çalışma, …./…/…../ tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda [oybirliği/oy çokluğuyla] başarılı bulunarak jürimiz tarafından Temel İslam Bilimler Kelam Bilim Dalı Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ

Başkan : …….. İmza:

Danışman: …… İmza:

Üye : …… İmza:

ONAY

Bu Tez, Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun ...../..../ 201.. tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Unvanı Adı Soyadı
Enstitü Müdürü

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

هذه الدّراسة في أمر يهم جميع المسلمين ألا وهو قضاء الله وقدره في كتاب {الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري} للگوراني، ولولا أن التساؤلات قد كثرت، والأمر اشتبه على كثير من الناس، وكثرة من خاض في الموضوع بالحق تارة، وبالباطل تارات، ونظراً إلى أن الأهواء انتشرت وكثرت، وصار الفاسق يريد أن يبرر لفسقه بالقضاء والقدر، هذا وغيره ما كنا نخوض في هذا الأمر المهم، ومع أن موضوع القضاء والقدر عقيدة إيمانية، وتعدّ العقائد الإيمانيـة، أساساً لتصرفات المؤمنين، وأساس تعاملهم فيما بينهم، ومع أنهم من عباد الله- تعالى- وأن موضوع القضاء والقدر يشكّل في حقيقته جزءًا من موضوع وجود الله- تعالى- ذاته، على اعتبار أنه يختص بدستور المشيئة الإلهية، ويدور حول علاقة الله بمخلوقه، فمن يؤمن بالله- عزّ وجلّ- إيماناً صحيحاً وحقيقياً، يتوجب عليه أن يعتقد في الوقت ذاته، أن هذا الإله يتصف بأكثر من صفة أو بصفات كثيرة، ومن جملتها كونه (قديراً) ومعناه أنه- سبحانه- قادر على كل شيء، ومتمكّن من كل شيء، ومهيمن على كل شيء، وهو كذلك بإرادته، وقد خلق كلّ شيء فقدره تقديراً، ثم إن الله (مالكاً) ومعناه هو المتصرف بكلّ شيء وَفق ما قضى وقدر، وعقيدة القضاء والقدر الإيمانية تعد جزءًا من الإيمان بالذات الإلهية وصفاتها، وليست هي بإيمان مستقل عن هذا الإيمان، لأنه يختص بصفتي الله (القدير- والمالك) بشكل خاص من حيث الأصل، وأن هذه العقيدة تشكل ظاهرة شبه مستقلة من حيث كون القضاء والقدر يمثل جانب علاقة الله بمخلوقه، فمن هذه الجهة اكتسب موضوع القضاء والقدر أهميته التي من كونه جزءًا من عقيدة الإيمان بالله- عزّ وجلّ- ذاته، وعلى هذه الصورة، تعد عقيدة القضاء والقدر، أو علاقة الله بمخلوقاته، لا تقلّ شأناً وأهمية عن عقيدة وجود الذات الإلهية نفسها، لأن هذه العقيدة تدور حول مشيئة هذه الذات وتجلياتها، وعقيدة القضاء والقدر من الحساسية بمكان، لأن موضوع القضاء والقدر ما زال النزاع فيه بين الأمة بعد عصر الصحابة إلى حد الآن، فمهما تقدم الإنسان في مجال العلم الديني والدنيوي، فلا يقدر على الإحاطة بجوانب هذه العقيدة إحاطة كاملة، لذلك رأينا رسول الله- ﷺ- قد حذّرنا من التنازع والانشقاق والاختلاف في موضوع القضاء والقدر؛ ونخلص من ذلك

كلّه إلى أن قضاء الله يعني حكمه وفصله وإمضاءه فيما قدره من أمور وأشياء، وكان حكمه وقضاؤه هذا محكماً إحكاماً تاماً وقاطعاً وملزماً، لكون الله- تعالى- مالكاً لكلّ شيءٍ خلقه وقدره، ثم الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان بالله- تعالى- على الوجه الصحيح، وهما الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه؛ وما يترتب على هذه المعرفة من يقين صادق بالله- عزّ وجلّ- وبما يجب له من صفات الجلال والكمال، وذلك لأن القضاء والقدر فيهما من التساؤلات والاستفهامات الكثيرة لمن أطلق لعقله المحدود العنان فيهما، وقد كثر الاختلاف حول القضاء والقدر، وتوسع الناس في الجدل والتأويل لآيات القرآن الكريم الواردة بذكرهما، بل وأصبح أعداء الإسلام في كل زمن يثيرون الارتباك والتشويش والفوضى في عقيدة المسلمين في مسألة القضاء والقدر، ويدسون سمّهم حولهما، ومن ثم أصبح لا يثبت على الإيمان الصادق واليقين الصافي إلا من تعرف على الله- تعالى- بأسمائه وصفاته، ثم بعد ذلك يسلم أمره إلى الله في جميع الأمور، ويطمئن بنفسه، واثقاً بربه؛ فلا تجد الشكوك والشبهات إلى نفسه سبيلاً، وهذا ولا شك أكبر دليل على أهمية الإيمان بهما من بين بقية الأركان الأخرى، وأن الإنسان لا يمكنه الاستقلال بمعرفة القضاء والقدر، لأن القضاء والقدر سرّ من سر الله- تعالى- في خلقه، هذا ما كشفه الله لنا في كتابه أو على لسان رسوله- ﷺ- إلا أدركناهما بحواسنا وعلّمناهما وصدّقناهما وآمنا بهما، وما سكت عنهما- ربنا- آمنا به وبعدله التام وحكمته البالغة، وأنه- سبحانه- لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأوجه الإهداء باسم- الخالق- الذي أضاء الكون بنوره البهي وحده أعبد وله وحده أسجد خاشعاً شاكراً لنعمته وفضله علي في اتمام هذا الجهد إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمّة المنير وشفيعها النذير البشير محمد- ﷺ- فخراً واعتزازاً،

وإلـــى الحبّ كل الحب إلى أمي وأبي وأهلي وإخوتي الكرام وأختي الكريمة وإلـــى كافّة الأهل والأصدقاء.

إلـــى حبيبة عمري زوجتي الغالية - وإلى ابنتي الحبيبتين....تسنيم - و- سايه..

إلـــى من مهدوا الطريق أمامي وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل.

وأتقدم بعظيم الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور(عبدالناصر سوت) الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، وقدم لي النصح والإرشاد والتوجيه لإعداد هذه الرسالة، وهذا أقل من الواجب لو نقدر أن نعبر بالأقلام عما بداخل قلوبنا لكتبنا أكثر، فقط أقول فجزاه الله عنّا كل خير فله منّا كلّ التقدير والاحترام.

والشكر موصول إلى جامعتي المباركة جامعة بنغول ....
وإلى كل من باعوا أنفسهم للدفاع عن الدين والوطن.....
ثم أتقدم بالشكر لجميع أعضاء اللجنة، وأشكر كل من تعلّمت منه، ومن عمل معي وساعدني، و من وجّهني وساندني.

ÖZET

Bu tez, kaza ve kadere ilişkin konuların bilinmesini hedeflemektedir. Çünkü bu konunun müminin akidesi üzerinde büyük bir etkisi vardır. Ayrıca bu iki esasa iman, geçmiş büyük İslam âlimlerin zihinlerini olabildiğince meşgul etmiştir. Bu konu, ihtilafa neden olduğu gibi bazı grupların sapıklığına da neden olmuştur. Bu nedenle konuya ilişkin, Ehl-i Sünnet ve Selef kelamcılarının görüşlerine yer verdikten sonra Gürani'nin görüşlerine yer verdik.

Daha sonra ilmî konumu, sünnet ve Ehl-i sünnette yaptığı hizmetler nedeniyle Gürani'nin konuya ilişkin görüşlerini diğer mezheplerin görüşleriyle karşılaştırdık. Bir Müslüman âlim ve Buhari'nin şarihi olarak Gürani, Ehl-i Sünnet mezhebine önemli hizmetler yapmıştır. Bu nedenle kaza ve kadere ilişkin tezin başlığını onun "el-Kevserü'l-cârî ilâ riyâdi ehadîsi'l-Buhârî" kitabından aldık. Söz konusu kitap, dünyanın farklı yerlerinde Ehl-i Sünnet, İslam ve Müslümanlara hizmet yapmıştır. Kaza ve kadere ilişkin hadislerin şerhine bakıldığında onun kaza ve kaderi Yüce Allah'ın iradesine teslim olmayı, kaderin derinliklerine dalınmamayı, ona ilişkin soruları sorulmamayı ve hakkında tartışma yapılmaması şeklinde değerlendirdiği anlaşılmaktadır. Zor ve karmaşık olduğu halde bu konu ile ilgili tez yazmayı düşündük. Amacımız, itikatta okura istikrar kazandırmak ve zihnindeki şüpheleri ortada kaldırmaktır. Sonuç olarak Gürani'nin kaza ve kadere ilişkin yaklaşımının Ehl-i Sünnet'in yaklaşımına paralel olduğunu gördük. Fıkıhta önce Şafii, daha sonra Hanifi olmuştur. Akidede ise Eş'arî olup Eş'ariliğin hak yol yolduğunu ve Ebü'l-hasan Eş'arî'nin Ehl-i Sünnettin imamı olduğunu kabul etmektedir .

Anahter Kelimeler: kaza ve kader, el-Gürani, Ehl- i Sünnet, kelamcılar

Abstract

This research is about all the questions and knowledge about fate and destiny in Islam. This issue effected on the faith of the believer, and the faith is the main thing of the issues, it has become a matter of origin dispute and delusions for some, so I want to mention some opinions of scientists of Ahli sunnah ,salaf and Mutakallimin.

After discussing all their opinions about this subject, I compare the opinions of al-Gorani the opinions of Islamic doctrines depends over his perspective, under his scientific level ,the blessed efforts in the year, the service and the doctrine of the Sunnis, which is one of Muslim Scholars, who explained the book Sahih Bukhari, so I choose the subject of a title search on the issue of his book called Riad el Kawther. And also Bukhari because this book serves the Sunnah of the Prophet and the Ahlu Sunna.

The people of Islam, Muslims from parts of the land that can be seen through his explanation of some of the conversations concerning fatalism is the delivery to serve God and the ability, leaving the dimpling and search for destiny and in-depth thinking about it and consider, and avoid asking about it and debate it, despite the difficulty of this matter. The origin of the reader have to remove him as a result of illusion and prying it raises suspicion and gives him comfort and stability in belief.

In the end, we reach a conclusion those Imam al-Gorani ideas in the "act of God" as being accepted for the views of the ideas of the Sunni Community. Because at the first he was Shafeie and then that came Hanafis and regarding his doctrine and decided to Ashari is the right way and that sheikh Abal Hassan al Ashari, Sheikh Sunnis.

Keywords: fate and destiny, Al-Gorani, Ahli Sunnah, Mutakallimin.

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة مسألة القضاء والقدر، لما لها من خطورة جسيمة على عقيدة المؤمن، ولأن الإيمان بهما من المسائل التي أشغلت أفكار السابقين من أعلام هذه الأمة، وقد صارت هذه المسألة منشأ خلاف وضلالات للبعض، ولذا جئت بآراء العلماء من أهل السنة والسلف ومن المتكلمين، وفي الأخير جئت بآراء الإمام الگوراني، أو ما شاكل ذلك من الآراء والفرق التي عرضوا فكرتهم وآراءهم حول هذه المسألة.

ثم قمت بمقارنة آراء الگوراني بآراء المذاهب الإسلامية للوقوف على رأيه، لمكانته العلمية، والجهود المباركة في خدمة السنّة ومذهب أهل السّنة، وهو أحد علماء المسلمين الذين قاموا بشرح كتاب صحيح البخاري، ولهذا اخترته موضوعاً لعنوان البحث حول هذه المسألة من كتابه المسمّى- بالكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري- لأن كتابه هذا يخدم سنة النبي- ﷺ- وأهل السنة وأهل الإسلام والمسلمين في بقاع الأرض، ويتبين من خلال شرحه لبعض الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر: إنه التسليمُ بقضاءِ الله وقَدَرِه، وتركُ التنقير والبحث عن القَدَرِ والتعمُّقِ في التفكير فيه والنظر، واجتناب السؤال عنه والمناظرة عليه والخصومة به، وعلى الرغم من صعوبة هذا الأمر، إذ السير في طريقه سير في طريق شائك، رأيت أن أكتب فيه هذه الرسالة المتواضعة، لعلي أصِلُ بالقارئ لها إلى نتيجة تُزيلُ عنه الوهم وترفع عنه الشكّ وتمنحه الراحة والاستقرار في الاعتقاد .

وفي نهاية البحث حصلت على أفكار الإمام الگوراني في "القضاء والقدر" بأنها موافق لآراء أفكار أهل السنة والجماعة، بأنه كان من الشافعية ثم صار حنفياً، وبما يخص مذهبه العقدي كان أشعرياً؛ وقرر أن الأشعرية هي الطريق الحق، وأن الشيخ أبا الحسن الأشعري شيخ أهل السنة.

الكلمات المفتاحية: القضاء والقدر، الگوراني، أهل السنة والجماعة، المتكلمين.

الاختصارات

هناك مجموعة من الرموز والعلامات فمن خلالها يمكن أن نحصل عليها، مثلاً:

د..... دكتور.

تح..... تحقيق.

ت..... تاريخ.

ط ..... طبعة.

ج ..... جلد.

ص..... صحيفة.

د - ط ..... دون سنة الطبع.

د-ت.....دون تاريخ.

هـ ..... هجري.

م ..... ميلادي.

التمهيد

إنّ الرضا بقضاء الله وقدره من أعلى درجات الإيمان التي تنبع العبودية الصحيحة، واليقين الصادق بالغيبيات وبالحكمة الالهية التي يعلمها الله تعالى، وبهذه يستغني الإنسان فيما بين يدي الناس، لقد واجه العلماء لشرح هذا الكتاب القيم النافع المسمى بالجامع الصحيح للإمام البخاري؛ وهو أصح الكتب بعد القرآن العظيم، لتسهيله وتقريبه من بين الناس، ومن هذه الشروح المهمة النافعة- كتاب- (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري)- للحافظ أحمد الگوراني - رحمه الله- من حيث إن شرحه شرحاً معتدلا ومتوسطاً، وفي سياقه الفوائد كثيرة، كما أشير إليها في الكتاب. ومن خلال الأحاديث وشرحه لها، قمت باختيار موضوع مهم من الكتاب المذكور، باسم (مباحث من القضاء والقدر في الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري) وفي هذا البحث عرضت أقوال العلماء وكلام المتكلمين في الموضوع، ثم قارنت آرائهم برأي الگوراني، لكي ترينا نظرة واسعة للموضوع أو على الأقل تغيراً جذرياً في منظورنا وفي منظور المسلمين، من خلال نظرة الگوراني.

الأصل في الدين ومصدره الوحي: وله قسمان متكاملان لا يكمل أحدهما إلا بالآخر؛ وهما: القرآن والسنة؛ والسنة مثل القرآن في الحجية إذا لم يوجد الحكم في القرآن فيرجع إليها، وهذان الأصلان هما مصدران للإسلام، وبدونهما يتعذر العبودية لله تعالى؛ من حيث إن العقيدة الصحيحة يستمد منهما؛ حيث هما منهجان كاملان لحياة الإنس والجن، فإذا السّنة لها منزلة رفيعة، وجملة من الدين، فلا نزاع بين المسلمين أن ما ثبت عن النبي - ﷺ- من أمر الدين فهو ثابت عن الله- عزّ وجلّ- ونصوص القرآن في ذلك كثيرة، منها كقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ}[1]، وكل مسلم يعلم أن الايمان السّالم الصّادق لا يحصل إلا بتصديق الرسول- ﷺ- فيما بلّغه عن ربّه، وقد بلّغ الرسول بسنّته كما بلّغ كتاب الله؛ وهذا هو مكانة السّنة.

ثم بعد ذلك نأتي إلى آراء المتكلمين حول الاستدلال بالأحاديث النبوية، لأن أهل الكلام لهم آراء وأساليب خاصة حولها، ومن أساليب المتكلّمين زعْمُهم أنَّ حديث الآحاد لا يُحْتجّ به في العقائد، لذا فيُسقِطون السنّة من حساباتهم في حالة إثبات أمور العقيدة؛ لأن أكْثر السُّنَّة آحاد، والمتواتر منها بالنسبة إلى الآحاد قليل، وحجّتهم: أنَّ الأحاديثَ المتواتِرة

---

[1]) [النساء:٨٠].

تُفيد القطْع واليقين؛ فيُحتجُّ بها، وأحاديثَ الآحاد على كثرتها ظنيّةٌ تفيد العلم الظنّيّ لا اليقينيَّ؛ فيُعمَل بها في الأحكام لا في العقائد؛ إذ إن الشرع نهى عن أن يتبع الظن ويأخذ به[٢].

لأن حديث الآحاد هو كلُّ حديث لم يَبلُغْ حدَّ التّواتر، وإن كان مستفيضًا وتوسّعا، وإن كان صحيحًا ممّا هو متفق عليه لدى "البخاريّ ومسلم" وتلقَّتْه الأُمّة عنهما بالقَبول، فإذا الحاصل: إن أكثر السّنَّة النبويّة، وأغلب مسائل العقيدة والتوحيد في قصر الاحتجاج به على القرآن وحده، مع تقديم أقوال المتكلِّمين وآرائهم على الآيات عند تعارضهما في الأذهان، مستخدمينَ التأويلَ لصرف المعاني عن ظاهرها لتُوافِقَ مذاهب المتكلمين، ولكن قول الصواب: أنّ أحاديث الآحاد الصحيحة حجّةٌ بنفسها في العقائد والأحكام، لا يُفَرَّقُ بينها وبين الأحاديث المتواترة، وعلى هذا جرى علماء الأمّة جيلاً بعد جيل، والتفريق بين الأحاديث المتواترة والآحاد في الاحتجاج في العقائد باطل[٣].

وقال اليماني: (وقد عرف الأئمة الذين صححوا الأحاديث، أن منها أحاديث تثقل على بعض المتكلمين ونحوهم، ولكنهم وجدوها موافقة للعقل المعتد به في الدين، مستكملة شرائط الصحة الأخرى، وفوق ذلك وجدوا في القرآن آيات كثيرة توافقها أو تلاقيها، أو هي من قبيلها، قد ثقلت هي أيضاً على المتكلمين، وقد علموا أن النبي- ﷺ- كان يدين بالقرآن ويقتدي به، فمن المعقول جداً أن يجيء في كلامه نحو ما في القرآن من تلك الآيات[٤].

ومن الحقائق التي يجب أن لا يغفل عنها:

الفريق الأول: وهم الصحابة ومن اهتدى بهديهم من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم عاشوا مع الله ورسوله-ﷺ- فالصحابة مع النبي وهديه، ومع القرآن، والتابعون مع القرآن والصحابة والسنة.

الفريق الثاني: المتكلمون والمتفلسفون ونحوهم عاشوا مع النظريات والشبهات

---

[٢]) علاء بكر الإسكندرية، ملامح رئيسية للمنهج السلفي، دار العقيدة، د، ط، ص/٨٢.

[٣]) علاء بكر، ملامح رئيسية، المصدر نفسه، ص/٨٣- المنتدى الشرعي العام، أرشيف ملتقى أهل الحديث- ١، http://www.ahlalhdeeth.com، المحرم ١٤٣٢هـ = ديسمبر ٢٠١٠م، ج٩٠/ص٤٠٨.

[٤]) مجموعة من الباحثين، آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤هـ، ج١٢/ص٩.

والمخاصمات، والمؤمن يعلم أن الهدي بيد الله، وأنه إذا شرع إلى الهدى سبيلاً فالعدول إلى غيره لن يكون إلا تباعداً عنه وتعرضاً للحرمان منه، وبهذا جاء القرآن، وعليه تدل أحوال السلف واعتراف بعض أكابرهم في أواخر أعمارهم، والدقائق الطبيعية شيء والحقائق الدينية شيء آخر، فمن ظن الطريق إلى تلك طريقاً إلى هذه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وأن أكثر المتكلمين لا يردون الأحاديث التي صححها أئمة الحديث، أمّا أنهم يتأولونها كما يتأولون الآيات التي يخالفون معانيها الظاهرة؛ وبعض منهم رأى أن تأويل الآيات والأحاديث تعسف ينكره العارف باللسان وبقانون الكلام وبطبيعة العصر النبوي، والذي يخشونه من تكذيب القرآن لا يخشونه من تكذيب الأحاديث، فأقدموا عليه وفي نفوسهم ما فيها، فلم يهملوا الأحاديث[٥]، كما زعم أبو رية[٦]. وقال عيسى عبدالله السعدي: وكذلك أيضا استدل المتكلمون بالقرآن وبالمتواتر من السنة كما سبق عليه؛ بشرط أن لا يخالف العقل، وأخبار الآحاد فإنهم لا يستدلون بها في العقيدة؛ لأنها كلها ظنية؛ والعقيدة لا بد فيها من القطع وهذا من أخطر آرائهم التي ردّوا بها أكثر أهل الحديث.

ولكن يرد عليهم بهذه الوجوه، منها:

أ) فالتواتر في الأحاديث هو أن الرسول- ﷺ- كان أرسل الدعاة إلى الملوك والأمم لتبليغ العقيدة والدين إليهم مع العلم وهم آحاد؛ كما أرسل دعاته لملوك الروم وفارس؛ وكما أرسل معاذاً لأهل اليمن.

ب) وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول أو احتفت بها القرائن فإنه يفيد اليقين، ومعظم أحاديث الصحيحين من هذا القبيل؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول؛ ولو سلمنا بأنه إنما يفيد الظن، فالظن الناشئ عن نص خير من تلك الأدلة العقلية التي حيرت أهلها قبل غيرهم! وسنذكر شواهد من كلامهم لهذه الحيرة! قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني:-

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا * وسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

---

٥) اليماني، عبد الرحمن بن يحى المعلمى اليماني الانوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عالم الكتب- بيروت-١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص/٧- ٨.

٦) محمود أبو رية، مولده في كفر المندره (مركز أجا) محافظة الدقهلية في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩م، وتوفي في ١١ ديسمبر ١٩٧٠م بالجيزة، مجموعة من الباحثين، آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، ج١٢/ص١٨.

فَلَمْ أَرَ إِلاَّ وَاضِعًا كَفَّ نـادِمٍ * عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[٧].

وقد تصاحبهم الحيرة؛ كما في قول الطبيب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي:-

(لَعَمْرِي مَـا أَدْرِي وَقَدْ أَذِنَ الْبِلَى * بِعَاجِلِ تِرْحَالِي إِلَى أَيْنَ تِرْحَالِي؟

وَأَيْنَ مَحَـلُّ الـرُّوحِ بَعْدَ خُرُوجِهِ * عَنِ الْهَيْكَلِ الْمُنْحَلِّ وَالْجَسَدِ الْبالِي؟)[٨].

ج) أن أخبار الآحاد الثابتة موافقة للقرآن، وهذا دليل على أنها تخرج من مشكاة واحدة؛ ولهذا كان الإمام البخاري يذكر دليل المعتقد من القرآن ثم يتبعه بالأحاديث التي توافقه وتفسره.

د) أن إنكار أخبار الآحاد يعني ردّ معظم الأحاديث لا يعني ذلك إلا في مجال العقيدة، لأن أكثر الأحاديث أخبار آحاد والمتواتر قليل جدًا[٩]. وكذلك قال السعدي: وإذا كانت العقيدة عند السلف تقوم على تعظيم النص الشرعي والاستدلال به وفق القواعد العلمية المحررة في أصول الفقه والحديث فلعلماء الخلف من أشاعرة ومعتزلة منهجا خاصا في الاستدلال العقدي الآتي:-

١- اشتراط القطعية في أدلة العقيدة، لا يتحقق بزعمهم إلا في الأدلة العقلية، لأن النقل حتى لو كان قرآنا أو سنة متواترة يتطرق إليه عشرة احتمالات؛ كاحتمال النسخ أو الإضمار أو التخصيص أو المعارض العقلي الى آخر ما ذكره- الرازي- في المُحَصّلِ.

٢- تقديم العقل على النقل عند التعارض، ولهذا أنكروا كثيراً من الصفات، حتى وإن جاء بها القرآن والسنة المتواترة.

٣- اعتبار نصوص الصفات مجازاً يمكن نفيه أو تأويله بما يناسب مع دلالة العقل، ولهذا أولوا صفة اليد بالنعمة، وصفة النزول بنزول أمر الله أو نزول ملك من ملائكته مع أن الحديث نص في نزول- الرب- فلا يمكن أبداً أن يقول الملك: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ

---

[٧]) الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، تح، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٥هـ، ص٧.

[٨]) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج٣/ص٢٦٢.

[٩]) عيسى عبدالله السعدي، أرشيف ملتقى أهل الحديث، منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة، http://www.ahlalhdeeth.com، المحرم ١٤٣٢هـ- ديسمبر ٢٠١٠م.

لَهُ»[١٠]؛ وهذا لا يقوله أبداً إلا رب العالمين.

٤- رفض الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة حتى لو كانت في الصحيح، لأنها بزعمهم إنما تفيد الظن، والظن لا يجوز أن يكون أساساً تبنى عليه العقيدة، ولهذا ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة

وهكذا صالوا على النصوص حتى عزلوها عن الاستدلال العقدي أو كادوا، فلا يذكرونها في كتبهم إلا قليلا[١١].

---

[١٠]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨/١٧١).

[١١]) ينظر: عيسى عبدالله السعدي، أرشيف منتدى الألوكة، مجلس العقيدة والقضايا الفكرية المعاصرة، http://majles.alukah.netالأحد،٢١أغسطس،٢٠١٦م-١٨ذوالقعدة-١٤٣٧هـ،ج٢/ص٤٧٦٤٠-ينظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث، منتدى عقيدة أهل السنة والجماعة، ج٥٩/ص٤٢٠.

أهداف وأسباب اختيار البحث

١-بيان أنّ القضاء والقدر من حقيقة الإيمان الذي ينبغي التحلّي به والتسليم بالحكمة الإلهيّة، والرضا بقضائه، والتصديق الجازم بأن كلّ خير وشرّ فهو بقضاء الله وقدره.

٢- كتاب الإمام- الكَوراني- شرح للأحاديث شرحاً مختصراً ومتوسطاً، وكون الشارح من الأئمة المعروفين بالتصنيف والتأليف في فنون عديدة وشهد العلماء له، وأحببت أن اختار من موضوعات الكتاب مباحث من موضوع القضاء والقدر.

٣- كون موضوع القضاء والقدر سيشدّ الباحث فيه إلى أكبر عدد من المراجع لدراسته والاطلاع عليه.

٤- كون هذا الموضوع من موضوعات العقيدة التي اهتم بها الناس اهتماماً كثيراً قديماً وحديثاً، وتحدثتْ عنه الفرق، وكلّ فرقة قالتْ فيه برأيها، أو لها كلام في القدر، ثم أتحدث عن مذهب أهل السنة والجماعة لكي يتبيّن لمن انحرف عنه مذهب الحق.

٥- كثرة الشبهات والتساؤلات حول موضوع القضاء والقدر لدى الذين يوجد في قلوبهم المرض، لذا اقتضى الأمر إلى زيادة تبيين وتوضيح، تذكيراً لهذا الموضوع لزماننا الحاضر والمستقبل،

٦- كون عقيدة القضاء والقدر عقيدة إيمانية، والعقائد الإيمانية، أساس لتصرفات المؤمنين وتعاملهم فيما بينهم، لذا أريد أن أتحدث عن مفهوم القضاء والقدر في الكتاب المذكور.

٧- بيان قول السلف الصالح في مسألة القضاء والقدر وتوضيحه للناس، لاسيما أن هذه المسألة قد كثر فيها الخلاف بين الفرق.

٨- بيان منهج الإمام- الكَوراني- وآرائه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، والكون والأجل، والأنبياء في محاجة آدم وموسى.

أهمية الموضوع

١-يعتبر الكَوْراني من العلماء الذين ألموا بعلوم شتى، وأحد منها علم الحديث.

٢- استخدم الكَوْراني طريقة السؤال والجواب في إيراد الإشكالات وأجاب عليها وحلها.

٣- استخدامه لأسلوب واضح وسهل في شرحه.

٤- كونه شرحه يشتمل على العديد من الفوائد.

٥- تبدو أهميته لكون الكتاب شرحا لصحيح البخاري.

٦- يعتبر موضوع القضاء والقدر من المواضيع المهمّة لتعلقه بحياة الإنسان، فما من إنسان يعيش في هذه الحياة، ويسير في مناكبها على أي ديانة كان، وفي أي اتجاه اتجه في حياته العملية أو العقدية أو غيرها؛ إلا وقضية القضاء والقدر عنده من القضايا التي تشغل باله في كل وقت.

٧- زيادة اهتمام وتوضيح موضوع القضاء والقدر للمسلمين.

٨- الاهتمام ببيان آراء المتكلمين لموضوع القضاء والقدر.

٩- زيادة بيان وإبراز منهج السلف وأهل السنة للموضوع.

١٠- حينما ننظر إلى هذا الكون ونشأته وخلق الكائنات فيه، ومنها هذا الإنسان، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقضاء والقدر.

دراسات حول الموضوع

على الرغم من كثرة الكتب والرسائل المؤلّفة حول موضوع القضاء والقدر، غير إني لم أقف على دراسات سابقة متعلقة بهذا الموضوع فقط، لأن دراسة القضاء والقدر يجب أن تدرس بشكل أعمق، وتقدم بشكل سهل للناس، من خلال منهج صحيح، وهناك كثير من الدراسات، ولكن حول رأي الگوراني لم أجد، لأن موضوع القضاء والقدر من أهم الدراسات التي يجب أن يهتم بالمنهج اهتماماً تاماً، لأن كل خلط وانحراف في هذا الموضوع وفي غيره إنما منشؤه الخلط في المنهج، والناظر إلى الفرق الإسلامية التي انحرفت، والأفكار والآراء المعاصرة التي انحرفت، سيجد من أسباب انحرافها أن منهجها في تلقي هذه العقيدة وفي فهمها منهج خاطئ.

نظرة عامة للموضوع

ذكرت في التمهيد تعريفاً بكتاب الإمام الكَوْراني من حيث شرحه للأحاديث النبوية في الجامع الصحيح للإمام البخاري، ثم تحدثت فيه نبذة من آراء المتكلمين حول الاستدلال بالأحاديث النبوية.

ثم نأتي إلى فصول أربعة:

في الفصل الاول: تحدثت عن حياة الإمام شهاب الدين أحمد بن اسماعيل الكَوْراني- رحمه الله- الشخصية والعلمية والعصر الذي عاش فيه الإمام.

في الفصل الثاني: تحدثت عن تعريف القضاء والقدر لغوياً واصطلاحياً عند العلماء، ثم بيّنت فيه مذاهب العلماء فيهما من المتكلمين وجمهور السلف مع رأي الامام- الكَوْراني- فيهما.

في الفصل الثالث: تحدثت عن أعمال العباد عند المتكلمين وأهل السنّة ورأي الامام- الكَوْراني فيها.

في الفصل الرابع: حاولت أن أبيّن منهج الإمام- الكَوْراني- وآراءه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، والكون والأجل، والأنبياء في محاجة آدم وموسى، مع عرض آراء العلماء والمتكلمين حول كل منه.

منهج البحث

يمكن تلخيص منهج هذا البحث بما يلي:

سيكون المنهج المتّبع في كتابة هذه- الرسالة- بإذن الله- تعالى- منهج المقارنة على شرح الكوّراني المتعلق بالموضوع، وشرحه للأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، والكون والأجل، والأنبياء، في كتابه (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري) مع مقارنته بأقوال أهل السلف والعلماء والمتكلمين حول المسائل بشكل واضح ووافر. وحاولت سلوك أيسر السبل التي تُيَسِّر على القارئ الوصول إلى مراده وثبوته على صحة المعلومات الواردة في الموضوع، لأنه فيه معاني القضاء والقدر وأعمال العباد عند المتكلمين وأهل السلف وعرض آراء العلماء حولها، لأنه لا بدّ من القول بأن القضاء والقدر من المبادئ التي دار حولهما تساؤلات وبحث ونزاع كبير وكثير، واختلفت فيهما الأقوال بين كلٍّ من المتكلمين والعلماء تبعاً لفهم المتلقي للقضاء والقدر.

إنَّ قضيّة القضاء والقدر من أهمّ القضايا الَّتي ما زالت فيها الاجتهادات والآراء، وهي مدار علم الكلام، ومفترق الطرق التي سلكتْها المدارس والفرق الإسلاميّة.

الصعوبات

يحتاج كل عمل بشري إلى الجهد والصبر، ومما لقيته من الصعوبات:

١- كثرة عناوين البحث وتفرقها، ثم التعمق والكشف عنها في كتاب (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري) يلزم الباحث جهدًا كبيرا وكثيرا، إذ يتطلب كل ما يتعلق بهذا الموضوع قراءة الكتاب حرفًا بعد حرف، مع أنّ الكتاب له حجم كبير بحيث (١٢) مجلدًا.

٢- افتقار المكتبة الجامعية التي يحتاج إليها الدارسون، ويستعين بها الباحثون، وغيرهما من صعوبات الحياة.

إلا أنني مستمر في تحدي هذه الصعوبات بل وتحدي نفسي من خلال المثابرة على الدراسة وبذل قصارى جهدي لكي أنال حصاد تعبي وجهدي بالحصول على الشهادة العليا التي طمحت إليها، حتى أتمكن من المساهمة الفاعلة في الوطن خدمة لمواطنينا الحبيب.

الفصل الأول

حياة الإمام شهاب الدين الگوّراني (رحمه الله)

١: حياة الگوّراني الشخصية

هو أحمد بن اسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن ابراهيم شرف الدين، ثم دعي شهاب الدين الشهرزوري الهمداني التبريزي- الگوّراني- ثم القاهري[١٢] ثم الرومي الشافعي[١٣] ثم الحنفي[١٤] ولد- رحمه الله- في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بقرية من (گوّران)[١٥]،كذا ذكر في جميع المصادر واتفقت أنه ولد في عام (٨١٣)هـ، وأرخه المقريزي في ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع بشهرزور[١٦].

---

[١٢]) السخاوي، شمس الدين أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الحياة – بيروت، د ،س، ط، ج١/ص٢٤١.

[١٣]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت، د، س، ط، ج١/ص٣٩.

[١٤]) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م،ج١/ص٩٧.

[١٥]) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر السابق، ج١/ص٣٩.

[١٦]) السخاوي، الضوء اللامع، المصدر نفسه، ج١/ص٢٤١؛ الشهرزوري: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة بعدها زاي، وواو ساكنة، وراء، وهي في الإقليم الرابع، طولها سبعون درجة وثلث، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع: وهي كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان أحدثها زور بن الضحّاك، ومعنى شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ١٩٩٥م،ج٣/ ص٣٧٥.

الهمداني: بالفتح والسكون ومهملة إلى همدان شعب عظيم من قحطان وبفتح الميم ومعجمة إلى همذان مدينة بالجبال.

التبريزي: من أشهر بلاد أذربيجان، ينظر: ابن مكي، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم بن عثمان الشارعي الشافعي، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، الدار المصرية- اللبنانية، القاهرة، ١٤١٥هـ، ج٢/ص١٠٤.

الگوّراني: نسبته إلى (گوّران) وهي قبيلة عظيمة مشهورة من القبائل الكردية عاشوا في القرون الوسطى في منطقة (باوه، ودرتنك، وكرمانشاه، وماهيدشت، وهضبات حلوان وخانقين) وغيرها من المناطق الكردية، ثم نزحوا إلى العراق وسكنوا في شهرزور وحلبجة وخرمال، وبوجه عام في

٢: حياة الگوراني العلمية

أحمد بن اسماعيل- الگوراني- له مكانة علمية بارزة، حيث كان من العلماء البارزين، رحل في طلب العلم، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره في الشام ومصر والجزيرة، فأتقن التفسير والحديث والعربية والمنطق وغيرها، وصنف في علوم متنوعة، وكان محل تقدير في علماء عصره، وكان- رحمه الله- عارفاً بعلم الأصول فقيهاً حنفياً، قرأ ببلاده ثمّ ارتحل إلى القاهرة واستقر فيها مدة من الزمن، وتفقه بها وقرأ هناك القراءات العشْر بطريق الإتقان والاحكام، وقرأ الحديث والتّفسير، وأجازه علماء عصره في العلوم المذكورة كلها، وأجازه ابْن حجر أيضا في الحديث، وشهد له بأنه قرأ الحديث سِيما صحيح البخاريّ روايةً ودرايةً، ودرس هو بالقاهرة درساً عاماً خاصّاً بالفحول، وشهدوا له بالفضيلة التّامّة، ثمّ أن الْمولى محمد أدمغان الشهير بمولى (يكان) لما دخل القاهرة في سفره إلى الحجاز لقيه المولى-الگوراني- ولما شهد فضله أخذه معه إلى بلاد الرّوم، ولما لقي المولى يكان[١٧] السّلطان مراد خان، قال له السّلطان: هل أتيت إلينا بهدية؟

وسط كوردستان، وفي عام(١٦٣٩م) وعندما وقّع العثمانيون والإيرانيون معاهدة لتخطيط الحدود بينهم، أخذ الگورانيون يحكمون منطقتهم بسلطة واسعة من عاصمتهم (كهواره) الواقعة شمالي (كرند) وجنوب شرق جبال (دالهو)، وهي: عشيرة عظيمة من أعظم العشائر في هذه البلدان، ولهم جلة من العلماء والمحققين منهم (يوسف بن عبد الله الگوراني المتوفى سنة (٧٦٨هـ)، وبرهان الدين إبراهيم بن حسين شهاب الدين الگوراني المتوفى سنة (١١٠١هـ)، وأبو بكر بن هداية الله الگوراني المتوفى سنة (١٠١٤هـ) صاحب طبقات الشافعية، وابنه المحقق: عبد الكريم المتوفى سنة (١٠٥٠هـ) وغيرهم). ينظر: الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤هـ،ج٦/٥٠٨؛ الحموي، معجم البلدان، ج/٤٨٩، السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، تح، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص/٤٨٩، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر– بيروت، د، ط، ج١١٧/٣؛ السخاوي، الضوء اللامع ،ج٢٢٤/١١؛ الزَّبيدي، محمّد بن محمّد الحسيني، تاج العروس، تح؛ مجموعة من المحققين، دار الهداية – القاهرة، ج٥٣٢/٣؛ الزركلي، الأعلام، ج ٩٧/٦؛ شرفنامه للأمير شرف خان البدليسي، ص/٢١١- ٣٨١- ٥٣١-٥٣٧؛ محمد أمين زكي بك، تاريخ الكرد، دار الشؤون الثقافية بغداد، ٢٠٠٥م، ص/١٢٤- ٣٣٤-٣٣٥.

[١٧]) محمد بن محمد يكان بن ارمغان الآيديني ثم البرسوي، الحنفي أن المولى محمد أدمغان الشهير بـالمولى (يكان) وهو من علماء الدولة العثمانية ومـن العلـماء العـاملين الفاضـلين، توفي في خلافة

قال نعم معي رجل مفسّر ومحدّث، قال أين هو؟ قال هو بالباب، فأرْسل إليه السّلْطان فدخل هو عليه وسلّم، ثمّ تحدث معه ساعةً فرأى فضله فأعْطاه مدرسة جده السّلطان مراد الْغازي بمدينة بروسا[١٨]؛ ثمّ أعطاه مدرسة جده السّلطان بايزيد خَان الْغازي بالمدينة المزبورة[١٩]، وكان ولد السّلطان مراد خان[٢٠]، السّلطان محمّد أميراً في ذلك الزّمان ببلدة مغنيا[٢١]، وقد أرسل إليه والده عدّة من المعلمين ولم يمتثل أمرهم ولم يقرأ شيئا حتّى أنه لم يخْتم القرآن فطلب السّلطان المذكور رجلاً له مهابة وحدة فذكروا له المولى- الكوْراني- فجعله معلماً لولده وأعطاه بيده قضيبًا يضربه بذلك إذا خالف أمره، وخاف منه السّلطان محمّد خان وختم الْقرآن في مدّة يسيرة[٢٢]. إمامنا الكوْراني- رحمه الله- إمام متقن متفنن في علوم شتى ومشارك فيها وناقد لها، ولا أدل على كل مؤلفاته لكتب متنوعة في علوم شتى. وقال طاش كبرى زاده: (وصنّف- الكوْراني- هناك تفسير القرآن العظيم وسمّاه- غاية الأماني في تفسير السّبع المثاني- أورد فيه مؤاخذات كثيرة على العلامتين

السلطان مراد خان، ينظر: كحالة الدمشق، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٠٨هـ، ج١١/ص٣١١؛ ينظر: طاشْ كُبْري زَادَهْ، أبو الخير، عصام الدين، أحمد بن مصطفى بن خليل، الشقائق النعمانية، دار الكتاب العربي – بيروت، د، س، ط، ص/٤٨.

[١٨]) ينظر: طاش كبرى، الشقائق النعمانية، ص/٥١؛ ويقصد ب(بروسا) مدينة تقع قرب بحر مرمرة التركية وكانت عاصمة الدولة العثمانية قبل مدينة (أدرنه) ثم انتقلت العاصمة منها إلى القسطنطينية بعد فتحها سنة ١٤٥٣م- ٨٥٦هـ، ابن كثير، تعريف بالأماكن في البداية والنهاية، د، س، ط، ج١/ص٣٦٢، أو إحدى مدائن الروم– الشوكاني، البدر الطالع، ج١/ص١٢١.

[١٩]) (مزبورة) وهي: قرية سورية تتبع إداريا لمحافظة حلب منطقته دير حافر ناحية رسم حرمل الإمام؛ ينظر: https/ /ar.m.wikipedia.org-wiki. ٨ مارس- ٢٠١٦.

[٢٠]) مراد خان بن محمّد خان بن بايزيد أورخان ابْن عثمان سلطان الروم، ولد سنة (٨٠٦) ستّ وثمان مائة وجلس على التخت سنة ٨٢٤ وكان ملكاً مطاعًا مقداماً كريما عين للحرمين الشريفين من خاصّة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للسادة الْأشراف ومن خزانته في كل عام مثل ذلك وفتح فتوحات- البدر الطالع، للشوكاني، ج٢/ص٣٠٢.

[٢١]) مغنيا: هي مدينة (مغنيسيا) وتسمى اليوم (مانيسا)، وتقع إلى الغرب من آسيا الصغرى وهي اليوم في تركيا، ويقول ابن بطوطة: (هي مدينة كبيرة حسنة تقع في سفح جبل، كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والفواكه)، ينظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية (بشير فرنسيس- كوكيس عواد) مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٥هـ -١٩٨٥م، ص/١٨٧.

[٢٢]) ينظر: طاشْ كُبْري، الشقائق النعمانية، ج١/ص٥١.

الزَّمخشريّ والبيضاوي، وصنف أيضاً شرح البخارِيّ وسمّاه ب- الكوثر الجاري على رياض البخاريّ- ورد فيه كثيراً من الْمواضع لشرح الكرماني وابْن حجر وصنف حواشي مقْبولة لطيفة على شرح الجعبري للقصيدة الشّاطبيّة، وقرأ الحديث والتّفسير وعلوم الْقرآن حتى تخرج من عنده كثير من الطلاب، وتمهروا في العلوم المذْكورة؛ وكانت أوقاته مصروفة إلى الدّرس والفتْوى والتصنيف والعبادة؛ حكى بعض من تلامذته أنه بات عنده ليلة؛ فلمّا صلّى الْعشاء ابتدأ بقراءة القرآن من أوله؛ قال وأنا نمت ثمّ استيقظت فإذا هو يقرأ؛ ثمّ نمت فاستيقظت فإذا هو يقرأ سورة الملك، فأتمّ القرآن عند طلوع الفجر؛ قال سأَلت بعض خُدّامه عن ذلك؟ فقال هذه عادة مستمرة له[٢٣].

٣: عصر الگوْراني

سبق وإن أشرنا إلى أنه ولد في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة من الهجرة؛ أي في القرن التاسع الهجري؛ وفي هذا الوقت كانت هناك دولتان إسلاميتان عظيمتان:

الأولى: دولة المماليك في مصر وما حولها.

الثانية: الدولة العثمانية في أوربا وشرق الأوسط وما جاورها؛ وكان في ذاك الزمان أكابر القادة والفاتحين؛ ويكفي ذاك القرن شرفاً وفخراً أن فيه فاتح القسطنطينيّة محمد الفاتح- رحمه الله- وفيه من أكابر علماء المسلمين: الحافظ العراقي؛ والبلقيني؛ وابن الملقن؛ وابن حجر؛ والعيني؛ وجلال الدين المحلي؛ وغيرهم كثير.

وفي هذه الحِقبة من الزمن نشأ إمامنا- الگوْراني- نشأة علمية منذ نعومة أظفاره فحفظ القرآن، وقرأ بالسبع، وأتقن الشّاطبية، وتفقه بالمذهب الشّافعي أولا، وقرأ النحو مع علمي المعاني والبيان، والعروض ومهر فيها كل ذلك قبل بلوغه سن السابعة عشر [٢٤]، وقرأ الحديث والمصطلح والأصول والقراءات العشر، ثم انتقل إلى المذهب الحنفي، وبرع في علوم شتى حتى لقب بعالم بلاد الروم[٢٥].

وكل هذه الفضائل والمقامات الجزلة التي تحصل ببذل المجهود؛ والأحوال التي تأتي من عين جهوده، والأحداث التي عاش فيها الإمام تنشئ وتنتج لنا شخصية هذا

---

[٢٣]) طاش كبرى، الشقائق النعمانية، ص/٥١.

[٢٤]) السخاوي، الضوء اللامع، ج١/ص٢٤١.

[٢٥]) الشوكاني، البدر الطالع، ص/٦٩.

الگوراني الذي هو المتفـنّن في مختلـف الفنـون والماهر فيهـا، والأمـر الـذي جعـل ذكـره وشخصيته يعلـو من بين بين العلماء والناس، ووصـيته ينتشـر، أصبح يتولى مناصب عدة في كلتا الدولتين كالقضاء وغيره، وأهمّ شيء بعد نشر العلم أن الإمام الگوراني كـان قـائماً ومستمرّاً علـى تربيـة وتعلـيم السّلطان محمـد الفـاتح- رحمـه الله- ثم بعد ذلك فخـرج لنـا هذا قائداً وعالماً مهماً وعظيماً..

وفاته

توفي الگوراني- رحمه الله- في آخر شهر رجب سنة [٨٩٣]هـ[٢٦]،عمـره ثمانين سنة، مات في قسطنطينية ودفن بها، وأمر يومًا في أَوائل فصل الرّبيع أن تضرب له خيمة في خارج قسطنطينية، فسكن هناكَ فصل الرّبيع إلى أول فصل الخريف، وفي هذه الْمدّة كان الوزراء يذهبون إلى زيارته في كل أسبوع مرّة، ثمّ إنه صلى الفجر في يوم من الأيام وأمر أن ينصب له سرير في الموضع الفلانيّ من بيته بقسطنطينية، فلمّا صلى الإشراق جاء إلى بيته واضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، وبعد ما اشتد به المرض، وطلب أحبابه وتلامذته فحضر الكل، وقرأوا عليه القرآن، فقال الْمولى لي عليكم حق، واليوم يوم قضائه، فأقرأوا عليّ الْقرآن إلى وقت الْعصر، فأخبر الوزراء بذلك فجاؤوا إليه لعيادته، فبكى الوزير داود باشا لما بينهما من المحبّة الزّائدة، فقال المولى لماذا تبكي يا داود؟ قال فهمت فيكم ضعفا، فقال ابك على نفسك يا داود، فإنّي عشت في الدّنيا بسلامة، واخْتِمْ بسلامة، وقال للوزراء سلّم منّي على بايزيد، أوصيه أن يحضر صلاتي بنفسه، وأن يقضي ديوني من بيت المال قبل دفني، ثمّ قال أوصيكم إذا وضعتموني عند القبر أن تَأْخذوا برجلي وتسحبوني إلى شفير القبر، ثمَّ تضعوني فيه، ثمّ إن المولى صلى صلاة الظهر مومئا، ثمَّ أخذ يسأل عن أَذان العصر، فلمّا قرب وقته أخذ يستمع صوت المؤذن، فلمّا قال المؤذّن- الله أكبر- قال المولى (لَا اله الا الله) فخرج روحه في تلك السّاعة، ثمّ إن السّلطان بايزيد خان حضر صلاته وقضى دُيُونه بلا شُهُود، ثمَّ إنهم لما وضعوه عند قبره لم يتجاسر أحد على أن يأْخذ برجله فوضعوه على حصير، وجذبوا الحصير إلى شفير القبر، ثمَّ انزلوه فيه وسلموه إلى رحمة الله، وامتلأت المدينة ذلك اليوم من الضجيج والبكاء من الصغار والكبار حتّى النّساء والصبيان، وكانت جنازته مشهورة[٢٧].

---

[٢٦]) التميمي، تقي الدين بن عبد القادر الداري الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، د، ط، ص/٨٢.

[٢٧]) طاش كبرى، الشقائق النعمانية، ص/٥٤-٥٥.

الفصل الثاني

مذاهب العلماء في القضاء والقدر

١: القضاء والقدر لغة واصطلاحا

القضاء لغة: قال ابن برِّي: (صوابُه بعد الألف الزائدةِ طرَفاً هُمزتْ) [٢٨].
أو هو بالمد، ويقصر، أصله، قضاي، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة همزت وجمعه أقضية[٢٩] .

(قضى عليه) وكذا بين الخصمين، يقضي (قضْياً) بالفتح، (وقضاءً) بالمدِّ، (وقضِيّةً) كغنيّةٍ مصدر، (وَهي الاسم أَيضاً) أَي حكم عليه، وبينهما فهو قاض، وذاك (مقضيّ عليه)[٣٠] .

قضاء (مفرد) جمعه أقضية (لغير المصدر)

مصدر قضى- قضى إلى- قضَى على، إذا حان القضاءُ ضاق الفضاءُ- قضاء الله: عبارة تدلّ على علمه السابق وإرادته الأزليّة المتعلّقة بالأشياء- قضاءً وقدرًا، دون قصد، أو تدبير من أحد[٣١].

قال ابن فارس: (القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته)[٣٢].

---

[٢٨]) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ، ج١٥/ ص١٨٦.

[٢٩]) الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج٦/ص٢٤٦٣.

[٣٠]) مرتضى، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٢٠٥هـ، ج٣٩.ص٣١٠.

[٣١]) د، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٣/ ص/١٨٣٠.

[٣٢]) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت،١٤١٢هـ، ص/٤٢٢.

وقال الزُّهري: في (النهاية): (القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه)[٣٣].

ويتبيّن مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة: هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر[٣٤].

وقد ورد لفظ القضاء ومشتقاته كثيراً في القرآن الكريم، وكل معانيه التي قد تأتي متداخلة أحياناً، ترجع إلى الأصل السّابق، فمن المعاني التي ورد بها:

١- معنى الأمر، ومنه قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}[٣٥]، أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه، فهذا قضاء الله العاجل[٣٦].

٢- معنى الأداء والإنهاء، ومنه قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ}[٣٧]، أَي: أَنهيناه إِليه وأَبْلغناه إِيّاهُ[٣٨].

٣- معنى الحكم، ومنه قوله تعالى: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ}[٣٩]، أي: فاصنع ما أنت صانعه، أو احكم فينا ما أنت فيه حاكم من القطع والصلب[٤٠].

٤- ومعنى الفراغ، ومنه قوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}[٤١]، أَي: فرغ

---

[٣٣]) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح، طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٤/ص٧٨.

[٣٤]) الراغب الأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، المصدر السابق، ص/٤٢٢. الصلابي، د، علي محمد محمد، الإيمان بالقدر، دار المعرفة، بيروت لبنان،٢٠١٠م، ص/١١.

[٣٥]) [الإسراء: ٢٣].

[٣٦]) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج١٧/ص٤١٣.

[٣٧]) [الحجر:٦٦].

[٣٨]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ١٤١٤هـ، ج٢/ص٥٢٦.

[٣٩]) [طه: ٧٢].

[٤٠]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان، دار الفكر– بيروت، ج٥/ص٤٠٧.

[٤١]) [فصلت: ١٢].

من تسويتهنّ سبع سموات في يومين أيْ آخرين وهما يوم الْخميس ويوم الْجمعة[٤٢].

ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ}[٤٣]، يعني أتمّه وفرغ منه[٤٤].

٥- ومعنى الأداء، ومنه قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ}[٤٥]، أي: أديتم وفرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج[٤٦]، وهذا داخل في المعنى السابق.

٦- ومعنى الإعلام، ومنه قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}[٤٧]، أي: أعلمناهم بذلك في كتابهم[٤٨].

٧- وبمعنى الموت، يقال: ضربه فقضى عليه، أي: قتله، قال تعالى: {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}[٤٩]، وقوله: فقضى عليه، أي: قتله[٥٠].

هذه هي أهم معاني (القضاء) في اللغة، وهناك اشتقاقات ومعاني أخرى ولكن لا نستطيع أن نذكر كلها وليست من مقاصدنا.

---

[٤٢]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩هـ، ج٧/ص١٥٣.

[٤٣]) [القصص: ٢٩].

[٤٤]) البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م،ج٦/ص٢٠٥.

[٤٥]) [البقرة: ٢٠٠].

[٤٦]) النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي، التفسير الوسيط، المحقق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د، أحمد محمد صيرة، د، أحمد عبد الغني الجمل، د، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م،ج١/ص٣٠٦.

[٤٧]) [الإسراء: ٤].

[٤٨]) القرطبي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي، الهداية الى بلوغ النهاية، تح، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٦/ص٤١٣٩.

[٤٩]) [القصص: ١٥].

[٥٠]) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر- بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٦/ص٨٦.

القدر في اللغة: مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَرَاً، وقد تسكن دالُه [٥١].

(قدَر) الْقاف والدّال والرّاء أَصل صحيح يدلّ على مبلغ الشّيء وكنْهه ونهايته. فالقدْر: مبْلغ كُلّ شيء، يقال: قدْره كذَا، أَي مبلغهُ.

وكذلك الْقدَر: وقدَرْتُ الشّيء أَقْدِره وأَقْدُره من التّقْدير، وقدّرْته أُقدِّره.

أو القدْر: قضاء اللّه- تعالى- الْأشياء على مبالغها ونهاياتها الّتي أَرادها لها، وهو الْقدَر أيضًا[٥٢].

والقدَر محرّكة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله- عزّ وجلّ- من القضاء، ويحكم به من الأمور[٥٣].

والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية أمر، والقَدَرُ: كالقَدْرِ، وجَمْعُهما جميعاً أَقْدار[٥٤].

وقال اللحياني:[٥٥] (القَدَرُ الاسْمُ، والقَدْرُ الْمَصَدْرُ)،[٥٦] .

إطلاقات القدر في القرآن الكريم؛ يطلق القدر في القرآن عدة إطلاقات، منها:

أ-التضييق، قال تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ}[٥٧]، أي ضيّق[٥٨].

---

[٥١]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج٤/ص٢٢.

[٥٢]) الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج٥/ص٦٢.

[٥٣]) ابن منظور، لسان العرب، ج٥/ص٧٤.

[٥٤]) ينظر: مصطلحات في كتب العقائد، لابن أحمد الحمد، ج١/ص١٧١؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، المصدر نفسه، ج٥/ص٧٤.

[٥٥]) أبو الحسن علي بن حازم اللحياني، فإنه كان من أكابر أهل اللغة وله نوادر، قال سلمة: كان اللحياني أحفظ الناس للنوادر عن الكسائي والفراء والأحمر، فمن نوادره أنه حكي عن بعض العرب، أنهم يجزمون ب- لن- وينصبون ب- لم- وعلى هذه اللغة قرأ من قرأ: {ألم نشرح لك صدرك} لفتح الحاء- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ،ج١/ص١٣٧.

[٥٦]) المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٦/ص٣٠٠- ابن منظور، لسان العرب، ج٥/ص٧٤.

[٥٧]) [الفجر:١٦].

[٥٨]) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ج٢/ص٥١٨.

ب- التعظيم، قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[٥٩]، اي: وما أجلّوا الله حق إجلاله، ولا عظموه حق تعظيمه[٦٠].

ج- الاستطاعة، والتغلب، والتمكن، قال تعالى:{إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ}[٦١]، أي: إلا من تابوا إلى الله وأنابوا من قبل أن يتمكن منهم الحاكم ويقدر على عقوبتهم[٦٢].

د- التدبير، قال تعالى: {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}[٦٣]، أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين[٦٤].

هـ- تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان، قال تعالى:{وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ}[٦٥]، أي: جعلنا هذه القرى على مقدار معلوم يَقيلُ المسافر في قرية ويروح في أخرى إلى أن يبلغ الشام[٦٦]، وقال: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ}[٦٧]، بأنه قدر في الأرض أقواتها، وقدر هذه الأقوات للإنسان الخليفة في الأرض، لِتُقَيِّتَ الإنسان لهذه الحياة، ويُبقي الإنسان نوعه بالإنكاح[٦٨].

و- الإرادة، قال تعالى: {فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}[٦٩]، أي: دبِّر، وأريد وقوعه[٧٠].

ز- القضاء والإحكام، قال تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ}[٧١]، اي: قضينا عليكم

---

[٥٩]) [الأنعام: ٩١].

[٦٠]) الطبري، جامع البيان، ج١١/ص٥٢١.

[٦١]) [المائدة: ٣٤].

[٦٢]) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ج٦/ص١٠٧.

[٦٣]) [المرسلات: ٢٣].

[٦٤]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، ج١/ص٩٠٤.

[٦٥]) [سبأ:١٨].

[٦٦]) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المحقق، يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج٣/ص٦٠.

[٦٧]) [فصلت:١٠].

[٦٨]) الشعراوي، محمد متولي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج٥/ص٢٩٢٩.

[٦٩]) [القمر: ١٢].

[٧٠]) محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، دار ابن خزيمة، ٢٠٠٦م، ج١/ص١٦٩.

[٧١]) [الواقعة:٦٠].

بالموت [٧٢].

ح- التمهل والتَّروي في الإنجاز، قال تعالى: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}[٧٣]، أي: تَرَوّى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن، ففكر ماذا يختلق من مقال (وقدر) أي: تروى[٧٤].

وقال: {وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}[٧٥]، أي: تمهّلْ، وتروَّ في السرد؛ كي تحكمه [٧٦].

ط- الصنع بمقادير معينة، قال تعالى:{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً}[٧٧]، أي: على قدر الشاربين بلا زيادة ولا نقص[٧٨].

القضاء في الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[٧٩].

ونقل السفاريني[٨٠] عن الأشعرية (أن القدر إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم)[٨١].

---

[٧٢]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، د، س، ط، ج٥/ص٤٥٨.

[٧٣]) [المدثر:١٨].

[٧٤]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٨/ص٢٦٦.

[٧٥]) [سبأ: ١١].

[٧٦]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ج١/ص١٦٩.

[٧٧]) [الإنسان: ١٦].

[٧٨]) الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج١٣/ص٤٨٥.

[٧٩]) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تح، جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ج١/ص١٧٧.

[٨٠]) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، والمحقق، ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها عام ١١٨٨هـ ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٦/ص١٤.

[٨١]) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، عقيدة السفاريني، تح: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، ١٩٩٨م، ١/ص٣٤٥- الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، القضاء والقدر، دار النفائس- الأردن،١٤٢٥هـ -٢٠٠٥م ،ج١/ص٢٢.

تعريف القدر في الاصطلاح: ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه- عزّ وجلّ- قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم- سبحانه- أنها ستقع في أوقات معلومة عنده؛ وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها من غير زيادة ولا نقص [٨٢].

فالقضاء والقدر: أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء، وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدْم البناء ونقضه [٨٣].وقال الراغب الأصفهاني- رحمه الله-: (والقضاء من الله- تعالى- أخصّ من القدر، لأنه الفصل بين التّقدير، فالقدر هو التّقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أنّ القدر بمنزلة المُعَدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل)[٨٤] .

القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي

هناك بعض ممن تطرق لتعريف القضاء والقدر يعرّفه ببعض أفراده أو بعمومه دون تفصيل، أو إشارة إلى مراتبه وأركانه[٨٥]. منها ما عرّفه الجرجاني- رحمه الله- بقوله:- (القدر خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدًا بعد واحد، مطابقًا للقضاء، والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال، والفرق بين القدر والقضاء، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها)[٨٦].

أو تعريف آخر للقدر في الاصطلاح: تعلق الإرادة الذاتية بالأشياء في أوْقاتها الْخاصّة فَتعلق كل حال من أحوال الْأعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر ويقال لكل شيْء في الْأزل قضاء وقدر[٨٧].

---

[٨٢]) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، لوامع الانوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج١/ص٣٥٩.

[٨٣]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، المصدر السابق، ج١/ص٣٥٧.

[٨٤]) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ج١/ص٦٧٥.

[٨٥]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ج١/١٧٣.

[٨٦]) الجرجاني، التعريفات، ج١/ص١٧٤.

[٨٧]) الجرجاني، التعريفات، المصدر نفسه، ج١/ص١٧٣- نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء-جامع العلوم في اصطلاحات، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج٣/ص٤٤.

وقال بعضهم بالْفرق بينهما: (بأن الحكم الْكلّي الأزلي قضاء، وحكم جزئياته قدر، يعني أن الْقضاء فِي مرتبة الإجمال والْقدر في مرتبة التّفْصيل) [٨٨].

العلاقة بين القضاء والقدر

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان إطلاقاتهما في القرآن يتبيّن مدى العلاقة بينهما، والعلاقةِ بين المدلول اللغوي والشرعي.

فكلٌّ من القضاء والقدر يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تَؤُولُ إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء.

ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك[٨٩].

الفرق بين القضاء والقدر

اختلف العلماء في ذلك على أقوال، وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك:

١- قيل: المراد بالقدر: (التقدير)، وبالقضاء: (الخلق) كقوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}[٩٠]، يعنى خلقهن[٩١].

٢- وقد ذكر بعض العلماء: (أن القدر بمنزلة المُعَدِّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل) [٩٢].

٣- وقيل العكس: فالقضاءُ هو العلم السّابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدرُ: هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق[٩٣] .

٤- قال الجرجاني- رحمه الله- : (والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها)[٩٤].

٥- إن القدر: هو وجود الأفعال على مقْدار الْحاجة إليها والكفاية لما فعلت من أجله، ويجوز أَن يكون الْقدر هو الوجه الذي أردت إيقاع المراد عليه والمقدر الموجد له على

---

[٨٨]) نكري، دستور العلماء- جامع العلوم في اصطلاحات، المصدر السابق، ج٣/ص٤٤.

[٨٩]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ص/١٧٣.

[٩٠]) [فصلت: ١٢].

[٩١]) الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ١٤- فبراير ١٩٩٨م، ج٨/ص٣٢٤.

[٩٢]) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ج١/ص٦٧٥.

[٩٣]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، المصدر السابق، ج١/ص١٦٩.

[٩٤]) الجرجاني، التعريفات، ج١/ص١٧٤.

ذلك الوجه[٩٥].

وقيل أصل الْقدر: هو وجود الْفعل على مقدار ما أراده الفاعل، وحقيقة ذلك في أفعال الله- تعالى- وجودها على مقْدار المصلحة والقضاء هو فصل الأَمر على التّمام[٩٦] .

٦- أنه لا فرق بين القضاء والقدر؛ فكل واحد منهما بمعنى الآخر؛ فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر؛ ويعبّر عن كل واحد منهما كما يعبّر عن الآخر؛ فهما مترادفان من هذا الاعتبار، فيقال: هذا قدر الله، ويقال: هذا قضاء الله، ويقال: هذا قضاء الله وقدره[٩٧].

ولعل الأقرب- والله أعلم- أنهما إذا اجتمعا افترقا؛ بحيث يصبح لكل واحد منهما مدلول بحسب ما سبق في الأقوال السابقة؛ وإذا افترقا اجتمعا؛ بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر؛ وبالجملة فالأمر يسير؛ والخلاف فيها لا يترتب عليه شيء[٩٨].

٢: آراء المتكلمين في معاني القضاء والقدر

لقد جمع العلماء آراء القدرية حول مسألة القدر، وكذلك حول نفي جبر الله عباده على فعل الشّر، وقصدهم في ذلك تنزيه الله- تعالى- عند ما تنسب أفعال العباد إليه، معتمدين في ذلك على الآيات التي تنهي عن الفحشاء والمنكر، وتنفي- رضى الله- تعالى- عن الكفر والمعاصي، ولينسبوا السيئات إلى أصحابها ومكتسبيها.

---

[٩٥]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، معجم الفروق اللغوية، تح: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢هـ، ج١/ص٤٢٢.

[٩٦]) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، الفروق اللغوية، تح، د، عزة حسن، دار طلاس - دمشق، ١٩٩٦م، ج١/ص١٩١.

[٩٧]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ص/١٧٦.

[٩٨]) ابن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، المصدر نفسه، ص/١٧٦.

٢.١:القدريّة فرق وأصناف

فَصِنْف منهم يزعمون أن الْحسنات والخير من الله، والشّر والسيئات من أنفسهم، لكي لا ينسبوا إلى الله شيئا من السّيّئات والمعاصي، ويتكلمون بأشياء لا أستجيز ذكرها، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً[٩٩].

ويظهر هذا الرأي في مناظرةٍ، روي عن عمْرو بْن مُهاجرٍ قال: (بلغ عمرُ بْنُ عَبْد العزيزِ- رحمه اللَّه- أَنّ غيلان القدري[١٠٠] يقول في القدر، فبعث إليه فحجبه أيّامًا، ثُمّ أدخله عليه فقال: يا غيلان، ما هذا الّذي بلغني عنك؟ قال عمرو بنُ مهاجرٍ: فأَشَرْتُ إليه أَلّا يقولَ شيئًا، قال: فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إنّ اللَّه- عزّ وجلّ- يقول: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا *إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا *إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[١٠١]، قال عمر: اقْرأ إلى آخر السّورة: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا *يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[١٠٢]، ثمّ قال: ما تقول يا غيلانُ؟ قال: أقول: (قد كنت أعمى فبصّرتَنِي، وأصمَّ فأَسْمَعْتَنِي، وَضَالًّا فَهَدَيْتَنِي)، فقال عمر: اللّهمّ إن كان عبدك غيلانُ صادقًا وإِلَّا فَاصْلُبْهُ، قال: فأمْسَكَ عن الكلام في القَدَرِ، فولّاه عمرُ بْنُ عبدِ الْعزيز دَارَ الضَّرْبِ بدمَشْقَ، فلمّا مات عمرُ بْنُ عبدِ العزيز وأَفْضَتِ الخِلافةُ

---

[٩٩]) المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، د، ط، ج٣٥٧/٥.

[١٠٠]) هو غيلان بن مسلم الدمشقي، القدري، تنسب إليه فرقة الغيلانية من القدرية، وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، فقد سبقه معبد الجهني، قتل بسبب بدعته وصلب على باب كيسان بدمشق، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ميزان الاعتدال، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ج٣/ص٣٣٨- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، لسان الميزان، المحقق، دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م،ج٤/ص٤٢٤- الأعلام، للزركلي، ج٥/ص١٢٤- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، د، س، ط، ص/٤٦.

[١٠١]) [الانسان:١-٢-٣].

[١٠٢]) [الانسان: ٣٠-٣١].

إلى هشامٍ [١٠٣] تكلّم في القَدَرِ، فبعثَ إليه هشامٌ فقطع يدَه، فمرَّ به رجلٌ والذُّبابُ على يده، فقال: يا غيلانُ، هذا قضاءٌ وَقَدَرٌ؛ قال: كذَبْتَ لَعمْرُ اللَّهِ ما هذا قضاءٌ ولا قدر، فبعث إليه هشام فصلبه[١٠٤].

وكذلك هناك آيات كثيرة تفند رأي القدرية القائلين بنفي القدرة، نذكر منها قوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ} [١٠٥]، وقوله تعالى: {وَما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ} [١٠٦].

---

[١٠٣]) هو الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان، بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك، سنة خمس ومائة، وكان حازم الرأي، ذكياً، مدبراً، توفي سنة خمس وعشرين ومائة- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تح،علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٩/ص٣٦١- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ج٥/ص٣٥١- ابن شاكر، صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، فوات الوفيات، تح، إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ١٩٧٤م، ج٤/ص٢٣٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعى الافريقى، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م، ج٢٠/ص٢٤٢.

[١٠٤]) روى هذه القصة- الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض، كتاب القدر، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج١/ص١٩٨- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، شرح أصول الاعتقاد، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٤/ص٧١٢ - ٧١٣.- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض-السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٦/ص٩٢٠- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج١/ص٨٦.

[١٠٥]) [الانعام: ١٤٨-١٤٩].

[١٠٦]) [الانعام: ٥٩].

وقوله تعالى: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}[١٠٧]، وقوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِين}[١٠٨]، وآيات أخرى تقيم جانب الاختبار على ساقه لكي ينظروا إلى مسؤولية الإنسان عن أعماله، وأنه- تعالى- لا يكلف العباد ما لا يطيقون، وله الحجّة وليس للعباد، ولو أراد قهرهم على الخير لفعل وليس هناك مانع يحول دون تنفيذ مشيئته، هذا ما جعل الصحابة أن يبحثون عن العبادات دون الاعتقاد، ونسبوا كل الخلق إلى الله- تعالى.

وقال رسول الله- ﷺ- يقول: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»[١٠٩]، وكذلك يمكن أن نقول أنهم نظروا إلى جهة المعاصي من العباد فقط بعيداً عن الجانب (الخلق والإيجاد) المتعلقين بالله- تعالى- والله- تعالى- لا يعصى قسراً، أي إن المرء لا يعصي قسرا من دون قدرة الله عليه، وهذا لا يليق بذات الله- تعالى- ويمكن القول بنتيجة متوازنة وهي: خالقية الله- تعالى- للوجود، ومسؤولية الإنسان عن فعله ضمن ملك الله- تعالى- وكذلك دخول قضايا ومآرب سياسية بجملة القضايا المستحدثة بين المسلمين نتيجة توسع البلاد الإسلامية ودخول أمم أخرى في الإسلام.

ومنهم صنفٌ زعموا أن الله- عزّ وجلّ- جعل إليهم الاستطاعة تاماً كاملاً لا يحتاجون إلى أَن يزدادوا فيه، فاستطاعوا أَن يؤمنوا، وأن يكفروا ويأكلوا ويشربوا ويقوموا ويقعدوا ويرقدوا ويستيقظوا، وأَن يعملوا ما أرادوا، وزعموا أَن الْعباد كانوا يستطيعون أن يؤمنوا، ولولا ذلك ما عذّبهم على مالا يستطيعون إليه، وعن ابْن عبّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: {فَمن شَاءَ فليؤمن وَمن شَاءَ فليكفر}[١١٠]، يقول: (من شاء له الْإِيمان آمنَ ومَن شاء له الكفْرَ كَفَرَ[١١١]، وهو قوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[١١٢].

---

[١٠٧]) [الاعراف:٥٤].

[١٠٨]) [الاعراف:١٥٥].

[١٠٩]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، برقم (٢٦٥٥/١٨).

[١١٠]) [الكهف: ٢٩].

[١١١]) ابن عباس، عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية – لبنان، د، س، ط، ص/٢٤٦.

[١١٢]) [التكوير: ٢٩].

وقال ابْن عَبَّاس في قوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [١١٣] ؛ قد افلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دس الله نفسه فأضله[١١٤].

وقال: أيضا في قوله {يحول بَين الْمَرْء وَقَلبه}[١١٥]، يقول: (بين الْمؤمن والكفر ويحول بين الكافر والإيمان)، وعن ابْن عبّاس: في قوله {كَمَا بَدَأَكُمْ تعودُونَ}[١١٦]، قال إن الله- سبحانه- بدأ يخلق ابْن آدم مؤمناً وكافراً، كما قال- عزّ وجلّ- {هُوَ الَّذِي خَلقكُم فمنكم كَافِر ومنكم مُؤمن}[١١٧]، ثمّ يعيدهم- سبحانه- يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً[١١٨].

ومنهم[١١٩] صِنفٌ شبيبية[١٢٠] فهؤلاء أيضاً أنكروا أن يكون العلم سابقًا على ما به العباد عاملون وما هم إلَيه صائرون، كذب أَعداء الله، قال: ابن مسعود- رضي الله عنهما- عن رسول الله- ﷺ- الصّادق المصدوق: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً دَمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ مَلَكٌ، فَيُؤْمَرُ أَنْ يَكْتُبَ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ، فَيَعْمَلُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ

---

[١١٣]) [الشمس: ٩- ١٠].

[١١٤]) آل مُبَارَك، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، توفيق الرحمن في دروس القرآن، المحقق عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان، القصيم – بريدة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج٤/ص٤٩٢.

[١١٥]) [الأنفال: ٢٤].

[١١٦]) [الأعراف: ٢٩].

[١١٧]) [التغابن: ٢].

[١١٨]) أبو الحسين المَلَطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، العسقلاني، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، ج١/ص١٧٥.

[١١٩]) اي: القدريّة.

[١٢٠]) والشبيبية: أتباع محمد بن شبيب والنقاضية والبهشمية، ينظر: المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ، ج٤/ص١٧٨.

أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ، فَيَعْمَلُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»[١٢١] .

ومنهم[١٢٢] صنف أنكروا أن الله- عزّ وجلّ- خلق ولد الزّنا، أو قدره، أو شاءه، أو علمه، وأنكروا أن يكون الرجل الّذي سرق في عمره كله أَو يأكل الْحرام أن يكون ذلك رزق الله- عزّ وجلّ- وقالوا لم يرزقه الله رزقاً قطّ إلّا حلالاً، تعالى الله عمّا يقولون علوا كبِيراَ، هذا وابْن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: «الزِّنَا بِقَدَرٍ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ بِقَدَرٍ، وَالسَّرِقَةُ بِقَدَرٍ»[١٢٣] .

وقال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: (يا ابْن آدم لم توكل إلى القدر وإليه تصيرون)[١٢٤] .

ومنهم صنْف زعموا أن الله- عزّ وجلّ- وقت لهم الأرزاق والآجال لوقت معلوم فمن قتل قتيلا فقد أعجله عن أَجله ورزقه لغير أجله، وبقي له من الرزق ما لم يستوفه ولم يستكمله، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، فهذا إجماع كلام الْقدريّة[١٢٥]. قال يزيد الرقاشي:[١٢٦] قلت للحسن إنّك تقول من قتل فقد أعجل، فقال: «إن كنت قلت فأستغفر الله» وعن ابْن عبّاس قال: قال رسول الله- ﷺ- «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»[١٢٧] .

---

[١٢١]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب في القدر، برقم (٦٥٩٤).

[١٢٢]) اي: القدرية.

[١٢٣]) ابن بَطَّة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، الإبانة الكبرى، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَضَى مِنَ النُّطْفَةِ خَلْقًا كَانَ، دار الراية- الرياض، ١٤١٥هـ، ج٤/ص٤٥.

[١٢٤]) أبو الحسين الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ج١/ص١٧٦.

[١٢٥]) أبو الحسين الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المصدر نفسه، ج١/ص١٧٦.

[١٢٦]) يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاصّ ، وكان زاهدا، مات قبل سنة ١٢٠هـ- قال ابن حبان: كان من خيار عباد الله من البكائيين بالليل، واشتغل بالعبادة، ينظر: ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، مجروحي ابن حبان، تح، محمود إبراهيم زايد، دار الوعي- حلب، ١٣٩٦هـ، ج٣/ص٩٨- ميزان الاعتدال، للذهبي، ج٤/ص٤١٨- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تقريب التهذيب، المحقق، محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص/٣٨١.

[١٢٧]) أخرجه الترمذي في سننه، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقَدَرِيَّةِ، برقم (٢١٤٩).

وقال طاووس:[١٢٨] كنت جالساً عند ابْن عبّاس- رضي الله عنهما- ومعنا رجل من الْقدريّة، فقلت: «إن ناسا يقولون لا قدر فقال أههنا منهم أحد، قلت: لو كان فيهم ما كنت تصنع به؟ قال: لو كان فيهم أحد لأخذت برأسه» [١٢٩]، فقرأت عليه آية كذا وآية كذا {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ، لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا} [١٣٠].

وقال رسول الله- ﷺ- (ستّة لعنهم الله، وكُلّ نبيّ مُجاب: الزّائد في كتاب الله، والمكذِّب بقدر الله، والمتسلِّط بالجبروت ليذلّ بذلك من أعزّ الله، ويعزَّ به منْ أذل الله، والمستحلّ لِحُرَمِ الله، والمستحلُّ مِنْ عتْرتِي ما حرّم الله، والتارك لسنّتي)[١٣١]، وقال عز وجل: {وَإِن من قَرْيَة إِلَّا نَحن مهلكوها قبل يَوْم الْقِيَامَة أَو معذبوها عذَابا شَدِيدا كَانَ ذَلِك فِي الْكتاب مسطورا} [١٣٢]، وقوله: {وَلَو شِئْنَا لآتينا كل نفس هداها وَلَكِن حق القَوْل مني لأملأن جَهَنَّم من الْجنَّة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ} [١٣٣]، ولا أخذوا بقول أهل النّار حين دخلوها، فقالوا: {رَبنَا غلبت علينا شِقْوَتنَا وَكُنَّا قوما ضَالِّينَ} [١٣٤].

---

[١٢٨]) طاووس بن كيسان، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْيَمَانِيُّ الْجَنَدِيُّ [الوفاة: ١٠١ – ١١٠هـ] أَحَدُ الْأَعْلَامِ، كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الفرس الذين سَيَّرهُمْ كِسْرَى إِلَى الْيَمَنِ، مِنْ مَوَالِي بَحِيرِ بْنِ رَيْسَانَ الْحِمْيَرِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ مَوْلَى لِهَمْدَانَ، قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَانَ مِنْ عُبَّادِ أَهْلِ اليَمَنِ، وَمِنْ سَادَاتِ التَّابِعِيْنَ، مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، حَجَّ أَرْبَعِيْنَ حَجَّةً، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م، ج٣/ص٦٥- الزركلي، سير أعلام النبلاء، ج٥/ص٤٧.

[١٢٩]) أخرجه الحاكم في مستدركه، باب وَمِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، برقم (٣٣٧٢)- [التعليق- من تلخيص الذهبي]- (٣٣٧٢)- على شرط البخاري ومسلم.

[١٣٠]) [الإسراء: ٤].

[١٣١]) إسناده حسن من أجل عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب، برقم (٤٧٥٦) في مسند أبي يعلى الموصلي، وهو في الإحسان ج٧/ص٥٠١، برقم (٥٧١٩) وفيه ستة لعنتهم لعنهم الله. وكذلك هي عند الحاكم. وأخرجه الحاكم ج١/ص٣٦، من طريق محمد بن المؤمل، ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، المحقق، محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية،ج١/ص١٥٤.

[١٣٢]) [الإسراء: ٥٨].

[١٣٣]) [السجدة: ١٣].

[١٣٤]) [المؤمنون: ١٠٦].

ولا أخذوا بقول إبليس أجارنا الله منه، إذ يقول: {فبعزتك لأغوينهم أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادك مِنْهُم المخلصين}[١٣٥].

يقول من أخلصه الله فلا سبيل لي عليه، وإن الله- عزّ وجلّ- نهى آدم عن أكل الشّجرة وأعانه عليها وأمر إبليس بالسّجود وحال بينه وبين ذلك[١٣٦].

٢.٢:الجبرية

الجبرية وهم الجهمية نفاة الصفات، لكن في باب القدر نطلق عليهم الجبرية، وهؤلاء يقولون إن كلّ شيءٍ لا يقع إلا بقضاء الله وقدره، وهذا قول صحيح لا غبار عليه، ولكن يا ليتهم وقفوا عند هذا، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر؛ حتّى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل، كالرّيشة[١٣٧] في مهبّ الرياح[١٣٨]، وإنما تسند الأفعال إليه مجازاً، فيقال: صلّى وصام، وقتل، وسرق، كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الرّيح، ونزل المطر، فاتّهموا ربّهم بالظّلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتّهموا بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون[١٣٩]. لقد حكم بعض العلماء بكفر- جهم بن صفوان- نتيجة تصريحه ببعض الآراء المخالفة لأحكام القرآن والشريعة الإسلامية؛ فقد نفى الصفات الإلهية عدا صفتي (الخلق والايجاد) وأنه أظهر هذه البدعة،

---

[١٣٥]) [ص: ٨٢-٨٣].

[١٣٦]) أبو الحسين الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ج١/ص١٦٥.

[١٣٧]) الريشُ للطائر، الواحدة ريشَةٌ، ويجمع على أَرْياشٍ، والرِّيْشُ بالفتح: مصدر قولك رِشْتُ السهمَ إذا ألزقتَ عليه الريشَ، فهو مَريشٌ، ينظر: الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ،ج٣/ص١٠٠٨.

[١٣٨]) الجبرية هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي وسموا جبرية لأن مذهبهم أن العبد مجبور على فعله وحركاته، وأفعاله اضطرارية، فالجبرية يزعمون أن العباد لا يفعلون شيئاً البتة، وأن الفاعل عندهم هو الله حقيقة وإضافة أفعال العباد إليهم عند الجبرية مجاز، ومذهبهم باطل- السلمان، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج١/ص١٠٤.

[١٣٩]) هرّاس، محمد بن خليل حسن هرّاس، شرح العقيدة الواسطية، دار الهجرة– الخبر، ١٤١٥هـ، ج١/ص٢٣٠.

وإن لم يكن هو أول مَن تكلم في هذه البدعة، فإنه سبقه إليها شخص آخر يدعي (الجعد بن درهم)[١٤٠]، سبق (الجهم) فهو أول من حُفظ عنه في الإسلام مقالة التعطيل، والتعطيل الذي ابتدعه (الجعد بن درهم) إنما هو في كلمتين قال: (إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتّخذ إبراهيم خليلاً، لكن هاتين الصفتين ترجع إليهم جميع الصفات)، قال: إن الله لم يتّخذ إبراهيم خليلا، فأنكر الخلة والمحبة، وقال: ليس هناك محبة ولا خلة؛ لأن المحبة لا بد أن تكون لنسبة بين المحب والمحبوب، ولا نسبة بين (الخالق والمخلوق)[١٤١]، لان الله في نظرة لا يمكن أن يتصف بصفة تكون مشتركة بينه وبين خلقه، فذلك يقتضي التشبيه، وقال الإمام (أبو حنيفة)- رحمه الله- : بالغ (جهم بن صفوان) في نفي، حتى قال: (إن الله ليس بشيء) ولم ينكر السلف على الجهمية الجبرية فحسب، وإنما أجمعوا على ذم الجهمية بسبب إنكار الصفات؛ حتى قالوا أن القرآن ليس كلام الله وأنه مخلوق[١٤٢].

وقال (جهم بن صفوان) في جواب من طلبوا منه أن يصف لهم الله: (هو هذا الهواء مع كلّ شيء، وفي كلّ شيء، ولا يخلو من شيء[١٤٣]، ومن أقوالهم في أفعال العباد أيضاً: أن أفعالهم غير اختيارية لهم وهم مقهورون في أفعالهم وإرادتهم وليس لإرادتهم دخل فيها ولا كسب، وكذلك ليس لقدرتهم تأثير فيها، وقد استدلت الجبرية ببعض الآيات القرآنية،

---

[١٤٠]) [أصله من خراسان، ويقال إنه من موالي بني مروان، سكن الجعد دمشق، كانت له بها دار بالقرب من القلنسيين إلى جانب الكنيسة] أول من قال بخلق القرآن. كان يسكن دمشق، وله بها دار، وهو الذي ينسب إليه مروان ابن محمد، لأنه كان معلمه. وقيل إنه كان من أهل حرّان، هو الذي قتله خالد بن عبد الله القسري بالكوفة يوم الأضحى، وكان أول من أظهر القول بخلق القرآن في أمة محمد، فطلبه بنو أمية فهرب من دمشق وسكن الكوفة، ومنه تعلم الجهم بن صفوان بالكوفة خلق القرآن ، وهو الذي تنسب الجهمية إليه، وقتله سلم بن أحوز بأصبهان. (المتوفي سنة: ١٢٤هـ) يوم عيد الأضحى بالكوفة، تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج٧٢/ص٩٩.

[١٤١]) ابن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن احمد، الرد على الزنادقة والجهمية، المحقق، وغيش بن شبيب العجمي، غراس- الكويت، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، ص٢٦٥- ٢٧٠.

[١٤٢]) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ،ج١٣/ص٣٤٥.

[١٤٣]) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، العرش، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ج٢/ص٢٥٢.

كقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) [١٤٤]، وقوله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكنَّ اللَّهَ رَمَى} [١٤٥]، وقوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ} [١٤٦]، وغيرها من الآيات التي ذكرناها التي تدلّ على أن الله خالق كل شيء، وأن أفعال العباد قد حددت مسبقاً [١٤٧].

وكذلك نذكر بعض الأدلة الأخرى لكي نستفد منها أكثر، وتكون عبرة لنا، كما تأتي:

أولاً: في الإرادة والمشيئة:

أ-في الإرادة؛ استدلوا بقوله تعالى:{فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [١٤٨]، وقوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [١٤٩].

ب- في المشيئة؛ ذهب كثير من المتكلمين إلى أن الإرادة والمشيئة بمعنىً فقط، وأما الجبريون استدلوا بآيات المشيئة التي ظاهرها الجبر وحقيقتها بيان مقاصد أخرى، وبيان قدرة الله- تعالى- المتعلقة بالممكنات والكون والفساد، ومن أمثلة آرائهم هذه:

قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [١٥٠]، وفيها أيضا: {وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُواْ ولكنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [١٥١].

فالجبريون استدلوا بهذه الآية على أن الله- تعالى- شاء اقتتالهم فاقتتلوا ولو شاء منعهم لمنعهم، فالاقتتال كان بمشيئة الله.

ثانياً: الهداية والضّلالة:

استدلوا بآيات الهداية والضلالة على أن الإنسان مغلوب على أمره، فليس له أن يختار الهداية لنفسه أو يبعد عنها الضلالة.

فذكروا منها قوله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} [١٥٢].

---

[١٤٤]) [الزمر:٦٢].

[١٤٥]) [الأنفال: ١٧].

[١٤٦]) [البقرة: ٧].

[١٤٧]) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٤٣٨.

[١٤٨]) [التوبة: ٥٥].

[١٤٩]) [الأنعام: ١٢٥].

[١٥٠]) [البقرة: ٢٥٣].

[١٥١]) [البقرة: ٢٥٣].

[١٥٢]) [البقرة: ٢٦].

فالجبرية استدلوا بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}[١٥٣]، وقوله: ((بِإِذْنِ الله)) فبقضاء الله وقدره وبإرادته الأزلية وتقديره الحكيم، يتميز المؤمنين عن المنافقين، وذلك بأن الله- تعالى- يأمرنا بالإيمان وإذا آمنا فيرضى عنّا، لأن الله- تعالى- أذن للكافر أن يكفر، ولكن لا يرضى عن كفره ولا يحبه، كما قال تعالى: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}[١٥٤]، أو كما قال تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[١٥٥].

ثالثاً: الختم

كذلك استدلوا بالآيات التي وردت في ختم الله- تعالى- على قلوبهم فلا يصلها الإيمان، كقوله تعالى:{وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}[١٥٦]، ثم إن قول الجبرية هذا ناتج من عدم فهمهم لنصوص القرآن الكريم إلى جانب توجيه النص، والاستدلال بهم حسب مبادئهم وأفكارهم، حيث أن الشرع والعقل والحس يدل على أن العبد فاعل لفعله، وأنه يستحق عليه الذم، حيث قال تعالى: {هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[١٥٧]، وقال تعالى: {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ}[١٥٨]، ومن المعلوم أن العقل والحس يثبت لكل فاعل فعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأن الله- تعالى- هو الذي جعله فاعلا ومحدثا له، فالله- تعالى- هو (الخالق) والعبد هو الفاعل والكاسب، وأن تلك الآيات التي اعتمد عليها القائلون بالجبر، واعتبروا أنها دالة على أن العبد مجبر على أعماله من قيام وقعود ومشي وعبادة وغيرها، لا اختيار له في إيجادها وإيقاعها، ولذلك ذهب (الجهم بن صفوان) إلى أن الإنسان لا يقدر على شيء من أفعاله، ولا يوصف بالاستطاعة؛ وإنما هو مجبور في أفعاله، ولا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله- تعالى- فيه الأفعال على حسب ما يخلقها في الجمادات[١٥٩].

---

[١٥٣]) [آل عمران: ١٤٥].

[١٥٤]) [الزمر:٧]

[١٥٥]) [البقرة: ٢٠٥].

[١٥٦]) [النساء: ١٥٥.

[١٥٧]) [النمل: ٩٠].

[١٥٨]) [آل عمران: ٢٥].

[١٥٩]) محمد حسن رباح بخيت، افعال العباد بين الجبر والاختيار، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، رسالة الدكتوراه، جمهورية السودان،١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،ص/٣٠٨.

وخلاصة الكلام بعد عرض هذه الآراء

يبدو لي من هذه الأدلة المذكورة وغيرها، إن الجبرية تمسكوا بنصوص في شكلها الجبر والقهر من كون الهداية والضلالة والخلق والقدر والإذن والمشيئة والإرادة كلها بيد الله وتحت أمره ورعايته، ففي هذه الحالة لا قدرة ولا قوة للخلق بالتصرف والعمل بها إلا ما خلق الله- تعالى- فيهم، إلا أننا إذا درسنا ونظرنا إلى نصوصهم وأدلتهم وآرائهم من خلال أسباب النزول والآيات التي سبقت استدلوا بها، فيتضح لنا ويبدو بأن هذه الآيات التي سبقتها لم تتناول جانباً واحداً، بل تنوعت موضوعاتها من بين الحديث عن قدرة الله المطلقة؛ وإرادته؛ وتقديره للخلق وشمولية علم الله- تعالى- بالوجود.

٢.٣:المعتزلة

المعتزلة مدرسة فكرية واسعة، تضم اتجاهات فكرية متباينة بخصوص القدرة الإنسانية، ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة، يقول البغدادي: (إن أهل السّنة هم الذين سموهم معتزلة لاعتزالهم قول الأمة)[١٦٠]. وقيل سموا بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم (واصل بن عطاء) مجلس أستاذه (الحسن البصري)، وهم يقولون بالأصول الخمسة وأحد منها هي- التوحيد- وستروا تحته نفي الصفات والقول بخلق القرآن،- والعدل- يعني القول بحرية الإنسان واختياره، وقدرته على خلق الأفعال الصادرة منه بحسب قصده إليها وإرادته لها، واختراعه لهذه الأفعال[١٦١]، أو ستروا تحته القول بخلق الإنسان لأفعاله،- والمنزلة بين المنزلتين- وستروا تحتها تكفير مرتكب الكبيرة،- وإنفاذ الوعد والوعيد- وستروا تحته تخليد مرتكب الكبيرة في النار- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وستروا تحته وجوب الخروج على الإمام الجائر[١٦٢]، ثم بعد ذلك وحين صدرت مسألة القدر والآراء الجديدة ليعرف مدى صحتها وتلافيها مع مصدر العقيدة عند المسلمين، أو الإنسان مجبور أم مختار؟ وتارة ما يدلّ على أن

---

[١٦٠]) الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي أبو منصور، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٧م، ص/٩٤.

[١٦١]) محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشرق، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص/١٤.

[١٦٢]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١/ص٤٣- ٤٤.

المعاصي من الإنسان، وأن الشر منه، وأما الخير فهو من الله، وتارة ما يدل على أن الإنسان له الاختيار المطلق في أفعاله خيرها وشرها[١٦٣]. (فالعدل) عند المعتزلة أصل من أصولهم، وقالوا: ليس من العدالة أن يكلف الله المرء بما لا يطاق، أو يسأل عما لم يفعل، وبناءً على هذه القاعدة اتفقت كلمتهم على أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، ويستحق على فعله الثواب والعقاب في الآخرة، وأنه- تعالى- منزه عن أن يضاف إليه الشر والظلم، أو فعل كفر أو معصية[١٦٤]، لقد أراد المعتزلة بهذا القول: أن ينزهوا الله عن النقص وما لا يليق بجلاله، واختلط عليهم فيما بعد ما يسأل عن تصرفات البشر ويضيفونها إلى فعل الله- تعالى- وكذلك اختلط عليهم الأجوبة الناشئة عن تساؤلاتهم النظرية ضمن أصل العدل، فهم لا يعترفون من خلال صفات الذات إلا بالعلم والقدرة، لأنه لا يجوز أن يوصف الله بضدهما، أما الصفات التي يمكن أن يوصف بضدهما فتعد من صفات الأفعال.

والحاصل بعد عرض هذه الآراء

إن المعتزلة اتفقوا على أن أفعال الإنسان غير مخلوقة لله- تعالى- وأن من قال إن الله- تعالى- خالقها ومبدعها ومحدثها فقط عظم خطئه وقوله، وذلك لأن هذه الأفعال متعلقة بالإنسان فلا يصح أن تتعلق بالذات الإلهية، وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم، وأن الإنسان محدث لما يصدر عنه من أفعال، إن الفاعل المختار إنما تأتي أفعاله بحسب قصده ودواعيه، كما أن هذه الأفعال تنتفي وتنتهي بحسب الكراهة لها والموانع التي تمنع من مباشرتها، وإذا كان وقوعها مشروطة بقصد الفاعل لها ودواعيه إليها، كما أن عدم وقوعها مشروط بكراهته لها والموانع التي تصرفه عنها وتحول بينه وبينها، كانت لا محالة فعله لا فعل غيره حتى ولو كان هذه الغير هو الله- تعالى- رأت المعتزلة: إن الإنسان فاعل لأفعاله على جهة الحقيقة، وليس على جهة المجاز[١٦٥]، وذهبت المعتزلة إلى أن الإنسان خالق لأفعاله، وذلك لأن معنى الخلق عندهم ليس (هو الاختراع والإبداع) ولا

---

[١٦٣]) الغرابي، علي مصطفى، الفرق الإسلامية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٨٤م، ص٤٥-٤٦.

[١٦٤]) ابراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة، ٢٠٠٣م، ج٢/ص١٠٣.

[١٦٥]) ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق، دكتور محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية،١٩٦٤م، ص/٢٢٦.

الإيجاد من العدم، وإنما (الخلق) الإنساني عندهم هو الفعل والصنع على أساس من التقدير والتخطيط السابق على التنفيذ[١٦٦].

٢.٤:السلف وأهل الحديث في معاني القضاء والقدر

بدايةً الإسلام هو السّنة، والسّنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر.
فمن السّنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة[١٦٧] الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً.

والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد- ﷺ- وهم أهل السّنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلّ وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.
وذلك أن السّنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى النّاس الإتباع[١٦٨].
يقول الإمام (ابن تيمية) - رحمه الله- وأجزل له المثوبة، مذهب أهل السّنة والجماعة في هذا الباب: ما دلَّ عليه الكتاب والسّنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أنّ الله خالق كلّ شيء وتمليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسنا وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءَه، بل هو القادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل

---

[١٦٦]) القرني، الدكتور، اسماعيل محمد القرني، القضاء والقدر عند المسلمين، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م، ص/٢٤٥.

[١٦٧]) (الرِّبْقُ) بِالْكَسْرِ حَبْلٌ فِيهِ عِدَّةُ عُرًا تُشَدُّ بِهِ الْبَهْمُ، الْوَاحِدَةُ مِنَ الْعُرَا (رِبْقَةٌ)، ينظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج١/ص١١٧.

[١٦٨]) المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية، القاهرة- مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، د، س، ط، ج٥/ص١٣٣.

شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون، وسلف الأمة وأئمتها متفقون على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسّنة، ومتفقون على أنه لا حجّة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرّم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده، ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله[١٦٩].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله- (ونؤمن بالقضاء خيره وشره، حلوه ومره من الله)؛ ويقول في مكان آخر: أجمع سبعون من التابعين، وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار، على أن السّنة التي توفي عليها رسول الله - ﷺ- (أولها الرِّضا بقَضاءِ الله والتسليمُ لأمره، والصبرُ تَحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنَّهي عما نهى عنه، وإخلاصُ العمل لله، والإيمانُ بالقدر خَيره وشره، وتَرك المِراءِ والجَدل والخصومات في الدين)[١٧٠].

وخلاصة الكلام في القدر: إن أئمة السلف اتفقت على أن العباد مأمورون بما أمر الله به؛ ومنهيون عما نهى الله عنه؛ وآمنت بوعده ووعيده؛ وقالت على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه؛ ولا محرم فعله؛ بل لله الحجة البالغة على عباده؛ وما اتفقت عليه أئمة السلف؛ مع أنها آمنت بالقضاء والقدر؛ وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون

---

[١٦٩]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، تح، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج٨/ص٤٤٩- أبو عمار، د، محمود المصري، موسوعة القضاء والقدر، مكتبة الصفا ، القاهرة، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م، ص/١٦٥- ١٦٦- الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، القضاء والقدر، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ص/٩٧-٩٨.

[١٧٠]) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، مناقب الامام احمد، دار هجر، ١٤٠٩هـ، ص/٢٢٧-٢٤٠.

بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[١٧١].

٣: الآيات الواردة في القضاء والقدر

أ- آيات القضاء (قضاء الله)

١. {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[١٧٢]، يبيّن بذلك كمال قدْرته وعظيم سلْطانه، وأنّه إذا قدّر أمْرا وأراد كوْنه فإنما يقول له {كنْ} أي مرّة واحدة {فيكون} أي: فيوجد على وفق ما أراد[١٧٣].

٢. {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[١٧٤]، إشارة إلى أنه- تعالى- كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك[١٧٥].

٣. {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[١٧٦]؛ ليقضي الله الأجل الذي سماه لحياتكم، وذلك الموت، فيبلغ مدته ونهايته[١٧٧].

---

[١٧١]) [الإنسان:٣٠].

[١٧٢]) [البقرة :١١٧].

[١٧٣]) الصابوني، تحقيق، محمد علي الصابوني، مختصر ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، ج١/ص١١١.

[١٧٤]) [آل عمران:٤٧].

[١٧٥]) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ، ج٢/ص١٧.

[١٧٦]) [الأنعام: ٦٠].

[١٧٧]) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١/ص٤٠٧.

٤. {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ}[١٧٨]، ثمّ قضى أجلًا أجل الموت، وأجل مسمّى عنده أجل القيامة[١٧٩].

٥. {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا}[١٨٠].

وقضى ربّك[١٨١]، روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمَر ربك[١٨٢].

٦. {مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[١٨٣]، أيْ: إذا قضى أمْرا من الْأمور فيكون حينئذ بلا تأْخير[١٨٤].

٧. {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}[١٨٥]، أي: من قبل أن يقضيَ اللَّه إليكَ وَحْيَهُ[١٨٦].

٨. {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا}[١٨٧]، أيْ: إذا قضى رسول الله، وذكر الله- تعالى- لتعظيم أمره- ﷺ- أو للإشعار بأنّ قضاءه- ﷺ- قضاءُ الله- عزّ وجلّ[١٨٨].

٩. {هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}[١٨٩]، هو المتفرد بالإحياء والإماتة، فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له «كن» «فيكون» لا رادَّ لقضائه[١٩٠].

---

[١٧٨]) [الأنعام: ٢].

[١٧٩]) الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢/ص٤.

[١٨٠]) [الإسراء:٢٣].

[١٨١]) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢ هـ، ج٣/ص١٧.

[١٨٢]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب- الذكر والدعاء والتوبة، باب-التعوذ من البحر والكسل وغيره برقم (٢٧٠٦).

[١٨٣]) [مريم:٣٥].

[١٨٤]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ، ج٣/ص٣٩٣.

[١٨٥]) [طه: ١١٤].

[١٨٦]) معاني القران، للزجاج، ج٣/ص٣٧٩.

[١٨٧]) [الأحزاب: ٣٦].

[١٨٨]) أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٧/ص١٠٤.

ب- آيات القدر

١- {فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى}[١٩١]، أي: جئت مجيئا قد مضى به القدر[١٩٢].

٢- {وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}[١٩٣]، أي: قدْ قُدِرَ في اللوح المحفوظ[١٩٤].

٣- {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}[١٩٥]، أي: والمعنى في تصدير الآية بلفظ الجلالة هو أن اللَّه- تعالى- هو الذي بسط لكم الرزق، فكان حقا عليكم أن تشكروا لَا أن تكفروا وتشركوا أحجارا، وهو الذي قدر الرزق للضعفاء والفقراء فصبروا فحق لهم التكريم وحسن الجزاء، ولا يستوي المحسن والمسيء، ولا الأعمى والبصير، وإن اللَّه الذي بسط الرزق وقدره لم يجعل أمر الدنيا في السعة والضيق دليلاً على الرضا أو البغض إنما هذا للاختبار، فهو يختبرنا بالتوسعة ويطالب بالشكر، ويختبر بالقدر والضيق ويطالب بالصبر، وكل له جزاؤه[١٩٦].

٤- {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّر* فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}[١٩٧]، والمعنى فكر فيما يُخيل طعناً في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه، تعجب من تقديره استهزاء به[١٩٨].

٥-{إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ}[١٩٩]، أي: مقدار معلوم من الوقت[٢٠٠].

---

[١٨٩]) [غافر: ٦٨].

[١٩٠]) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، ج١/ص٤٧٥.

[١٩١]) [طه: ٤٠].

[١٩٢]) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ج١/ص٥٠٤.

[١٩٣]) [القمر: ١٢].

[١٩٤]) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٥/ص٨٧.

[١٩٥]) [الطلاق: ٧].

[١٩٦]) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج٨/ص٣٩٤٢.

[١٩٧]) [المدثر:١٨-١٩].

[١٩٨]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ج٥/ص٢٦٠-٢٦١.

٦- {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}[٢٠١]، أي: قدر خلقه فهدى الإنسان لسبيل الخير والشر، وهدى البهائم للمراعي، وقال مجاهد- رحمه الله- : (هدى الإنسان للشقاوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها) [٢٠٢].

٧- {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[٢٠٣]، أي: قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره وأصله الستر ثم استعمل في معرفة الشيء أي لم يعرفوه حق معرفته حيث أنكروا إرساله للرسل وإنزاله للكتب[٢٠٤].

٨- {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[٢٠٥]، فهذا هو تقدير (العزيز العليم) وهو- سبحانه- يعطينا حيثيات الثقة في كونها حسبانا لنحسب عليها، فهو- جلّ وعلا- خالقها بتقدير عزيز لا يغلب، وهو عزيز يعلم علما مطلقا لا نهاية له ولا حدود[٢٠٦].

٩- {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ}[٢٠٧]، أنه- تعالى- قدر حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبُطْءِ بحيث تَتِمُّ الدَّوْرَةُ في سنة، وقدر حركة القمر بحيث يُتِمُّ الدَّوْرَةَ في شهر، وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم في الفصول الأربعة، وبسببها يحصل ما يحتاج إليه من نضج الثمار[٢٠٨].

---

[١٩٩]) [المرسلات: ٢٢].

[٢٠٠]) الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ج٤/ص٤٢٥.

[٢٠١]) [الأعلى: ٣].

[٢٠٢]) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج١٢/ص٨٢٠٦.

[٢٠٣]) [الأنعام: ٩١].

[٢٠٤]) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله البخاري الحسيني، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة - صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج٤/ص١٩٠.

[٢٠٥]) [الأنعام:٩٦].

[٢٠٦]) الشعراوي، محمد متولي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج٦/ص٣٨١٣.

[٢٠٧]) [يونس:٥].

[٢٠٨]) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٢٠هـ ،ج١٣/ص٧٨.

١٠- {وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ}[٢٠٩]، أي: قدره، ودبره، فلا تنكروا البعث بعد الموت[٢١٠].

١١- {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}[٢١١]، أي: معناها بما قدّر لها[٢١٢].

١٢- {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}[٢١٣]، لكلّ أرض حدّ مقدّر، ويقال: لا تنزل من السّماء قطرة إلاّ ومعها ملك يسوقها حيث يرِيد الله- عزّ وجلّ- ويشاء[٢١٤].

١٣- {إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ}[٢١٥]، والغبور فعلها، ثم أخبر أنه قدر ذلك؛ دل أن أفعال العباد مخلوقة لله مقدرة له[٢١٦].

١٤- {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ}[٢١٧]، أي: ظن أن لن نقدّر عليه ما قدّرناه من كونه في بطن الحوت، ويقْدِر بمعنى يُقَدِّر[٢١٨].

١٥- {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[٢١٩]، معناها: قدّر لكلّ شيءٍ تقْديرا من الأجل والرّزق، فجرت المقادير على ما خلق[٢٢٠].

١٦- {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ}[٢٢١]، يطوي لمن رضي رزق القضاة بتدبير الله له، وأسقط عنه سوء تدبيره، ورده إلى حال الرضا بالقضاء

---

[٢٠٩]) [الرعد:٨].

[٢١٠]) القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج٥/ص٣٦٧٩.

[٢١١]) [الرعد:١٧].

[٢١٢]) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٩/ص٣٠٤.

[٢١٣]) [الحجر:٢٧].

[٢١٤]) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٤/ص٣٧٥.

[٢١٥]) [الحجر:٦٠]

[٢١٦]) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج٨/ص٢٢٥.

[٢١٧]) [الأنبياء:٨٧].

[٢١٨]) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٣/ص٤٠٢.

[٢١٩]) [الفرقان:٢].

[٢٢٠]) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٦/ص٦٩.

[٢٢١]) [السجدة:٥].

والاستقامة في جريان المقدور عليه أولئك من المقربين، وأن الله- تعالى- خلق الخلق من غير حجاب، ثم جعل حجابهم تدبيرهم [٢٢٢].

١٧- {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[٢٢٣]، أي: وكان أمره الّذي يقدّره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن[٢٢٤].

١٨- {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ}[٢٢٥]، أي: قدرنا فيها السير؛ لتسيروا فيها، أو على الأمر، أي: قدرنا فيها السير، وقلنا لهم: سيروا فيما أنعم اللَّه عليكم، وتقلبوا فيها ليالي وأيامًا آمنين من الجوع والعدو وكل آفة[٢٢٦].

١٩- {وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ}[٢٢٧]، وهو بذلك يخبرنا بأنه قدر في الأرض أقواتها، وقدر هذه الأقوات للإنسان الخليفة في الأرض، لتُقيّت الإنسان لهذه الحياة[٢٢٨].

٢٠- {وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}[٢٢٩]، أي: ينزّل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم، وقال مقاتل: ينزّل بقدر ما يشاء، يجعل من يشاء غنيا ومن يشاء فقيرا[٢٣٠].

٢١- {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا}[٢٣١]، أي: بمقدار معلوم[٢٣٢].

---

[٢٢٢]) التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، تفسير التستري، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٣هـ، ج١/ص١٢٥.

[٢٢٣]) [الأحزاب:٣٨].

[٢٢٤]) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٦/ص٤٢٧.

[٢٢٥]) [سبإ: ١٨]

[٢٢٦]) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٨/ص٤٣٩.

[٢٢٧]) [فصلت:١٠].

[٢٢٨]) الشعراوي، الخواطر، ج٥/ص٢٩٢٩.

[٢٢٩]) [الشورى:٢٧].

[٢٣٠]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦/ص٢٧.

[٢٣١]) [الزخرف:١١].

[٢٣٢]) الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، ج٤/ص٧٥.

٢٢- {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[٢٣٣]، أي: كل ما خلقنا فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه[٢٣٤].

٢٣- {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}[٢٣٥]، أي: أن الموت مجعول على تقدير معلوم مراد، مع ما في مادة قدّرنا من التّذكير بالعلم والإرادة لتتوجه أنظار العقول إلى ما في طيّ ذلك من دقائق وهي كثيرة، وخاصّة في تقدير موت الإنسان الذّي هو سبيل إلى الحياة الكاملة إن أخذ لها أسبابها[٢٣٦].

٢٤- {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}[٢٣٧]، أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه[٢٣٨].

٢٥- {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}[٢٣٩]، جعله الله على الكفار مقدار خمسين ألف سنة[٢٤٠].

٢٦- {وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[٢٤١]، أي: أنه يعلم مقادير اللّيل والنّهار فيعلم القْدر الّذي تقومون من اللّيل[٢٤٢].

٢٧- {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}[٢٤٣]، قال مجاهدٌ: قدَّر الشقاوة والسعادة، وهدى للرشد والضلالة، وعنه: هدى الإنسان للسعادة والشقاوة، وهدى الأنعام لمراعيها[٢٤٤].

---

[٢٣٣]) [القمر:٤٩].

[٢٣٤]) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٥/ص٩٢.

[٢٣٥]) [الواقعة:٦٠].

[٢٣٦]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤هـ، ج٢٧/ص٣١٤.

[٢٣٧]) [الطلاق:٣].

[٢٣٨]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج١/ص٨٦٩.

[٢٣٩]) [المعارج:٤].

[٢٤٠]) القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج٩/ص٥٧٤٨.

[٢٤١]) [المزمل:٢٠].

[٢٤٢]) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٨/ص٢٥٦.

[٢٤٣]) [المرسلات:٢٣].

[٢٤٤]) ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، ج٢٠/ص٢٧٥.

٢٨- {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}[٢٤٥]، قال ابن كثير- رحمه الله-: قدَّر رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أو سعيد [٢٤٦].

٤: رأي الگوّراني في معاني القضاء والقدر

رأي الامام الگوّراني - رحمه الله - في هذا الحديث الذي شرحه، وأجاب عن سؤال موجه له، وهذا هو، فإن قلت: الإيمان بالقدر من أركان الإيمان، فما معنى ما رواه مسلم: (إِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا)[٢٤٧].

وجواب الإمام- رحمه الله- بقوله، قلت: أراد سرّ القدر، فإنه مما استأثر الله به[٢٤٨] . فإذاً يبدو من رأي الإمام الگوّراني- رحمه الله- من خلال شرحه للحديث هو التسليم بقضاء الله وقدَرِه، وترك البحث والتنقير عن القدَرِ؛ والتعمُّقِ في التفكير والنظر فيه؛ واجتنابُ السؤالِ عنه والمُناظَرةِ عليه والخصومة به؛ كما هو شرحه هذا موافق لقول الإمام الآجري: (لأنَّ القَدَرَ سِرٌّ من سِرِّ الله- عزَّ وجلَّ- بل الإيمان بما جرتْ به المقادير من خيرٍ أو شرٍّ واجبٌ على العباد أَنْ يُؤْمِنوا به، ثمَّ لا يأمن العبدُ أَنْ يبحث عن القَدَرِ فيُكذِّبَ بمَقادير الله الجارية على العباد؛ فيضلّ عن طريق الحقِّ)[٢٤٩]، فإذاً والمؤمن يجب أن يعتقد أن جميع أفعال العباد، وما يحدث في هذا الكون وما يجري عليه إنما هو بقضاء الله- تعالى- وقدره، ولكنَّ مشيئة الله- تعالى- شاءت أن يكون للإنسان مشيئة حرة مستقلة، وهذه المشيئة هي أساس التكليف للإنسان، وهذه صارت الاختبار والابتلاء له، حتى وبمنزلة الثواب والعقاب، وبسبب هذه المشيئة يكسب الإنسان ما هو خير ولائق له، أو يكتسب الشّر، فيُثاب عليه إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشرّ.

---

[٢٤٥]) [عبس:١٩].

[٢٤٦]) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني - القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٣/ص٤٩٥.

[٢٤٧]) أخرجه الطبراني في معجم الكبير، برقم (١٤٢٧).

[٢٤٨]) الگوّراني، أحمد بن اسماعيل بن عثمان بن محمد، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المحقق: محمد بن رياض الاحمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م، ج١٠/٤١١.

[٢٤٩]) الآجري، الشريعة، ج١/ص٣٥٧.

ولكنّ النبي - ﷺ- نهانا عن الخوض في موضوع القضاء والقدر، والبحث في مكنون أسرارهما، لأن المخلوق الحادث لا يستطيع أن يدرك حقيقة علم الخالق القديم كما يتبين في الحديث السابق المذكور.

ونستطيع أن نقول أن القضاء والقدر نوعان:

نوع لا كسب فيه للإنسان، لأنه لا إرادة له فيه ولا يؤاخذ عليه، مثل حركة الأفلاك والأنواء، ونزول المطر، ونمو النبات، واختلاف أحوال الناس من صحة ومرض، وقوة وضعف وغنى وفقر، وحياة وموت، وبما أن من لوازم الحكيم، أن تكون أفعاله حكيمة، والقضاء والقدر من أفعاله، فالقضاء والقدر الذي لا كسب للإنسان فيه متعلق بالحكمة، والحكمة متعلقة بالخير المحض فقط.

ونوع آخر من القضاء والقدر متصل بأفعال العباد، لأن الإنسان مُنح إرادة حرة وهي أساس التكليف، والابتلاء، وقد منحه الله أيضاً مقومات التكليف، والابتلاء، فسخر له ما في السماوات والأرض تسخير تعريف وتكريم، ليؤمن به ويشكره على ما سخّر الله له، ومنحه العقل قوةً إدراكية يتعرّف به إلى الله- تعالى- خلال كونه المسخّر.

فإذاً من لم يؤمن بقضاء الله- تعالى- فقد خرج عن الملّة، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر، وإن الله- تعالى- لا يُطاع استكراهاً، ولا يُعصى بغلبة، لأنه- تعالى- مالكٌ لما ملَّكهم، وقادرٌ على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم كان ذلك عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنَّة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجّة عليهم، ثم أقول والطوائف ما بين غال في اثبات القدر لله- تعالى- إلى حد القول بالجبر ونفي القدرة والإرادة عن العبد، ومفرط في القدر إلى حد نفي بعضه عن الله وإثباته للعبد، وأهل السنة وسط بين الطائفتين[٢٥٠]، فإذاً رأي أهل السّنة وجمهور السّلف موافق لما قاله الإمام- الكَوراني، لأن مذهب السلف: متفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسّنة، ومتفقون على أنه لا حجّة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده، ومع أنهم آمنوا بقضائه وقدره، وأن الله خالق لكل شيء، وأنه

---

[٢٥٠]) عبد الرحمن بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص/٣٠١.

ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله- تعالى- يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ومع أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله كما أشرنا إليه من قبل.

وأما القدرية: يزعمون أن الْحسنات والخير من الله، والشّر والسيئات من أنفسهم، لكي لا ينسبوا إلى الله شيئا من السّيّئات والمعاصي، ويتكلمون بأشياء لا أستجيز ذكرها[٢٥١]، وكذلك الجبرية: تمسكوا بآيات ظاهرها الجبر والقهر كما سبق عليه من كون الهداية والضّلالة والخلق والقدر والإذن والمشيئة والإرادة كلها بيد الله وتحت رعايته وأمره، ففي هذه الحالة لا قدرة ولا قوة للخلق لكي يتصرف ويعمل بها إلا ما خلق الله- تعالى- فيهم، وأما المعتزلة: اتفقوا كلهم على أن أفعال الإنسان غير مخلوقة لله- تعالى- وأن من قال: إن الله- تعالى- خالقها ومحدثها فقط فهذا عظم خطئه وقوله، وذلك لأن هذه الأفعال كلها متعلقة بالإنسان عينه، فلا يصح أن تتعلق بالذات الإلهية، وأن أفعال العباد حادثة من جهتهم، وأن الإنسان محدث ومبدع لما يصدر عنه من أفعال، وهم متفقون على أن العباد مأمورون بما أمر الله به، منهيون عما نهى الله- تعالى- عنه؛ والله تعالى أعلم.

---

[٢٥١]) المغراوي، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، ج٥/ص٣٥٧.

الفصل الثالث

أعمال العباد عند المتكلمين

١: رأي المتكلمين في أعمال العباد

١.١: أعمال العباد عند المعتزلة

ترى المعتزلة: أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، ولهم إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة الله وقدرتـه، فأفعـالهم لا فاعل لها ومحدث سواهم[٢٥٢]، أو بعبارة أخرى أَن أَفعال العباد المختارين مخلوقة لهم، وأنّها غير داخلة في مقدورات الرب؛ كما أن مقدورات الرب غير داخلة في مقدوراتهم[٢٥٣]، وقد نقل عن القاضي عبد الجبار- رحمه الله- : (أنه لم يثبت للقدرة الحادثة أثراً في الفعل، بل أثبت لها أثراً في صفة زائدة على الفعل)، ثم اختلف قوله في الأثر الزائد، فقال تارة: إنه لا أثر للقدرة القديمة فيه أصلا، وقال تارة: بالتأثير، وأثبت مخلوقا بين خالقين، وذهب إمام الحرمين في بعض تصانيفه: (إلى تأثير القدرة الحادثة في إيجاد الفعل، ولم يجعل للقدرة القديمة فيه تأثيراً إلا بواسطة إيجاد القدرة الحادثة عليه)؛ وذهب من هؤلاء من أهل الحق: إلى أن أفعال العباد مضافة إليهم بالاكتساب وإلى الله- تعالى- بالخلق والاختراع، أنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلا؛ وإذا عرف بالتحقيق مذهب كل فريق فلا بد من التّعرّض إلى إبطال مذاهب أهل الضّلال[٢٥٤].

١.٢: أعمال العباد عند الماتريدية

قالت الماتريدية إن أفعال العباد مخلوقة لله- تعالى- وأن الله خلقها كلها خيراً كانت أو شراً، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، نقلية وعقلية؛ وقال الماتريدى: ثم الدليل عندنا من طريق

---

[٢٥٢]) القاضي عبد الجبار بن احمد، شرح الأصول الخمسة، المحقق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص/٣٣٦.

[٢٥٣]) الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، د، س، ط، ج١/٢٠٦.

[٢٥٤]) الآمدي، غاية المرام في علم الكلام، المصدر نفسه، ج١/ص٢٠٧.

القرآن على لزوم القول بخلق الأفعال، قول تعالى:{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[٢٥٥]، فلو لم يكن ثناؤه خالقا لما يجهر ويخفى لم يكن ليحتج به على علمه، وأيضا أن الله- تعالى- قال: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[٢٥٦]، وقال في موضع آخر: {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ، سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}[٢٥٧]، أخبر أَن تَقْدِير السّير والتسيير فعله وَبِه كَانَ السّير[٢٥٨].

والدليل المعقول في المسألة: أن أفعال العبد لا يستحيل دخولها تحت قدرة الله- تعالى- فإنها تدخل تحت قدرة الله- تعالى- كما في المعلومات كلها فيما يدخل تحت علم العباد، لا يستحيل دخوله تحت علم الله- تعالى- فإذ لم يستحيل دخولها تحت قدرة الله- تعالى- فالله- تعالى- غير متناهي القدرة، فيدخل تحت قدرته، وإذا دخل تحت قدرة الله- تعالى- يكون الله موجده كما في الأجسام[٢٥٩].

والمعقول لنا أن إثبات قدرة التخليق للعبد محال، لأن من شرط قدرة التخليق ثبوت العلم للخالق بالمخلوق قبل الوجود، بدليل قوله تعالى: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}[٢٦٠].

وكذا بداهته العقول، واعتراف الخصوم باشتراط العلم يدلان على هذا، ثم الخلق لا علم لهم بكيفية الاختراع والإخراج من العدم إلى الوجود، فدل أن الفعل وجد بإيجاد الله- تعالى- وقول الماتردية: بأن الله- تعالى- خلق أفعال العباد خيرها وشرها هو القول الحق الذى دل عليه السمع والعقل، لكن بالنسبة لعلاقة العباد بأفعالهم، فقد حاولت الماتريدية

---

[٢٥٥]) [الملك:١٣].

[٢٥٦]) [يونس: ٢٢].

[٢٥٧]) [سبأ: ١٨].

[٢٥٨]) أحمد بن عوض الله بن داخل الهيبي الحربى ، الماتريدية ، دار العاصمة، ١٤١٣هـ ، ص/٤٣٨؛ ينظر: الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، المحقق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، د، س، ط، ص/٢٥٤.

[٢٥٩]) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، ربيع الأول ١٤٣٣هـ، ج٢/ص٣٣٠.

[٢٦٠]) [الملك:١٤].

التوسط بين قول المعتزلة وقول الجبرية، فقالوا: أفعال العباد مخلوقة لله- تعالى- وهي كسب من العباد[٢٦١].

قال الماتريدي: إن حقيقة ذلك الفعل الذي هو للعباد من طريق الكسب، والله من طريق الخلق[٢٦٢].

١.٣: أعمال العباد عند الاشاعرة

يرى الأشاعرة: أن جميع أفعال البشر تقع تحت حكم الله وإرادته، وأن ما يقع في الكون من الخير والشر الذي كله من عند الله، ولا احتمال عند أهل السنة الأشاعرة لتعارض إرادة الإنسان مع إرادة الله، ولا تعارض فيما فشل من إرادته مع إرادة الله، وإنما أراد الله من الإنسان الإرادة والفشل معًا [٢٦٣]، وقال أبو الحسن الأشعري- رحمه الله- (إن أفعال العباد خلق لله وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات أن الفاعل الحقيقي هو الله، وأما الإنسان فهو مكتسب للفعل الذى أحدثه الله على يدي هذا الإنسان، والعباد لهم قدرة ومشيئة وإرادة لكنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته وإرادته)[٢٦٤].

إن مسألة أفعال العباد مهتم بها عند الأشاعرة باهتمام ظاهر، فهي من المسائل الرئيسية، ولهذا ذهب الأشعري: (إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله ومقدورة له)؛ وقال الأشعري أيضا: (وإذا كان الله كما وصف نفسه {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[٢٦٥]، ووقع في ملكه ما لا يريد[٢٦٦]، لكن ذلك عن سهوٍ وغفلةٍ وهو محال عليه إذ هما لا يتفقان، وصفة العلم التي ستصف بها (الباري) فما دام قد خلق الكفر والمعاصي فهو لابد مريد لها، لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يعلمه الله بالجهل كذلك لا يجوز أن يقع شيء على غير إرادته حتى لا ينسب إليه- تعالى-

---

[٢٦١]) مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، المصدر السابق، ج٢/ص٣٣١.

[٢٦٢]) الماتريدي، التوحيد، المصدر السابق،ص٢٢٨.

[٢٦٣]) مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص/٣٦.

[٢٦٤]) سعد عبد الله عاشور، موقف الفرق الإسلامية من افعال العباد، كلية اصول الدين، الجامعة الاسلامية، غزة فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٠١م، ص/٢٤٧.

[٢٦٥]) [البروج: ١٦].

[٢٦٦]) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، الابانة في اصول الديانة، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار- القاهرة، ١٣٩٧هـ، ج١/ص١٨١.

السهو والغفلة أو أن يوصف العجز والضعف، فكما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وكذلك لا يخرج عن قدرته شيء، فالله مريد لكل ما هو واقع في العالم خيراً أو شراً، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها، أما الاستطاعة فهي عند الأشعري: مصاحبة للفعل لأنها عنده عرض، لا يبقى زمانين، ومن ثم فإن الله يخلق الاستطاعة في العبد عند قيامه بالفعل، لا يشترط الأشعري الاستطاعة التي رجعت إلى أحوال الإنسان صحة النية وسلامة الجوارح اللازمة لأداء الفعل[٢٦٧]، كما قال الله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[٢٦٨] ، والله- تعالى- قد أراد جميع أفعال العباد بخيرها وشرّها، نفعها و ضرّها، وإرادة من العباد قد كتب في اللوح المحفوظ، ومع هذا فإن العبد قادر على أفعاله أو الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة، وبين حركة الإرادة والاختيار، وتفرق عند الأشعري راجعة أن الحركات الاختيارية حاصلة بحيث تكون متوقفة على اختيار القادر؛ ومن هنا قال الأشعري: أن المكتسب هو المقدور بالقدرة الحديثة والحاصل تحت هذه القدرة الحادثة[٢٦٩].

وحقيقة قول الماتريدية هذا: أن للعباد إرادة غير مخلوقة؛ وهي مبدأ الفعل؛ فالعباد على مذهبهم يتصرفون بمبادئ أفعالهم باستقلال تام كما يشاؤون؛ وخلق الله- تعالى- لأفعالهم إنما هو تبع لإرادتهم غير المخلوقة؛ وقولهم هذا قريب من قول المعتزلة [٢٧٠].

٢: أعمال العباد عند السلف

يعتقد السلف أن أفعال العباد خلق الله- تعالى- وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة ومشيئة، لكنها داخلة تحت قدرة الله- ومشيئته وإرادته[٢٧١]، كما قال تعالى:

---

[٢٦٧]) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، كتاب اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع، تعليق، د، حموده غرابه، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، ١٩٥٥م، ص/٧٣- ٧٤.

[٢٦٨]) [التكوير: ٢٩].

[٢٦٩]) عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٣/ص١٣٣٦.

[٢٧٠]) أحمد بن عوض الله بن داخل الهيبي الحربى ، الماتريدية ، دار العاصمة، ١٤١٣هـ ، ص/٤٤١-٤٤٢- ينظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ج٣٣٢/٢.

[٢٧١]) [التكوير: ٢٩].

{وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}[٢٧٢] ، فالمضاف إليها هو خلقها، والمضاف إلى العباد الذي عليه الحمد والذم هو كسبها، كما قال تعالى:{لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[٢٧٣]؛ وقال ابن عباس- «كل شيء بقدرٍ حتى وضعُ يدك على خدِّك»[٢٧٤]، وقال الإمام أبو حنيفة[٢٧٥] : (وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره)[٢٧٦]. وقال اللالكاني:[٢٧٧] (إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله- عز وجل- طاعتها ومعاصيها)[٢٧٨].

وقال الصابوني:[٢٧٩] (ومن قول أهل السنة والجماعة في أكساب العباد: إنها مخلوقة لله- تعالى- لا يمترون فيها، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول

---

[٢٧٢]) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج٨/ص٣٨٩-٣٩٣.

[٢٧٣]) [البقرة: ٢٨٦].

[٢٧٤]) أخرجه البخاري ـ مختصرًا، باب أفعال العباد، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله في التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، د، س، ط، ج١/ص١٨١- ٣١٨- من طرق عن إبراهيم بن محمد بهذا اللفظ.

[٢٧٥]) النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة- الأعلام، للزركلي، ج٨/ص٣٦.

[٢٧٦]) محمد بن عبد الرحمن الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، دار العاصمة ـ المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م، ج١/ص١٦.

[٢٧٧]) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، (ابو القاسم) فقيه، محدث، حافظ، متكلم، قدم بغداد فاستوطنها، ودرس الفقه الشافعي على ابي حامد الإسفراييني، وتوفي بالدينور في رمضان كهلا، سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج١٢/٣١٦- ج١٧/ص٤١٩.

[٢٧٨]) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج٣١/ص٦.

[٢٧٩]) إسماعيل بن عبد الرحمن بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عامر النيسابوري، الصابوني، (أبو عثمان)، فقيه، محدث، مفسر، خطيب، واعظ، سمع بيسابور، وغيرها، وتوفي بنيسابور لأربع ليال بقين من المحرم، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي،

د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ١٤١٣هـ، ج٤/ص٢٧١- أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٥/ص٢١١.

وينفيه[٢٨٠]. وقال ابن تيمية: والكلام أن يقال: فعل العبد خلق لله- تعالى- وكسب للعبد)[٢٨١]، وقال في موضع آخر: (أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها، كما نص على ذلك سائر أئمة الاسلام، الإمام أحمد، ومن قبله، ومن بعده، حتى قال بعضهم من قال: إن أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة)، ويقول الطحاوي: (وأفعال العباد هي خلق الله وكسب من العباد)[٢٨٢]. وقال الزجّاج:[٢٨٣] معنى «بقَدَرٍ» في هذه الآية: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[٢٨٤]، أي: مكتوبٍ في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كُلَّ شيءٍ» بفعل مضمر؛ فالمعنى: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقَدرٍ[٢٨٥].

فالمقصود أن فعل العبد فعله حقيقة، وهو مخلوق لله ومفعول له- سبحانه- وليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق[٢٨٦]، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[٢٨٧]، فقد أخبر الله- تعالى- كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها،

---

[٢٨٠]) المنكرون لهذا هم القدرية النفاة الذين يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه، وأن الله لم يخلق أفعال العباد؛ ينظر: محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، الرياض- جدة،١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص/٣٧٩. .

[٢٨١]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/ص٣٨٨.

[٢٨٢]) ابن ابي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، المكتب الاسلامي، ط،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج١/ص٤٣٧.

[٢٨٣]) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في سنة إِحْدَى عشرَة وَثَلَاث مائَة في بغداد صاحب كتاب معانى القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج١/ص٤٠- ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٥/ص٢٢٨،- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م، ج١/ص١٩٤.

[٢٨٤]) [القمر: ٤٩].

[٢٨٥]) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٤/ص٢٠٤.

[٢٨٦]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢/ص٢٩٨.

[٢٨٧]) [الزمر: ٦٢].

وأنها تحت تدبيره وقهره وكلاءته[٢٨٨]، فأفعال العباد من جملة المخلوقات؛ ومن السنة حديث حديقة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ- (إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ)[٢٨٩]، وتلا بعضهم عند ذلك: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[٢٩٠]، فأخبر أن الصّناعات وأهلها مخلوقة[٢٩١].

وكذلك دعاء النبي- ﷺ- الذي علّمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيت)[٢٩٢].

ومما ذهب إليه علماء السلف في أفعال العباد أنها مخلوقة لله- تعالى- هو ما جاءت به الأدلـة من كتاب الله- تعالى- و سنة رسوله - ﷺ- كما تحدثنا عنها، ولكن ما هو أثر قدرة العبد في أفعاله؟ ويجيب عن هذا التساؤل الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فقد وضح هذه القضية توضيحاً تاماً، وقال: (التأثير اسم مشترك، قد يراد بالتأثير الانفراد بالابتداع والتوحيد بالاختراع، فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله لم يقله سني، وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل، أو في وجه من وجوهه، كما قاله كثير من متكلمي أهل الإثبات، فهو أيضاً باطل بما بطل به التأثير في ذات الفعل، وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة، بمعنى أن

---

[٢٨٨]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧/ص١١١.

[٢٨٩]) أخرجه الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، خلق أفعال العباد، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض، ص/١١٧- النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، في الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري- وفي ذيله تلخيص المستدرك محمد بن احمد الذهبي، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م، ج١/ص٣١-٣٢،- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكاني، ج٣/ص٥٣٨-٥٣٩.

[٢٩٠]) [الصافات: ٩٦].

[٢٩١]) البخاري، خلق أفعال العباد، ج١/ص٤٦.

[٢٩٢]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حَدِيثُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، برقم (١٧١٨)، أخرجه الإمام أبو داود في سننه، بَابُ الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ، برقم (١٤٢٥)، أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، بَابُ الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ، برقم (١١٧٨)، أخرجه الإمام النّسائيّ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الْوِتْرِ، برقم (١٧٤٦).

القدرة المخلوقة هي سبب واسطة في خلق الله- تعالى- بهذه القدرة، كما خلق النبات بالماء، وكما خلق جميع المسببات والمخلوقات بوسائط وأسباب فهذا حق، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركا، وإلا فيكون إثبات جميع الأسباب شركاً، وقد فصّل ابن القيم-رحمه الله- منهج السلف في أفعال العباد حيث قال: ويثبتون مع ذلك قدرة العبد، وإرادته، واختياره، وفعله، حقيقة لا مجازاً، وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول[٢٩٣].

فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة، وهي مفعولة لله- عزّ وجلّ- مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب- عزّ وجلّ- علمه، وقدرته، ومشيئته، وتكوينه، والذي قام بهم هو فعلهم، وكسبهم، وسكناتهم، فهم المسلمون، المصلون، القائمون، القاعدون حقيقة؛ وهو- سبحانه- هو المقدر لهم على ذلك، القادر عليه، الذي شاءه منهم، وخلقه لهم، ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته، فما يشاءون إلا أن يشاء الله، وما يفعلون إلا أن يشاء الله[٢٩٤].

ومعنى الكسب عند السّلف هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضرر، كما قال تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[٢٩٥].

فبين الله- عزّ وجلّ- أن كسب النفس لها أو عليها[٢٩٦]. هذا هو رأي أهل السنة وجمهور السلف في أفعال العباد الاختيارية، وهو المذهب الوسط الذي دل عليه الكتاب والسنة.

فالسلف: يرون أن التأثير في الأشياء يكون بمباشرة الأشياء والقيام بفعلها، وأما الماتريدي: فيرى أن التأثير في كسب الفعل، فيكون باختياره سواء كان كسبه خيراً أو شراً، ومن هذا نرى أن رؤية السّلف أسلم وأعمق، لأن التأثير عندهم أبلغ حيث يكون بمباشرة الفعل، في حين هو عند الماتريدي باختيار الفعل، وهو في النهاية لا يخرج عن كونه خلاف لفظي.

---

[٢٩٣]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/ص٣٨٩-٣٩٠- ينظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج١/ص٣١٢.

[٢٩٤]) ينظر: محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج١/ص٣٨٠؛ عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٢/ص٥٥٩.

[٢٩٥]) [البقرة: ٢٨٦].

[٢٩٦]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/ص٣٨٧.

وقال السفاريني- رحمه الله- وإنما ذكرت لك أقوال هؤلاء من أن عمدة المعتقد عندنا غير المعتقد. وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدريين النفاة، ولم يفرطوا تفريط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله.

فمذهب أهل السنة والجماعة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي، والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره لا خالق سواه، فأفعال العباد مخلوقة لله- تعالى- خيرها وشرها وحسنها وقبحها، والعبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها، هذا هو القدر باتفاق أهل السنة والجماعة[٢٩٧].

٣: رأي الگوراني في اعمال العباد

قبل أن نذكر رأي الإمام نأتي إلى رأي أهل السنة والجماعة في أعمال العباد كما أشرنا إليه من قبل، وقالوا: إن أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية، وخير وشرّ، مخلوقة لله- تعالى- وإنّ العباد لهم قدرة على أفعالهم، وهم فاعلون لها على الحقيقة، وهي قائمة بهم، ومنسوبة إليهم، ومن ثَمَّ فإنهم يستحقّون عليها المدح والذّمّ والثواب والعقاب[٢٩٨]. وأجمع أهل الملة على أن الله- تعالى- خالق لأفعال العباد، وعلى أنه خالق لأفعالهم الاضطرارية، مما لا يسأل عنه العبد، ولا يتعلق به ثواب أو عقاب، ومما حصل فيه الاختلاف وذلك في الأفعال الاختيارية، كالإقبال على الدراسة، والطعام والشراب، وأداء الصلاة، والصيام[٢٩٩].

وقال إجماع المعتزلة كما ذكره الأشعري وغيره: (أفعال العباد واقعة بقدرتهم وحدها، على سبيل الاستقلال بلا إيجاب، بل باختيار، بمعنى: أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية، وكان الأوائل منهم يتحاشون إطلاق لفظ الخالق على العبد، ويكتفون بلفظ الموجد والمخترع ونحو ذلك)، وحين رأى الجبائي وأتباعه: (أن معنى الكل واحد، وهو المخرج

---

[٢٩٧]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج١/ص٣١١.

[٢٩٨]) الزاملي، أحمد بن علي عسيري، منهج شيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية،١٤٣١هـ، ج١/ص٥١٢.

[٢٩٩]) رائد سالم شريف، مدرس في قسم علوم القران والتربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة الموصل، نظرية الكسب عند الأشاعرة، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السابع، العدد١/١٤، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م، ص/٦.

من العدم إلى الوجود، أطلق لفظ الخالق على العبد)[٣٠٠]، ويقول القاضي عبد الجبار في معرض كلامه عن خلق أفعال العباد: (والغرض به في أي أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها)[٣٠١]، وهو إجماع المعتزلة.

وذهب الجبرية إلى أن الأفعال كلها خلق لله- تعالى- لا مدخل للعبد فيها البتة، فهو مجبور ومقهور على فعله، ومثله، مثل ريشة معلقة بالهواء، تقلبها الريح حيث تشاء[٣٠٢].

الأشاعرة والماتريدية يقولون: إن الله- تعالى- خالق لأفعال العباد ولكن الذي يوجد فيه الإشكال هو قولهم مدى تعلق أفعال العباد بالعباد، وهل هم فاعلون لها على الحقيقة، فجمهور الأشاعرة في هذه المسألة: يقولون بالكسب وهو كما يعرفونه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به، فأفعال العباد ليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً من غير أن يكون منه تأثير ومدخل.

أما الماتريدية: فتميزوا بإثبات إرادة جزئية ولكن غير مخلوقة وأمرها بأيديهم والله لا يخلق فعل العبد إلا بعد أن يريده العبد ويختاره.

ثم نأتي إلى معنى الخلق كما يقولون بأن أفعال العباد مخلوقة وغير مخلوقة، فالخلق صفةٌ من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، وهي مأخوذة من اسميه (الخالق) و (الخلاَّق)، وهي من صفات الذات وصفات الفعل معاً؛ ووردت هذه الصفة في القرآن الكريم مرات عديدة، تارة بالفعل (خَلَقَ) أو بمصدره، وتارة باسمه (الخالق) أو (الخلاَّق) ومن ذلك قوله تعالى: {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِيءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٣٠٣].

والكلام في معنى قوله تعالي: (الخالق) من وجهين:

الأول: أن يكون بمعنى المبدع والمنشئ لأعيان المخلوقات، وهذا معنى لا يشاركه فيه أحد من خلقه، ولم يزل الله مسمّياً لنفسه خالقاً ورازقاً على معنى أنه سيخلق وسيرزق، لا على معنى أنه خلق الخلق في أزله لاستحالة قدم الخلق.

والثاني: أن يكون الخلق بمعنى التصوير، وهذا أمر يصح مشاركة الخلق فيه له، فالخلق المذكور في هذا الموضوع بمعنى الابداع والاختراع لأعيان السّموات والأرض،

---

[٣٠٠]) البيجوري، ابراهيم بن محمد بن احمد الشافعي، تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ص/١٧٠.

[٣٠١]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٣٢٣.

[٣٠٢]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد حلى شرح جوهرة التوحيد، ص/١٧٥.

[٣٠٣]) [الحشر: ٢٤].

والخلق بمعنى التصوير في قوله تعالى: {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ}[٣٠٤]، أي: تصوّر لا تخترع[٣٠٥].

ومن السنة حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال الله تعالى: « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كَخَلْقي، فليخلقوا ذرَّة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة»[٣٠٦]. ويقول الأزهري- رحمه الله- ومن صفات الله- تعالى- (الخالق والخلاق) ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله- عز وجل- والخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكلُّ شيءٍ خلَقه اللَّه فهو مُبْتدئه على غيْر مثال سُبق إِليه[٣٠٧]، كقوله تعالى: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[٣٠٨].

فإذاً رأي الامام الكَوْراني- رحمه الله- في أعمال العباد يبدو من خلال هذا الحديث الذي شرحه الإمام مجيبا عن سؤال: ما وجه قوله: فإن قلتَ: ما معنى قوله للمصوّرين أَحْيُوا ما خَلَقْتُم؟ قلت: (الخلق) يأتي بمعنى التصوير، وإنما عبر عنه النبي- ﷺ- بلفظ الخلق تهكماً، أو يأتي (الخلق) باعتبار (الصورة) على زعمهم، ألا ترى إلى قول النبي- ﷺ- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً}[٣٠٩]، كيف نفى عنهم الخلق على أبلغ وجه، وذلك أن الخلق عبارة عن الإيجاد من العدم. كما قال ابن بطال صاحب شرح البخاري: (يريد يصور صورة تشبه خلقي فسمّى فعل الإنسان في تصوير مثالها خلقًا له توبيخًا له على تشبهه بالله فيما صوّر فأحكم وأتقن على غير مثال احتذاه ولا من شيء قديم ابتداه، بل أنشأ من معدوم، وابتدع من غير معلوم، وأنتم صورتم من خشب موجود وحجر غير مفقود على شبه معهود مضاهين له، وموهمين الأغمار أنكم خلقتم كخلقه، فاخلقوا أقل مخلوقاته وأحقرها الذرة المتعدية في

---

[٣٠٤]) [المائدة: ١١٠].

[٣٠٥]) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج١٠/ص٤٣٤.

[٣٠٦]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، برقم- (٢١١١).

[٣٠٧]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠/ص٨٥.

[٣٠٨]) [الأعراف: ٥٤].

[٣٠٩]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان، برقم- (٢١١١).

أدق من الشعر، وأنفذ منكم بغير آلة في نحت الحجر فتتخذه مسكناً وتدخر فيه قوتها نظرًا في معاشها، أو اخلقوا حبة من هذه الأقوات التي خلقها الله لعباده، ثم يخرج منها زرعًا لا يشبهها نباته، ثم يُطلع منها بقدرته من جنسها بعد أن أعدم شخصها عددًا من غير نوع نباتها الأخضر قدرة بالغة لمعتبر، وإعجازًا لجميع البشر[٣١٠]). وقوله تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[٣١١]، أي: لا لغيره- تعالى- وتقدس، قيل: الخلق المخلوقات، والأمر: الكلام، وقيل: لفظ - كن - الذي يوجد به الأشياء؛ كما قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٣١٢]، واستدل الكوراني - رحمه الله - على قوله برأي جارالله الزمخشري- رحمه الله- بقوله: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[٣١٣]، له خلق الأشياء والتصرف فيها، وعن أبي هريرة:- رضي الله عنهما- سُئِلَ النَّبِيُّ - ﷺ- : (أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ)[٣١٤]، استدل به على أن الإيمان عمل، وإذا كان عملاً فهو مخلوق لله، لقوله: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[٣١٥]، وفي تلك الآية رد على المعتزلة في قولهم بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وأما الأفعال الاضطرارية كحركة المرتعش فهي مخلوقة لله- تعالى- اتفاقاً[٣١٦]، وقال تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٣١٧]، ولا شك أن الجزاء إنما هو على فعل الجوارح والقلب فهي كلها مخلوقة لله[٣١٨]. ويتبين لنا اتفاق ما بين مذهب الماتريدية، والأشاعرة في أعمال العباد، ثم الفرق بين أفعال العباد عند الأشاعرة والماتريدية والسلف، مع مقارنة رأي الإمام- الكوراني- بآراء كلّ منها، وأفعال العباد مخلوقة لله- تعالى- وهي كسب من العباد هذا معتقد أهل السنة والجماعة[٣١٩]، ولكن اختلفوا

---

[٣١٠]) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المصدر السابق، ج١٠/ص٥٥٥.

[٣١١]) [الأعراف: ٥٤].

[٣١٢]) [النحل: ٤٠].

[٣١٣]) [الأعراف: ٥٤].

[٣١٤]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ؛ برقم (٨٣/١٣٥)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في أي الأعمال افضل برقم- (١٦٥٦)، والنسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب فضل الحج برقم- (٢٦٢٤).

[٣١٥]) [الصافات: ٩٦].

[٣١٦]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/١٦٧.

[٣١٧]) [السجدة: ١٧].

[٣١٨]) الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج١١/ص٥٤٨.

[٣١٩]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/ص٣٨٨.

في معنى الكسب، فقالت الماتريدية: إن المؤثر في أصل الفعل قدرة الله- تعالى- والمؤثر في صفة الفعل قدرة العبد، وتأثير العبد هذا هو الكسب، فقدرة العبد عند الماتريدية لها أثر في الفعل، لكن لا أثر لها في الإيجاد لأن الخلق ينفرد الله- تعالى- به، وإنما أثرها في القصد والاختيار للفعل[٣٢٠]، وأما الكسب عند الأشاعرة: فهو أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها، بل الله أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً كما سبق عليه. فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعل المقدور مقارنا لهما، فيكون الفعل مخلوقا لله- تعالى- إبداعا وإحداثا، ومكسوبا للعبد، والمراد بكسبه إياه، مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له؛ ومما تقدم يتبين لنا أن أهل السّنة جميعهم متفقون على أن أفعال العباد تنسب إليهم فعلاً وكسباً، وتنسب إلى الله- تعالى- خلقاً وقدراً وإيجاداً مع بعض الفروق الدقيقة في نسبة الفعل إلى العبد ومدى تأثيره فيه.

أما السلف: فقد أثبتوا الكسب للعبد- أيضاً- بقدرة أودعها الله إياه، وأن للعبد مشيئة واختيار، فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره.

ومن هذا نرى اقتراب مذهب الأشاعرة إلى الصّواب: لأنهم قالوا لا تأثير لأي شيء إلا بمشيئة الله؛ ومن مذهب السلف- في هذه المسألة - أكثر من الماتريدية، إلا أن الماتريدية أقرب إلى الصواب من الجبرية لأنها أثبتت للعبد كسباً في حين أن الجبرية لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

والذي يبدو للباحث بعد الإتيان بآراء العلماء حول مسألة أفعال العباد أن رأي الإمام الكوراني- رحمه الله- حيث قال بقوله: الخلق بمعنى التصوير، في قوله- ﷺ- للمصوّرين: (أحْيُوا ما خَلَقْتُم) واستدل الكوراني- رحمه الله- على قوله برأي جارالله الزمخشري- رحمه الله- بقوله: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}[٣٢١]، له خلق الأشياء والتصرف فيها، الذي قاله موافق لما قاله الأشاعرة: بأنهم أثبتوا الكسب للعبد بقدرة أودعها الله إياه، بدون جعل القدرة للعبد يؤثر فيه.

وعلى هذا لم يوافق رأي الكوراني لرأي الماتريدية لأنهم جعلوا للقدرة أثر في الفعل أما الأشاعرة فبالعكس ولذلك وافق الكوراني لرأي الأشاعرة.

---

[٣٢٠]) عوض، الدكتور أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، الماتريدية دراسة وتقويما، دار العاصمة،١٤١٣هـ، ص/٥٠١.

[٣٢١]) [الأعراف: ٥٤].

الفصل الرابع

منهج الكوّراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، والكون والأجل، والأنبياء

١: منهج الكوّراني وآراؤه في شرح الاحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات

منهج الكوّراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر في العبادات، الإمام الكوّراني- رحمه الله- شرح الكلمات الغريبة في كتابه، وأشار الكوّراني كما يبدو في منهجه إلى الأشياء التي تتعلق بالقضاء والقدر في العبادات بما أنها لا تحتاج في ثبوتها إلى الاجتهاد والثقافية الدينية والعلمية، لأن هذه القضية والأصل في العبادات التوقيف، ولا يجوز لأي أحد أن يزيد أو ينقص منها، وبيّن ما صح من المسائل المتعلقة بالعقائد وما هو مشهور عند أهل الحديث، إلا أنه وقع في تأويل كثير من صفات الله- تعالى- الثابتة في الكتاب والسنة، ومما يتميز به منهج أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته هو إثبات كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله- ﷺ- من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به؛ مع الإيمان بمعانيها وما تدل عليه، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[٣٢٢]، وكما أن للكوّراني- رحمه الله- رأي خاص في بعض الحالات، إلا أنه يبدو في شرح حديث الاستخارة وأحاديث أخرى، وحاول أن يصل الإنسان إلى حد اليقين، وزال الحائل من الغموض والدقة في التعبير والإبهام والتشكيك بمكان لا يفهمه فيه الناس، ويحتاجون في فهمه إلى علم غزير، ونقل آراء العلماء مؤيداً للموضوع ولرأيه ولكن بدون أدلة، أكثر من مرة، وقد ذهب الكوّراني بأخذ آراء العلماء من كل المذاهب؛ والمذاهب الأربعة على الأكثر.

ثم نجد أنه - رحمه الله - يسير في شرحه على طريقة الشرح المزجي، أي يجعل العبارة المشروحة مختلطة بشرحه ويميزها عن الشرح ويعتبر شرحه متوسطا، وهو ظاهر لمن تصفح الكتاب - يعلق على غالب الأحاديث ولو بكلمة، نجد أنه - رحمه الله - إذا نقل، ينقل بالمعنى، فإذا نقل مثلا عن الجوهري أو ابن الأثير نجد أنه لا

---

[٣٢٢]) [الشورى:١١].

يتقيد بلفظهما، ولا أكاد أجد نقلا نقله، إلا وقد نقله بالمعنى، ويرجع السبب في ذلك - والله أعلم - إلى أنه إما أنه ينقل من حفظه، أو ينقل بواسطة كتاب آخر؛ بل نجد أنه يقول كلاما من عنده فيقحمه بين ما نقل، ويكثر النقاش - رحمه الله - مع من ينقل كلامه بقوله، فإن (قلتَ - قلتُ) وهو ظاهر في هذا الكتاب، وهذا يدل على علمه الوافر- رحمه الله- حيث ناقش أرباب الفنون في فنونهم، ورد في كثير من المواضع على الإمام الكرماني[٣٢٣]، وابن حجر[٣٢٤]، وبيّن مشكل اللغات، وضبط أسماء الرواة في موضع الالتباس.

١.١:العبادة

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٣٢٥].

فإذاً الأقوال هي عبادات اللسان كالذكر والدعاء، والأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والحج وغيرها، والأعمال الباطنة هي أعمال القلب كالحب والخوف والرجاء وغيرها، فجمع هذا التعريف كل ما يقوم به العبد للعبادة من القلب واللسان والجوارح[٣٢٦]، لا نطيل في ذكر المعاني الشرعية للعبادة، لأن الشيء يعرف من أصله، فالذي هو يهمنا ويقصدنا معرفته، والبحث والتنقير عنه، أو الموضوع المطروح هنا هو الدعاء، لأن الدعاء هو العبادة، ويمتلك الدعاء أهمية كبرى في حياة الإنسان، سواء أكان من جانب الإنابة

---

[٣٢٣]) محمد بن يوسف بنِ عليٍّ، الكرمانيُّ، ثم البغداديُّ، ولد في سنة ٧١٧هـ، ينظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م،ج٦/ص٦٦- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م،ج١/ص٤٦٢.

[٣٢٤]) طاش كبرى زاده، الشقائق النعمانية، ص/٥٣.

[٣٢٥]) أبو عاصم، هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، مختصر معارج القبول، مكتبة الكوثر- الرياض، ١٤١٨هـ، ص/١٢.

[٣٢٦]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، العبودية، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص/٤٤.

والتضرع إلى (الخالق) أو وطلب الدعم والمساعدة الإلهية في أوقات الشدة والرخاء؛ ويعتبر الدعاء أول علاقة على الأرض ما بين العبد والمعبود، لأن هذه العلاقة ربطت العبد (بالخالق) حيث دعا آدم- ربه- بكلمات كان الله علّمه بها قبل معاقبته على المعصية؛ وهبوطه وانحداره على الأرض، فتاب الله- تعالى- عليه جزئيا، بحيث وعده- سبحانه- بالرجوع إلى الجنة، ولكن هذه المرة ستكون من خلال اختبار وبلاء وتمحيص لمعرفة مدى إخلاص العبد في توبته وإنابته إلى الله- تعالى- وهنا يبرز دور العبد في الجدّ والاجتهاد والمثابرة بالعمل الصالح والدعاء والعبادة ليكون من الفائزين برحمة الله- تعالى- وتوفيقه.

ويدل على ذلك آيات قرآنية كثيرة وردت في هذا السياق، منها قوله تعالى:{لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا}[٣٢٧]،أي: لن ندعو من دون ربّ السّماوات والأرض إلهًا، لأنّه لا إله غيرُه، وإنّ كلّ ما دونه فهو خلْقه[٣٢٨]، وقال تعالى أيضا:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإِنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}[٣٢٩]، قال أبو جعفر- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (وإذا سألك يا محمد عبادي عني: أين أنا؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم)[٣٣٠]، قال ابن القيم- رحمه الله- (وهذا القرب من الداعي قرب خاص، ليس قرباً عاماً من كل أحد، فهو قريب من داعيه، وقريب من عابده، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهو أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة الذي لم يثبت أكثر المتكلمين سواه، بل هو قرب خاص من الداعي والعابد)[٣٣١]، والصلة التي بين الله وبين عبده هو الدعاء، فإن الدعاء في نفسه عبادة، لأن كلا من الدعاء والعبادة يشتركان في حقيقة واحدة، وهي إظهار الخشوع والافتقار إلى الله- تعالى- وهو غاية الخلق وعلّته، ومن هذا السياق قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٣٣٢]، وقال تعالى أيضاً: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ

---

[٣٢٧]) [الكهف:١٤].

[٣٢٨]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٢/ص١٧٩.

[٣٢٩]) [البقرة: ١٨٦].

[٣٣٠]) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المصدر نفسه، ج٣/٤٨٠.

[٣٣١]) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ج٣/ص٨.

[٣٣٢]) [الذاريات:٥٦].

رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ}[٣٣٣]، ويبدو من هذه الآية أن الدعاء والعبادة يعكسان الفقر المتأصل في كيان الإنسان إلى خالقه؛ مع إحساسه العميق بالحاجة إليه والرغبة فيما عنده، لأن علاقة الإنسان بربه علاقة ذاتية متأصلة في نفس الإنسان يفزع إلى خالقه وينقطع إليه ضارعاً منكسراً، كما قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[٣٣٤]، وقال الإمام الشوكاني- رحمه الله- في هذه الآية: (والآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة، فإن الله- عز وجل- أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}[٣٣٥]، فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن من يترك الدعاء فهو من تكبره واستكباره على الله- تعالى- ولا أقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء لمن هو (خالق) له ورازقه، وموجده من العدم، وخالق الكون والعالم أجمع، ورازقه، ومحييه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه!؟.

فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم[٣٣٦]، ومن السنة قول النبي- ﷺ- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[٣٣٧]. هذا الحديث المبارك يكشف لنا جوهر العبادة وحقيقتها التي تتجلّى في إقبال العبد المحتاج على المعبود الغني، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[٣٣٨]، وهذا الإقبال هو التعبير الحي عن الصلة الموضوعية بين الخالق والمخلوق، وعن شعور الإنسان بحاجته الدائمة إلى ربّه- عزّ وجلّ- في جميع أموره واعترافه الخاضع بالعبودية له، والتي تتجسد في الشعور بالارتباط العميق بالله- تعالى- وجوهر العبادة ولبّها إذن هو تحقيق الارتباط والعلاقة المتأصلة بين الخالق والمخلوق؛ مع أن جميع الأمور الكائنة خيرها وشرها حلوها ومرها بقضائه وقدره

---

[٣٣٣]) [الفرقان:٧٧].

[٣٣٤]) [غافر: ٦٠].

[٣٣٥]) [غافر: ٦٠].

[٣٣٦]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحفة الذاكرين، دار القلم - بيروت – لبنان، ١٩٨٤م، ص/٣٣.

[٣٣٧]) [غافر: ٦٠].

[٣٣٨]) [فاطر:١٥].

وإرادته وأمره، وإنه ليس فيها لهم إلا مجرد الكسب ومباشرة الفعل[٣٣٩]، ثم الدعاء عبادة بذاته، ويتضمن أصل العبادة بعمومها، إذ أصل العبادة الخضوع والتذلل والمسكنة مع الحب لله- تعالى- وهذا مما يتضمنه الدعاء؛ وقد صح عن النبي- ﷺ- أحاديث تدل على أن للدعاء أثر عظيم في رد القضاء، وهذا يدل على فضل هذه العبادة العظيمة، ويحدو بالنفوس المؤمنة ويدفعها بالقدر أن تكثر من الدعاء في أمورها كلها، فإن الدعاء من القدر الذي يُدفع به القدر، فإذا أصاب العبد ما يكرهه أو خشي ما يصيبه، فمن السنة أن يدعو الله- تعالى- أن يرفع عنه البلاء ويصرف عنه شر ما يخشاه، كما جاء عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- : «لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ»[٣٤٠]، يبدو من هذا الحديث المبارك: إذا أحس العبد أنه سيقع له شيء من قضاء الله وقدره، أو بالأحرى قد وقع عليه شيء من هذا القضاء والقدر إذا دعا هذا العبد، يرد الله- عزّ وجلّ- عنه ما كان سيقع وسيحدث.

١.٢:الدعاء

الدُّعاءُ في اللغة: هو الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ-[٣٤١].

واصطلاحا: قال الخطابي - رحمه اللَّه -: (هو استدعاء العبد ربه- عزّ وجلّ- العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقة إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة)[٣٤٢].

ورأي الكَوْراني حينما يوجه إليه السؤال بقوله، فإن قلت: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) تقديره إن تدعوني أستجب لكم، يدعو الإنسان لا يستجاب له؟ أجاب الكَوْراني عن السؤال بقوله، قلت: بحديث رواه مسلم «يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»[٣٤٣]، وفي رواية

---

[٣٣٩]) المباركفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت، د، ط، ج٦/ص٢٩٧.

[٣٤٠]) أخرجه الترمذي في سننه، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ، وهذا حديث حسن غريب، برقم (٢١٣٩).

[٣٤١]) لسان العرب، لابن منظور، ج١٤/ص٢٥٧.

[٣٤٢]) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، شأن الدعاء، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الأولى، ط، الأولى، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م-ط الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص/٤.

[٣٤٣]) أخرجه الإمام في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، برقم (٢٧٣٥).

للترمذي «مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ»[٣٤٤]، يبدو في رأي الكَوْراني واستدلاله بهذين الحديثين يعني أن من يدعو إلى الله- تعالى- يلزم عليه أن يكون الدعاء دعاء خير، لأنه لا يكون الدعاء مقبولاً عند الله- تعالى- في معصية وشرّ.

ومن أنواع الدعاء دعاء الاستخارة، والآن نأتي إلى تعريف الاستخارة لغة واصطلاحاً:

الاستخارة في اللغة:

أصل مادة استخار: خَيْر، وهو ضد الشر، قال ابن الأعرابي: (والاستخارة طلب الخِيرةِ في الشيء، وهو استفعال منه، وخار اللهُ لك، أي: أعطاك ما هو خير لك)[٣٤٥].

والخِيرة: الاسم من ذلك، ومنه دعاء الاستخارة، واستخار الله طلب منه الخِيرة[٣٤٦].

الاستخارة في الاصطلاح:

الاستخارة: طلب تحصيل خير الأمرين بصلاة ودعاء على وجه مخصوص[٣٤٧].

يقول ابن حجر- رحمه الله-: (والمراد بها طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما)[٣٤٨].

وقال العظيم آبادي في- شرحه- على سنن أبي داود: (طلب تَيَسُّرِ الخير في الأمرين من الفعل أو الترك من الخير وهو ضد الشر في الأمور التي نريد الإقدام عليها)[٣٤٩].

حديث الاستخارة دلالة على أنها تشرع عندما يَهُم الإنسان بالأمر من الأمور، ولا تشرع عند الخواطر والأفكار التي تسبق للذهن، والتي لا يكاد يسلم منها أحد غالبًا.

---

[٣٤٤]) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ المُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ، برقم (٣٣٨١)- الكوثر الجاري، للكَوْراني، ج١٠/ص٢٢٣..

[٣٤٥]) لسان العرب، لابن منظور، ج٤/ص٢٦٦.

[٣٤٦]) أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ج٢/ص٩١.

[٣٤٧]) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، دار الفكر. دمشق- سورية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص/١٢٥.

[٣٤٨]) فتح الباري، لابن حجر، ج١١/ص١٨٣.

[٣٤٩]) العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ ، ج٤/ص٢٧٧.

قال الحافظ ابن كثير: (قد أمر الله المؤمنين، إذا ترددوا في أمورهم، أن يستخيروه، بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه) [٣٥٠].

لأن ما من أمرٍ في هذه الدّنيا إلّا ويجري بأمر الله- تعالى- وإرادته وتحت علمه وعنايته؛ فلا يعلم أحد الغيب إلّا الله، ولا يملك أحد مفاتح الخير والبركة والتوفيق إلّا الله-عز وجل- والذي آمن بربّه وتوكّل عليه دائم الاطمئنان، فلا تراه يجزع ويضطرب لمصائب الحياة، لأنّه يعلم أنّ الله لا يختار لعباده إلّا ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم.

وحديث الاستخارة تشمل الأمور الواجبة والمباحة، وليس المراد أحيانا الاستخارة في أصل فعلها، وإنما في أمور أخرى تتعلق بالأمر الواجب، فليس من الضروري أن تكون الاستخارة في أصل أداء الفعل الواجب حتى تُمنع، ويدل الإنسان المسلم على عدم الانسياق وراء الخواطر والأفكار التي تَرِدُ على الذهن، ولهذا لم يشرع لها الاستخارة، ولكن حديث الاستخارة بمنطوقه على تعليم النبي - ﷺ- للصحابة سُوَرَ القرآن، وهذا واجب على الدعاة الاقتداء بنبيهم -ﷺ- لا يدخل في الحديث الهمُّ بالمحرمات والمكروهات، وأن الإنسان قد يُقدِم على فعْل أمر، ويعود هذا الأمر بالضرر عليه من حيث كان يرجو خيره، فليس بالضروري أن ما كان خيرًا في نظر الإنسان يكون خيرًا له في دينه ودنياه، وكذلك في حياته، فإذاً هذا الدعاء يتعلم الإنسان التوكل على الله، لأن دعاء الاستخارة فيه تفويض الأمر إلى الله- تعالى- وهذا هو المعنى الحقيقي لتوكل الإنسان على الله- تعالى- فبهذا فوَّض العبد أمره لربه، فالعبد يستخير الله في أخص أموره وحاجاته، فلا يعلم العبد مصلحة نفسه، لأن الله له الغنى المطلق، وفي مقابله العبد له الفقر المطلق[٣٥١].

رأي الكوّراني في هذه المسألة: قال- رحمه الله- إن قول الرسول- ﷺ- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي- أَوْ قَالَ فِي

---

[٣٥٠]) القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ١٤١٨هـ، ج٤/ص٢٩.

[٣٥١]) استفدت هذا من موقع صيد الفوائد.

عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي»[٣٥٢]، وهذا صريح بأن هذا الحديث دعاء الاستخارة كما علمه النبي- ﷺ- الصحابة- رضي الله عنهم- ويدل كذلك حديث الاستخارة على أن الله يمحو ما يشاء ويُثبِت، بدليل قوله: (واصرفه عني واصرفني عنه)، ثم أجاب الگوراني- رحمه الله- بهذا الصدد عن هذا السؤال: فإن قلت: إذا صرفه عنه، فأي حاجة إلى قوله (واصرفني عنه)؟، قلت: المراد بصرفه عنه عدم وقوعه فيه وبصرفه عن ذلك عدم التردد فيه، وفراغ قلبه[٣٥٣]، يعني على أن العبد يسأل- ربه- ألا يبقى في قلبه بعد ذلك تعلق بهذا الأمر الذي يريد فعله، لأن إرادة القلب تتحول إلى عمل، فاحتاج العبد أن يسأل- ربه- تمام الصرف لئلا يتعلق به.

٢: منهج الگوراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالكون والأجل

منهج الگوراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالقضاء والقدر بالكون والأجل، هو قام بشرح الكلمات في الأحاديث، وأخذ بجانب اللغوي لتوضيح معاني الكلمات، وبيّن حكم الأحاديث في بعضها، واهتم بنصوص النقل أكثر مما يهتم بالعقل، واهتم بجانب الطبية في موضوع خلق الجنين مما يتعلق بالأجل كما يأتي، وكذلك قام الگوراني- رحمه الله- بترجيح ما هو أقوى وأجلى وأصح من بين الأقوال والآراء، وردّ أقوال التي لا تخدم الموضوع، وأتى بقول شيخه وهو ابن حجر العسقلاني- رحمه الله- لكن في زعمه أن شيخه لم يدرك حقيقة، لذا أعتب واعترض عليه في بعض الحالات، وقال لأن قوله لا يستفاد منه، ولا يكون حلاً للمشاكل، حتى قال- الگوراني- بنسبة لقول شيخه فيه تناقض، ثم بعد ذلك أتى برأي نفسه، وقال هذا جواباً وشرحاً للموضوع؛ وحلّاً للمشاكل؛ وردّ به على شيخه، بأن المعنى الصحيح لشرح الحديث المتعلق بالموضوع هذا هو، وكذلك استدل بقول الكشاف مجيبا للجواب في هذا الموضوع، وتمسك بآراء العلماء مما يختص

---

[٣٥٢]) أخرجه ابو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الاستخارة برقم (١٥٣٨)، والترمذي في سننه ،كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة برقم (٤٨٠) ، والنسائي في سننه ، كتاب النكاح، باب كيف الاستخارة برقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستخارة برقم (١٣٨٣).

[٣٥٣]) الگوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج٣/ص٢٤١.

بالموضوع، ثم رجح أقوى آراء العلماء، واستدل لترجيحه بما ورد في صحيح البخاري، واستدل بالآيات وأحاديث الأخرى، وأتى بأقوال الصحابة الكرام- رضي الله عنهم- ليتوسع الموضوع، ومن بينهم جعل الخلائق والأكوان أدلة واضحة وحجة ملزمة على تعظيم الله وتجليله وتبجيله وتمجيده- عزّ وجلّ- لكي يُعبَدُ ويحس الناس بدلائل قدرة الله- تعالى- في الكون، كما كانت الملائكة شاهدة على ذلك وعلى عجائب خلق الله- تعالى- في الكون، وفي خلق الجنين.

٢.١: الكـــــون

لغة: كوّنه فتكوّن: أحدثه فحدث، والكون- الحدث، والكائنة- الحادثة، والله مكوّن الأشياء: يخرجها من العدم إلى الوجود[٣٥٤].

واصطلاحا: هو اللفظ المستخدم للدلالة على كل ما حولنا، من النجوم التي نراها ليلاً في السماء، والتي تتجمع في مجموعات تعرف بالمجرات إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات، وما يوجد به من غازات وغبار كونى، بالإضافة إلى أي شيء يقدر له الوجود وراء حدود ما نراه، ولم يشعر الإنسان شعوراً حقيقياً بوجود الكون إلا في نهاية القرن الثامن عشر، عندما اكتشف أنه يسكن على سطح كوكب صغير، في مجموعة شمسية تمثل جزءاً من مجرة تحتوى على ألوف الملايين من النجوم، وأن هناك مجرات مشابهة تقع في الفضاء الذي يمتد وراء هذه المجرة، والتي عرفت في ذلك الحين باسم (الجزر الكونية)[٣٥٥].

والكون والعالم في نظر المتكلمين: اسم لكل موجود سوى الله- تعالى- وينقسم إلى قسمين: جواهر وأعراض، فالجوهر كل ذي حجم متحيز؛ والحيز تقدير المكان، ومعناه أنه لا يجوز أن يكون عين ذلك الجوهر حيث هو، وأما العرض فالمعاني القائمة بالجواهر كالطعوم والروائح والألوان، والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتصور تجزئة عقلا ولا تقدير تجزئة؛ وهما وأما الجسم فهو المؤلف؛ وأقل الجسم جوهران بينهما تأليف،

---

[٣٥٤]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣/ص٣٦٣-٣٦٤.

[٣٥٥]) أحمد مدحت إسلام، هل نحن وحدنا في هذا الكون، مركز الأهرام، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص/٢٦٣.

والأكوان اسم للاجتماع والافتراق والحركة والسكون[٣٥٦].

والحدوث على منهج المتكلمين: وجود الشيء بعد عدمه عرضاً أو جوهراً وإحداثه إيجاده وإحداث الجوهر ليس إلا الله، والحادث ما وجد بعد أن لم يكن الحدوث الذاتي كون الشيء مفتقراً في وجوده إلى الغير، الحدوث الزماني كون الشيء مسبوقا بالعدم سبقاً زمانياً فالأول أعم[٣٥٧].

٢.٢: الأجل

لغة: هو مدّة الشيء، أي هو مدّة لأمر ما، الأجل غاية الوقت في الموت، وحلول الدَّين، ومدّة الشيء، الأَجَلُ: غايةُ الْوَقْتِ فِي الْمَوْتِ وحُلول الدَّين ونحوِه. والأَجَلُ: مُدَّة الشَّيْءِ[٣٥٨]. وفي التّنزيل الْعَزِيز: {وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ أَجَلَهُ}[٣٥٩]، أَي حَتَّى تَقْضِيَ عِدَّتَهَا[٣٦٠]، وقوله تعالى: {وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى}[٣٦١]. وقد وردت كلمة (الأجل) في كتاب الله- العزيز- في آيات كثيرة، وفي صيغ مختلفة بألفاظ متقاربة، تؤدّي معنى المدّة والزمن، ومن المعلوم أنّ هناك جملة من الآيات توضّح مفهوم الأجل، إلّا أنّها لم تذكره صراحة، كما في قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ}[٣٦٢]، والقُرء سواء أكان بمعنى الحيض أم بمعنى الطهر أو بمعناهما، يختلف عند النساء حسب طبيعة تكوينهنّ، أو صحّتهنّ، أو غير ذلك.

وقد عرّف الدكتور عبد الناصر بقوله: «الأجل هو مدّة مستقبلية لأمر محقّق الوقوع، يضاف تنفيذه إلى انقضائها، أو يتوقّف هذا التنفيذ بمداها»[٣٦٣].

وورد تعريفه أيضاً في اصطلاح الفقهاء: الأجل «هو المدّة المستقبلية التي يضاف

---

[٣٥٦]) أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، الغنية في أصول الدين، المحقق عماد الدين أحمد، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م، ص/٥٠.

[٣٥٧]) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت- لبنان،١٤١٠هـ، ص/٢٧١.

[٣٥٨]) ابن منظور، لسان العرب، ج١١/ص١١.

[٣٥٩]) [البقرة:٢٣٥].

[٣٦٠]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٤/ص٢٨٤.

[٣٦١]) [طه: ١٢٩].

[٣٦٢]) [البقرة: ٢٢٨].

[٣٦٣]) عبد الناصر توفيق العطار، نظرية الأجل في الالتزام، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م، ص/٤٧.

إليها أمر من الأُمور، سواء كانت هذه الإضافة أجلاً للوفاء بالتزام، أو أجلا لإنهاء الالتزام، وسواء أكانت هذه المدّة المقرّرة بالشرع أو بالقضاء، أو بإرادة الملتزم فرداً أو أكثرا»[٣٦٤].

أو كل ذي روح يفعل به ما يزهق روحه ميت بانقضاء عمره[٣٦٥].

وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ}[٣٦٦]،

ففي هذه الآية ستة أقوال:

أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت والأجل الثّاني: أجل الموت إلى البعث، قاله: ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل.

ثانيها: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقْبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان؛ رواه العوفي عن ابن عباس.

ثالثها: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية.

رابعها: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني.

خامسها: أن الأول: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا، قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياهم وخاطبهم.

سادسها: أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت من بعد، ذكره الماوردي.

وهنا ننبّه على أن أهل البدع من المعتزلة ومن وافقهم هم الذين يقطعون بأن القتل يقطع على الإنسان عمره، وأن المقتول إذا لم يقتل فإنه يستوفي عمره الذي يعلمه الله[٣٦٧].

قال السفاريني في الدرة المضية:

ومَنْ يُمُتْ بِقَتْلِهِ مِنَ البَشَرْ *** أَوْ غَيْرِهِ فَبِالقَضَاءِ وَالقَدَرْ.

---

[٣٦٤]) اسم المؤلف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل– الكويت، ١٤٢٧هـ، ج٢/ص٥.

[٣٦٥]) الأمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/٢٦٣.

[٣٦٦]) [الانعام:٢].

[٣٦٧]) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٢/ص٨.

ولَمْ يَفُتْ مِنْ رِزْقِهِ وَلَا الأَجَلْ *** شَيْءٌ فَدَعْ أَهْلَ الضّلالِ وَالخَطَلْ[٣٦٨].

وفي الحقيقة فحينما خلق الله- تعالى- الخلق ثم قضى لهم آجالهم في ساعة معينة، وقد أعلم الله- تعالى- الملَك الذي يأتي الجنين في بطن أمه بهذا الأجل، فإذا جاء أجلهم- بموت طبيعي أو مرض أو قتل أو حادث- فإنه لا يتقدم عن الموعد ولا يتأخر.

أما هناك بعض الآراء حول الأجل والقتل؛ والمراد أن المقتول ميت بأجله، أي الوقت المقدر لموته، لا كما يزعم بعض المعتزلة: من أن الله- تعالى- قد قطع عليه الأجل، والحق أن المقتول ميت في الوقت الذي قدره الله- تعالى- له؛ وعلم أنه يموت فيه، لا كما زعمت المعتزلة: أنه قد قطع عليه الأجل، يعني لم يوصله إليه، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أمد هو أجله الذي علم الله- تعالى- موته فيه لولا القتل، فهم يقطعون بامتداد العمر لولا القتل، وحاصل النزاع أن المراد بالأجل المضاف زمان تبطل فيه الحياة قطعا من غير تقدم ولا تأخر، فهل يتحقق ذلك في المقتول أم المعلوم في حقه أنه إن قتل مات، وإن لم يقتل فيعيش إلى وقت هو أجل له؟ فعندهم القاتل قد قطع عليه الأجل، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أمد هو أجله الذي علم الله- تعالى- موته فيه لولا القتل.

وزعم أبو الهذيل[٣٦٩] منهم (أنه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت البتة)؛ وقول غيره (لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وأن لا يموت)، وهو مذهب أهل السنة، يعني إلى أجله الذي إذا جاء لا يتأخر عنه ولا يتقدم، كما قال تعالى: {إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[٣٧٠].

وقال الكعبي[٣٧١] منهم: (إن المقتول تبطل حياته بأجل القتل، وليس المقتول بميت، فيخص

---

[٣٦٨]) السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف- الرياض، ١٩٩٨م،ج١/ص٦٤.

[٣٦٩]) أبو الهذيل العلاف محمد الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف المتكلم؛ كان شيخ البصريين في الاعتزال، ومن أكبر علمائهم، وهو صاحب مقالات في مذهبهم. ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٧١م،ج٤/ص٢٦٥.

[٣٧٠]) [يونس: ٤٩].

[٣٧١]) شَيْخُ المُعْتَزِلَة، الأُسْتَاذُ أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُوْدٍ البَلْخِيُّ، الكعبِيُّ، الخُرَاسَانِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ.

تُوُفِّيَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١/ص٤٧٧.

الموت بما لا يكون على وجه القتل على ما يشعر به)، قوله تعالى:{أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ}[٣٧٢]، لكن المعنى مات حتف أنفه، فمجرد بطلان الحياة موت، والحاصل أن المقتول مات بأجله الذي أجله الله- تعالى- الذي لا يتقدم موته عليه لحظة، ولا يتأخر عنه لحظة، فإنه- عزّ وجلّ- حكم بآجال العباد على علم من غير تردد: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[٣٧٣]، وأما الأحاديث التي فيها أن بعض الطاعات تزيد في العمر، مثل صلة الرحم ونحو ذلك..

فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والإثبات، وعلم الله- تعالى- لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان، والحق أن الأجل واحد، لا كما زعم (الكعبي) أن للمقتول أجلين: القتل والموت، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت)[٣٧٤].

وعند أهل السنّة فجميع الأشياء مستندة إلى الله- تعالى- ابتداء، فسواء كان الموت وجوديا أو عدميا ينسب موت المقتول إلى الله، وبعض المعتزلة ذهب إلى أنّ ما لا يخالف العادة واقع بالأجل منسوب إلى القاتل كقتل واحد؛ بخلاف قتل جماعة كثيرة في ساعة؛ فإنه لم تجر العادة بموت جماعة في ساعة، وردّ بأنّ الموت في كلتا الصّورتين متولّد من فعل القاتل عندهم؛ فلماذا كان أحدهما بأجله دون الآخر، ثمّ الأجل واحد عند المتكلّمين، سوى (الكعبي) كما أشرنا إليه من قبل، ولا يتقدّم الموت على الأجل عند الأشاعرة[٣٧٥].

الأجل عند أهل السنة ومن وافقهم

لا يفرق أهل السنة بين أجل من مات حتفه أنفه، وبين أجل من مات قتلاً، ويرون أن أجلها في علم واحد لا يتقدم ولا يتأخر، وأن القتل هو سبب من أسباب كثيرة وذريعة من ذرائع الموت لا يقع بها الموت إلا بإذن الله- تعالى- ولهذا ورد في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله}[٣٧٦]، وقال الشوكاني: (هذا كلام مستأنف يتضمن الحثَّ على الجهاد والإعلامَ بأن الموت لا بد منه[٣٧٧]، وقيل: (إن هذه الجملة متضمنة للإنكار على من فشل بسبب ذلك الإرجاف بقتله- ﷺ- فبين لهم أن الموت بالقتل أو بغيره

---

[٣٧٢]) [آل عمران: ١٤٤].

[٣٧٣]) [الأعراف: ٣٤].

[٣٧٤]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج١/ص٣٤٨.

[٣٧٥]) التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص١٠٢.

[٣٧٦]) [آل عمران: ١٤٥].

[٣٧٧]) الشوكاني، فتح القدير، ج١/ص٤٤٢.

منوط بإذن الله تعالى[٣٧٨])، وردّ على المنافقين زعمهم الباطل بقوله: {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٣٧٩]، قال القاسمي: (أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوباً عليكم؛ لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود، مع كتابته عليكم، فإن ذلك مما لا سبيل إليه)[٣٨٠]، وقال أيضاً: (هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير أن يكون للإقامة أو للسفر مدخل في ذلك، فإنه- تعالى- قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف، ويميت المقيم مع حيازته لأسباب السلامة)[٣٨١]، هل معنى ذلك أنه لا أثر للأسباب البتة، ونحن نعلم توجيه القرآن والسّنة للناس بأن يأخذوا بها ويلتزموا الأسباب الصحيحة، فلولا أن لها ثمرة ما- ما حثّ الناس ودلّهم عليها، ولهذا قال القاسمي: (فإن القدر يدفع بعضه ببعض، كما يدفع قدر المرض بالدواء، وقدر الذنوب بالتوبة، وقدر العدو بالجهاد، فكلاهما من القدر)[٣٨٢]، ومن هذه الأسباب التي تزيد في الأعمار صلة الرحم وأعمال البر كما أشرنا إليها من قبل، وفي معرض بيان أن أجل القتل هو أجل الموت، ويقول الشيخ محمد عبده في رده علي المنافقين في تأويل قوله: {فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٣٨٣]، أي: (إن هذا القول في حكمه الحازم متضمن أن علمهم قد أحاط بأسباب الموت في هذه الواقعة، وإذا جاز هذا فيها جاز في غيرها، وحينئذ يمكنهم درء الموت أي: دفعه من أنفسهم، ولذلك طالبهم به وجعله حجة عليهم، وقد يقال: إن فرقاً بين التوقي من القتل بالبعد عن أسبابه وبين دفع الموت بالمرة، فالموت حتم عند انتهاء الأجل المحدود وإن طال، والقتل ليس كذلك، فكيف احتج عليه وطلب درء الموت عن أنفسهم؟ وهذا اعتراض يجيء من وقوف النظر؛ فالكل يعلم ولا سيما من حارب أنه ما كل من حارب يُقتل فقد عرف بالتجربة أن كثيرين يصابون بالرصاص في أثناء القتال ولا يموتون، وأن كثيرين يخرجون من المعمعة سالمين ولا يلبثون بعدها أن يموتوا حتف أنوفهم كما يموت كثير من القاعدين عن القتال، فما كل مقاتل يموت ولا كل قاعد يسلم، وإذا لم يكن أحد الأمرين سقط قولهم

---

[٣٧٨]) الشوكاني، فتح القدير، المصدر نفسه، ج١/ص٤٤٢.

[٣٧٩]) [آل عمران: ١٦٨].

[٣٨٠]) القاسمي، محاسن التأويل، ج٢/ص٤٥٥.

[٣٨١]) القاسمي، محاسن التأويل، المصدر نفسه، ج٢/٤٤٢.

[٣٨٢]) القاسمي، محاسن التأويل، المصدر نفسه، ج٢/ص٤٤٣.

[٣٨٣]) [آل عمران: ١٦٨].

وظهر بطلانه)[٣٨٤]، فأهل السنة (مجمعون على أن كل ميت بأجله يموت، ويقولون إن الخارجين إلى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت، وأن ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله- عزّ وجلّ)[٣٨٥]، ويقولون: (أن المقتول ميت بأجله ووقته المقدر لموته)[٣٨٦]، وقد شارك الكرامية أهل السنة: (في أن المقتول ميت بأجله)، ويقول محمد ابن الهيصم الكرامي: (مذهبنا أن الله- تعالى- قد أجل لكل نفس أجلاً لن يقتضي عمره دون بلوغه، ولا يتأخر عنه، ومعنى الأجل هو الوقت الذي علم الله أن الإنسان يموت فيه، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ؛ وليس يجوز أن يكون الله- تعالى- قد أجل له أجلاً، ثم يقتل قبل بلوغه أو يخترم دونه، ولا يتأخر عما أجل له، ليس على معنى أن القاتل مضطر إلى قتله حتى لا يمكنه الامتناع منه، بل هو قادر على أن يمتنع من قتله، ولكنه لا يمتنع منه، إذا كان المعلوم أنه يقتله لأجله بعينه، وكتب ذلك عليه، ولو توهماً في التقدير، أنه يمتنع من قتله، لكان الإنسان يموت لأجل ذلك، لأنهما أمران مؤجلان بأجل واحد، فأحدهما: قتل القاتل إياه، والثاني: تصرم مدة عمره وحلول الموت به، فلو قدرنا امتناع القاتل من قتله، لكان لا يجب بذلك ألا يقع المؤجل الثاني الذي هو حلول الموت به، بل كان يجب أن يموت بأجله، ويستدلون بالكتاب في قولهم، وبيان ذلك من كتاب الله توبيخه للمنافقين على قولهم: {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا}[٣٨٧]، فدل على أنهم لو تجنبوا مصارع القتل لم يكونوا ليدرؤوا بذلك الموت عن أنفسهم.

---

[٣٨٤]) الشيخ محمد عبده، الاعمال الكاملة، تحقيق، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق-بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م، ج٥/ص١٢٦-١٢٧.

[٣٨٥]) الغامدي، صالح بن غرم الله، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي، دار الأندلس- حائل،١٤١٨هـ -١٩٩٨م، ج٢٩٦/١.

[٣٨٦]) القاري، علي بن سلطان محمد، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص/٣٥٨.

[٣٨٧]) [آل عمران: ١٥٦].

وجاء عن أُسامةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ- ﷺ- إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ، وَعِنْدَهُ سَعْدٌ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذٌ، أَنَّ ابْنَهَا يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا: «لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلِلَّهِ مَا أَعْطَى، كُلٌّ بِأَجَلٍ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[٣٨٨]، وموضع الدلالة هنا قوله: {لله ما أخذ، ولله ما أعطى، كل بأجل}- فإن هذا الحديث يدل على إثبات القدر[٣٨٩]، وكل من انقضى أجله فمحال تقدمه أو تأخره عنه، أو كل شيء من الأخذ والاعطاء بأجل معلوم.

وأما الشيعة فقد قالوا بالزيادة والنقصان في الأجل كأهل السنة، وفارقوهم في قضية المقتول، حيث زعموا (أن الوقت الذي علم الله- تعالى- أن الإنسان يموت فيه إن لم يقتل قبل ذلك، وربما يقتل الإنسان الذي ضرب له من الأجل خمسون سنة وهو ابن عشرين سنة)[٣٩٠].

موقف المعتزلة من الأجل ومن وافقهم

ذكر أبو الحسن الأشعري- رحمه الله- موقف المعتزلة في هذه المسألة، وقال: (فقال أكثر المعتزلة: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله-تعالى- أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله، وإذا مات مات بأجله، وشذ قوم من جهالهم، فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله- تعالى- أن الإنسان لو لم يقتل لبقي إليه هو أجله، دون الوقت الذي قتل فيه[٣٩١].

وما ذهب إليه أكثر المعتزلة من أن أجل القتل هو أجل الموت بعينه يتفق تماماً مع أهل السنة، وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار- رحمه الله-: (فاعلم أن من مات حتف أنفه مات لأجله، وكذا من قتل فقد مات بأجله أيضاً، ولا خلاف في هذا، والدليل عليه: أن

---

[٣٨٨]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت برقم- (٩٢٣)، وابو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت برقم- (٣١٢٥)، والنسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة برقم- (١٨٦٨)، وابن ماجه في سننه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت برقم – (١٥٨٨).

[٣٨٩]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤١٧.

[٣٩٠]) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص/٢٥٦- القاري، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص/٣٥٨- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، المحقق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه،١٣٨٥هـ -١٩٦٥م، ج٥/ص١٣٧.

[٣٩١]) الأشعري، مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ج١/ص٢٠٤- التفتازاني، شرح المقاصد، ج٤/ص٣١٤.

الأجل ليس المراد به ههنا إلا وقت الموت، وهما قد ماتا جميعاً وقت موتهما)[٣٩٢]، وبالمقارنة بين النصين السابقين نجد أن القاضي عبد الجبار (يذكر أن المعتزلة جميعاً اتفقت على جعل أجل القتل هو أجل الموت دون التعرض لذكر من شذ منهم)؛ والذي أشار إليهم أبو الحسن الأشعري بقوله: (وشذ قوم من جهالهم)، مع اتفاق أبي الحسن الأشعري والقاضي عبد الجبار في تحديد مسألة النزاع بين المعتزلة، وهي كما يقول أبو الحسن الأشعري: (واختلف الذين زعموا أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله- تعالى- أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، في المقتول الذي لو لم يقتل هل كان يموت أم لا على ثلاثة أقاويل)[٣٩٣]، وينص القاضي على هذه المسألة بعينها ويقول هي محل الخلاف فقط؛ فيقول: (وإنما الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف كان يكون حاله في الحياة والموت)[٣٩٤]، ثم ذكر ثلاثة أقاويل لهم في هذه المسألة، وهذا الاتفاق بيّن لنا دقة أبي الحسن الأشعري وحرصه فيما يسجله على خصومه فكيف بأنصاره، أمّا غيره فأحياناً يبالغون، فمثلا نجد بعضهم ينسب إلى المعتزلة في مثل هذه المسألة أن أكثرهم يذهب إلى أن أجل المقتول ليس هو عين أجل الميت، وأن القاتل قد خرم عليه[٣٩٥].

١- فقال بعضهم: إن الرجل لو لم يقتل مات في ذلك الوقت وهذا قول أبي الهذيل.

٢- وقال بعضهم: يجوز لو لم يقتله القاتل أن يموت ويجوز أن يعيش.

٣- وأحال منهم محيلون هذا القول[٣٩٦].

٢.٣: العطاء

لغة: يمدّ ويقصر- اسم مصدر مأخوذ من العطو: وهو التناول، يقال: عطوت الشيء، أعطو: تناولته، وفي الأثر: (إِنَّ أَرْبَى الرِّبا عَطْوُ الرَّجُلِ عِرضَ أَخِيهِ بغَيرِ حَقٍّ) أَيْ تَنَاوُلُه بالذَّم وَنَحْوِهِ[٣٩٧]. وهو في اللغة: اسم لما يعطى به، والجمع عطايا[٣٩٨].

أو عطاء [مفرد]: جمعه أَعْطِية (لغير المصدر) جمع الجمع أَعْطِيات، مثنى عطاءان

---

[٣٩٢]) قاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٧٨٢.

[٣٩٣]) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١/ص٢٥٦.

[٣٩٤]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٧٨٢.

[٣٩٥]) التفتازاني، شرح المقاصد، ج٤/ص٣١٥-٣١٦.

[٣٩٦]) الأشعري، مقالات الإسلاميين، المصدر السابق، ج١/ص٢٠٤.

[٣٩٧]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣/ص٢٥٩.

[٣٩٨]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/ص٦٨.

(لغير المصدر) وعطاوان (لغير المصدر) مصدر أعطى: هبة، ما يُعْطَى بدون مقابل كان كريمًا جزيل العطاء- كما قال تعالى:{كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ} أجزل العطاءَ: أوسعه وأكثره- أَخْذٌ وعطاءٌ: تبادل المنافع بين طرفين[٣٩٩].

المعنى الاصطلاحي للعطاء

لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي في أن العطاء يدور معناه حول المناولة، قال ابن العربي: (حقيقَةُ الْعَطَاءِ هي الْمُنَاوَلَةُ، وهي في اللُّغَة والِاسْتِعْمَال عبارةٌ عنْ كُلِّ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ يَصِلُ مِنْ الْغَيْرِ إلَى الْغَيْرِ)[٤٠٠].

وقال المناوي: (العطاء: التناول، والمعاطاة المناولة، لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة)[٤٠١].

العطاء الإلهي

إن العطاء الذي ليس له حدود هو من عند الله- تعالى- بدون أن يطلب التعويض، وبدون أن يكون له مقابل، هذا من عظمة (الخالق) على خلقه، وأحد من أسماء الله الحسنى- هو (المعطي) وجاء في حديث النبي-ﷺ- على سبيل الإطلاق مراداً به العلمية ودالاً على الوصفية في غير نص من النصوص النبوية، وقد ورد المعنى محمولا عليه مسندا إليه، كما جاء عن حُمَيْدِ بْنِ عبْد الرَّحْمَن، أَنَّهُ سمِع مُعَاوِيَةَ يقُول: قَال رَسُولُ اللَّه- ﷺ-: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ المُعْطِي وَأَنَا القَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٤٠٢]، ويفهم منه بأن الله هو (المعطي) الذي أعطى كل شيء من خلقه، وتولى كل من تحت أمره وعنايته، وهو الرازق في الدنيا والآخرة، كما قال- تعالى- عن موسى- عليه السّلام- وهو يصف عطاء

---

[٣٩٩]) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ج٢/ص١٥١٨.

[٤٠٠]) ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٤/ص٤٠٥.

[٤٠١]) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب عبد الخالق ثروت-القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص/٢٤٣.

[٤٠٢]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ}[الأنفال: ٤١]، برقم (٣١١٦).

الربوبية؛ {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[٤٠٣]، وعطاء الله- تعالى- بركة لا ينقطع ولا ينتهي، وهو في كل الأحوال تحت علمه وحكمته، وهو له صفة (المعطي) فبصفته يعطي خلقه وفق مشيئته التي تقتضيها حكمته، بدون أن يكون له غاية من عطائه- عز وجل.

وأما عبادة عباده له فهي لخيرهم وسعادتهم، ولترقية أرواحهم وتزكية نفوسهم[٤٠٤].

أنواع العطاء الإلهي

١-العطاء العام: وهو أن يكون للخلائق أجمعين، قال الله- تعالى- {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}[٤٠٥]، والعطاء هنا هو تمكين العبد من الفعل ومنحه القدرة والاستطاعة، كل على حسب رزقه وقضاء الله وقدره، وأن الله- تعالى- يمد بعطائه في الدنيا أهل طاعته، وأهل معصيته، حتى الكافرين به والجاحدين له، فهذا النص يفسر الظاهرة المشهودة في دنيا الناس، فيبين أن الله يمدّ عباده بالعطاء غير المحظور، أي: الذي لا تستطيع منعه قوة غير قوة الله، فهو يمدّ أهل الدنيا الذين يريدون العاجلة، ولكن ما لهم في الآخرة من نصيب، بل لهم فيها العذاب جزاء كفرهم وعصيانهم؛ ويمدّ بعطائه طلاب الآخرة، ويدخر لهم العطاء الأجل الأعظم إلى يوم القيامة، فيمنحهم بذلك عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، فضلاً منه وكرماً[٤٠٦].

أما عطاء الدنيا فمشمول بقانون الابتلاء، الذي يخضع له المؤمنون والكافرون على السواء.

وأما عطاء الآخرة فهو عطاء الفضل العظيم، الذي يحرم من يحرم منه ضمن قانون الجزاء، وقال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ

---

[٤٠٣]) [طه:٥٠].

[٤٠٤]) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم- ديمشق،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٢/ص٣٧٢.

[٤٠٥]) [الإسراء:١٨-٢٠].

[٤٠٦]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمود حسن، دار الفكر-بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ج٤/ص٩٤.

وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[٤٠٧]، غير مجذوذ: أي غير مقطوع، والجذّ في اللغة القطع[٤٠٨].

وقد زاد الله في فضله وإكرامه، فسمى هذا العطاء أجراً، مع أنه في الحقيقة والواقع من محض فضله وجوده، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[٤٠٩]، أي: أجراً غير مقطوع عنك[٤١٠].

٢- العطاء الخاص: كاستجابة الدعاء وتحقيق مطلب الأنبياء والصالحين من الأولياء، ومن ذلك الدعاء والعطاء في قصة نبي الله سليمان- عليه السّلام- قال تعالى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ *وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٤١١]، وكذلك في دعاء نبي الله زكريا- عليه السّلام- فحقق الله مطلبه وأعطاه ما يتمناه في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا}[٤١٢]، وقال تعالى- عن عطائه للمؤمنين في الآخرة، {جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً}[٤١٣].

فضل العطاء

الحياة أَخذٌ وعطَاء، لأن الحياة قائمة عليهما، وهما أساسها؛ ولا يمكن الحياة من دون العطاء؛ لان اليد تَمُدّ وأُخرى تَقبِض، والقُلُوب تهَب والأَعين تترقّب، وموسِرين يُنفقون ومُقلّين ينتظرون، ولكن البعض يكتفون بالأخذ، ولا يعطون، ولهذا جعل الله النَّاس علَى قسمين: قسم يجد في العطَاء لَذَّته، ويَرى البذلَ منتَهى سعادته، والآخر لا يعرف إلاَّ الأَخذَ والاستعطَاءَ، والذي يجب علينا أن نكون سابقين إلى الخير، ومتنافسين في العطاء؛ لكي

---

[٤٠٧]) [هود: ١٠٨].

[٤٠٨]) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، ج١٧/ص٩٨.

[٤٠٩]) [فصلت:٨].

[٤١٠]) ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر نفسه، ج٢٩/ص٦٣.

[٤١١]) [ص:٣٥-٣٩].

[٤١٢]) [مريم:٤-٧].

[٤١٣]) [النبأ:٣٦].

نعيش عيش السعداء؛ ومجتمعا حضاريا في الحياة؛ وقال الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}[٤١٤].

قال الرازيّ: وفي أَعْطى وجهان:

أحدهما: أن يكون المراد إنفاق المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب، وفك الأُسارَى، وتغليب المسلمين على أعدائهم وانتصارهم عليها رغم قلة عددهم؛ كما كان يفعله أبو بكر- رضي الله عنه- سواء كان ذلك واجبا أو نفلا؛ وإطلاق هذا كالإطلاق في قوله: {وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ}[٤١٥]، فإن المراد منه كل ما كان إنفاقا في سبيل الله، سواء كان واجبا أو نفلا؛ وقد مدح الله قوما؛ فقال: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}[٤١٦] ،

وقال تعالى في آية أخرى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مالَهُ يَتَزَكَّى}[٤١٧].

ثانيهما: أن قوله أَعْطى يتناول إعطاء حقوق المال، وإعطاء حقوق الناس في طاعة الله- تعالى- يقال: فلان أعطى الطاعة وأعطى السعة، إلا أن الأول هو المناسب للإعطاء؛ لأن المعروف فيه تعلقه بالمال خصوصا[٤١٨]. ولهذا جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله- ﷺ-«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[٤١٩].

العدل الإلهي في عطائه بين العباد

إن هذه القضية قضية مهيجة للجدال بين المتكلمين قديما وحديثا، لأن قضية العدل الإلهي تتعلق بأفعال الله وأفعال الإنسان أو بالتنظيم بجبرية الله وحرية الإنسان، فعلى مذهب أهل السنة:

أن الله- تعالى- لا يعتبرون ظالما لأنه هو الفاعل على الحقيقة وفي نهاية الأمر هو الملك

---

[٤١٤]) [الليل:٥- ٧].

[٤١٥]) [البقرة: ٣].

[٤١٦]) [الإنسان: ٨].

[٤١٧]) [الليل: ١٧- ١٨].

[٤١٨]) الرازي، التفسير الكبير، ج٣١/ص١٨٢؛ القاسمي، محاسن التأويل، ج٩/ص٤٨٥.

[٤١٩]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، برقم (٢٦٩٩/٣٨).

على الحقيقة، وأن الله هو عدل في أفعاله بمعنى أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، فالعدل وضع الشيء موضعه، وهو متصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم ضده، فلا يتصور جور في الحكم وظلم في التصرف[٤٢٠]، قال الله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ}[٤٢١]، أي: لو رزق الله العباد من غير كسب لَبَغَوْا طغوا وسَعَوا في الأرض بالفساد، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمة منه[٤٢٢] ؛ يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا؛ وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل؛ ولا شك أن البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب[٤٢٣].

وفي هذه الآية مسألتان:

الأولى: إنها نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق، وقال خباب بن الأرت: فينا نزلت، نظرنا إلى أموال بني النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت (لَوْ بَسَطَ) معناه وسّع، وبسط الشيء نشره، وبالصاد أيضاً (لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) طغوا وعصوا؛ وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- (بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابّة بعد دابّة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس) وقيل المعنى: أراد لو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر منه، لقوله: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-:«لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ثَالِثٌ، وَلَا يَمْلَأُ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[٤٢٤]، وهذا هو البغي، وهو معنى قول ابن عباس، وقيل المعنى: لو جعلناكم سواءً في المال لما انقاد بعضهم لبعض، ولتعطلت الصنائع.

---

[٤٢٠]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١/ص٤٢.

[٤٢١]) [الشورى: ٢٧].

[٤٢٢]) ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر، د، حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ، ج٥/ص٢١٦.

[٤٢٣]) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٣/ص٢٥٥.

[٤٢٤]) أخرجه الترمذي في مسنده، بَابُ مَا جَاءَ لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، برقم (٢٣٣٧).

الثانية: أفعال الرب لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله الاستصلاح، فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا، مصلحة له، فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعة فضيلة، وقد أعطى أقواماً مع علمه أنهم يستعملونه في الفساد، ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا أقرب إلى الصلاح، والأمر على الجملة مفوّض إلى مشيئته، ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كلّ فعل من أفعال الله تعالى[٤٢٥].

وقال تعالى أيضا:{إن رَبك يبسط الرزق لمن يَشَاء وَيقدر}[٤٢٦]، والمعنى: إن الله- تعالى- هو مانح من يرزقه، وهو مقدر الرزق، وإذا كان الأمر كذلك فلا محل للبخل؛ لأنه يعطي الرزق فربما يعطي خلفا لما ينفق ولا محل للإسراف؛ لأن الإسراف ينافي شكر النعمة، ومعنى يبسط يوسع أي يجعله موسعا مبسوطا، (وَيَقْدِرُ)، أي يجعله محدودا ليس بكثير[٤٢٧].

ومن السنة: عَنْ وَرَّادٍ مَوْلَى المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ، إِلَى المُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ النَّبِيَّ- ﷺ- يَقُولُ خَلْفَ الصَّلاَةِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ- ﷺ- يَقُولُ خَلْفَ الصَّلاَةِ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» وَقَالَ فَسَمِعْتُهُ: يَأْمُرُ النَّاسَ بِذَلِكَ القَوْلِ}[٤٢٨].

هذا الحديث: تفويض إلى الله- عزّ وجلّ- بأنه لا مانع لما أعطى، فما أعطاك الله لا أحد يمنعه، وما منعك لا أحد يعطيك إياه، ولهذا قال: ولا معطي لما منعت، فإذا آمنا بهذا، فممن نسأل العطاء من الله إذا آمنا بأنه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، إذاً لا نسأل العطاء إلا من الله- عزّ وجلّ- ونعلم أنه لو أعطانا فلان شيئا فالذي قدر ذلك هو الله، والذي صيره حتى يعطينا هو الله، وما هو إلا مجرد سبب، لكن نحن مأمورون بأن نشكر

---

[٤٢٥]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦/ص٢٧.

[٤٢٦]) [الإسراء:٣٠].

[٤٢٧]) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج٨/ص٤٣٧١.

[٤٢٨]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته برقم- (٥٩٣)، وابو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم برقم-(١٥٠٥)، والنسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة برقم- (١٣٤١).

من صنع إلينا معروفا[٤٢٩]. ودلالة هذا الحديث: على أن من الأدعية المأثورة المسنونة هذا الذكر المقترن بهذا الدعاء المبارك، فيسن للمسلم أن يدعو به بعد كل صلاة مكتوبة معتقداً لمعناه، موقناً بمضمونه وفحواه، سائلاً ربّه من خزائن جوده وكرمه، لأنه المعطي والمانع وحده لا شريك له، متضرعاً إليه أن يوفقه لطاعته، لأن من حُرِمَ ذلك لا يفيده حظه، ولا ينفعه حسبه ونسبه[٤٣٠].

وقال الكوّراني مجيبا عن السؤال، فإن قلت: ما وجه دلالة الحديث «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ» على القدر من حيث إن المقدر كائن لا يزول؟ فأجاب الكوّراني بقوله، قلت: ولنا في تحقيق معنى من، فإنهم قالوا: إنها بدلية. قال النووي: وقد روي بكسر الجيم فيقدر مضاف ويأتي بمعنى الإجتهاد[٤٣١]. أي لا ينفعه إجتهاده في أمر الدنيا فهو عائد إلى الأول[٤٣٢]. يبدو في شرحه أن كل شيء بقدر لا يحتاج إلى الجهد والمثابرة من حيث أن الله قدّر لنا كل شيء؛ فإذاً إن الأرزاق بيد اللَّه يعطي من يشاء عن سعة، وهو له مختبر، فإن أنفقها في خير كان شكرا لها.

ويرى الماتريدي أن معنى العدل في الله وضع الشيء موضعه، وهذا يعني الإصابة في الأمور وهذا معنى الحكمة، وقال الماتريدي: يوجد بين معنى العدل ومعنى الحكمة وهما ليسا واجبان على الله، إذا في الحكمة كما يقول طريقان، أحدهما العدل؛ والثاني الفضل؛ وليس لما يقدر على الله من الأفضل نهاية، فيتكلم في الشيء بأفضل ما يبلغ قوته من الفعل، مع ما ليس عليه الأفضل وغير جائز خروجه مثله عن الحكمة لما ذكرت، وكذلك معنى العدل أنه وضع كل شيء موضعه، لكن له درجات، يوصف فعل بعضها إحسانا وأفضالا وفعل بعضها عدلا وحكمة، إذ هما اسمان عامان لكل ما للفعل فعله، ولأول خاص من حيث كان له تركه فسيفعله منعما محسنا[٤٣٣].

---

[٤٢٩]) العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٦هـ، ج٥/ص٤٩٣.

[٤٣٠]) حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج٥/ص٢٧٨.

[٤٣١]) الكوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤٢٨.

[٤٣٢]) الكوراني، الكوثر الجاري، المصدر نفسه، ج٢/ص٥٠٣.

[٤٣٣]) الماتريدي، التوحيد، ص/١٢٥.

أما المعتـزلة فيرون أن العدل: هو ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة[٤٣٤]، يحدد القاضي عبد الجبار: (أنه- تعالى- عدل، والمراد به أن أفعاله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخلوا بما هو واجب عليه)[٤٣٥].

٢.٤: الخلق

لغة: الخلق في كلام العرب، ابتداع الشّيء على مثال لم يُسبق إليه[٤٣٦].

واصطلاحا: الخلق هو الإبراز من العدم إلى الوجود فلا خالق بهذا المعنى إلا الله[٤٣٧].

وتأتي كلمة خلق بمعنى التقدير[٤٣٨]، كما في قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[٤٣٩]، معناه أن الله أحسن المقدّرين لأن تقديره لا يخطئ ولا يتغير، وتقدير غيره يجوز عليه الخطأ والتغير، فيجوز بهذا المعنى (أي التقدير) إطلاق الخلق على غير الله[٤٤٠]، وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاْ الإِنْسَانْ مِنْ سُلاْلَةٍ مِنْ طِيْنٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاْهُ نُطْفَة فِيْ قَرَاْرٍ مَكِيْنٍ*ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَاْ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَاْ الْمُضْغَةَ عِظَاْمَاً فَكَسَوْنَاْ الْعِظَاْمَ لَحْمَاً ثُمَّ أَنْشَأْنَاْهُ خَلْقَاً آخَرَ فَتَبَاْرَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَاْلِقِيْنَ}[٤٤١] ؛ من الآيات الكريمة السابقة يتبيّن أن خلق الإنسان يتم على مراحل، على النحو التالي:

١-التراب: ودليل ذلك أن كافة العناصر المعدنية والعضوية التي يتركب منها جسم الإنسان موجودة في التراب والطين؛ والدليل الثاني أنه بعد مماته سيصير تراباً لا يختلف عن التراب في شيء.

٢- النطفة: وهي التي تخرق جدار البويضة وينجم عن ذلك البيضة الملقحة (النطفة

---

[٤٣٤]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١/ص٤٢.

[٤٣٥]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/١٣٢.

[٤٣٦]) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠/ص٨٥.

[٤٣٧]) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير، المكتبة العلمية – بيروت، ج١/ص١٨٠.

[٤٣٨]) الفيومي، المصباح المنير، المصدر نفسه، ج١/ص١٨١.

[٤٣٩]) [المؤمنون: ١٤]

[٤٤٠]) المقدسي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، المحقق نور الدين طالب، دار النوادر- إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ج٤/ص٤٦١.

[٤٤١]) [المؤمنون: ١١-١٣].

الأمشاج) التي تحرض الانقسامات الخلوية التي تجعل النطفة الأمشاج تنمو وتتكاثر حتى تصبح جنيناً متكاملاً؛ كما في قوله تعالى {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)[٤٤٢].

٣- العلقة: بعد الانقسامات الخلوية التي تحدث في البيضة الملقحة تتشكل كتلة من الخلايا تشبه في شكلها المجهري ثمرة التوت (العلقة) والتي تتميز بقدرتها العجيبة على التعلق على جدار الرحم لتستمد الغذاء اللازم لها من الأوعية الدموية الموجودة فيه.

٤- المضغة: تتخلق خلايا المضغة لتعطي براعم الأطراف وأعضاء وأجهزة الجسم المختلفة؛ فهي تتكون إذاً من خلايا مخلقة، أما الأغشية المحيطة بالمضغة (الغشاء المشيمي، وكذلك الزغابات التي ستتحول إلى الخلاص لاحقاً) فإنها خلايا غير مخلقة، وتحت الدراسة المجهرية تبيّن أن الجنين في مرحلة المضغة يبدو كقطعة لحم أو صمغ ممضوغ وعليها علامة أسنان وأضراس ماضغة،ألا يؤكد هذا قوله تعالى: {مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ}[٤٤٣].

٥- ظهور العظام: ثبت علمياً أن العظام تبدأ بالظهور في نهاية مرحلة المضغة وهذا يوافق الترتيب الذي ذكرته الآية {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا}.

٦- كساء العظام باللحم: لقد أثبت علم الأجنة الحديث أن العضلات (اللحم) تتشكل بعد العظام ببضعة أسابيع ويترافق الكساء العضلي بالكساء الجلدي للجنين[٤٤٤]، وهذا يوافق تماماً قوله تعالى: {فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} وهذا يتوافق مع ما ثبت في علم الأجنة من أن العظام تخلق أولا، ثم تكسى بالعضلات في نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن من تلقيح البويضة، وبهذا تنتهي مرحلة التخليق والتي يسميها علماء الأجنة بالمرحلة الجنينية[٤٤٥].

ورأي الكوراني حول مراحل خلق الإنسان؛ يبدو من خلال شرحه للحديث، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ

---

[٤٤٢]) [الإنسان:٢].

[٤٤٣]) [الحج:٥].

[٤٤٤]) عبد الله بن عبد العزيز المصلح والدكتور عبد الجواد الصاوي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياد، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص/٦٩- د، عبد الفتاح محمد طيرة، خلق الانسان دراسة علمية قرانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص/٢٤٥.

[٤٤٥]) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لعبد الله بن عبد العزيز المصلح والدكتور عبد الجواد الصاوي، ص/٦٠.

نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ذكرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[٤٤٦]،

والسؤال الموجه للشيخ الگوراني؛ فإن قلت: ما فائدة هذا النداء وهذا الكلام مع أن علم علام الغيوب أشمل؟ فأجابه، قلت: هذا إظهار للعبودية، وإنه قائم بما أمر به لا يفتر عنه- {فيكتب كذلك في بطن أمه}- وقيل: يكتب على جبينه، وقيل: في بطن أمه في موضع الحال، أي: يكتب هذه الأشياء في ديوان الملك الموكل وهو في بطن أمه لم يلد بعد، وهذا الذي أشار بقوله: {يسبق عليه الكتاب}[٤٤٧].

وقال الگوراني مجيباً عن سؤال، قلت: ذكر هذه الأطوار في الآية الكريمة بأساليب مختلفة، ذكر بلفظ ثم في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}[٤٤٨]، ثم ذكر انتقاله من العلقة إلى المضغة بالفاء، وكذا انتقاله من المضغة إلى العظام، ثم انتقل إلى ثم في قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}[٤٤٩]، أجاب- شيخنا- قلت: بأن ذكر النطفة بثم بعد السلالة؛ لأن المراد منها خلق آدم، ومن النطفة خلق المولود، وأما ذكر العلقة بعد النطفة بثمّ فلأن النطفة قد لا تكون إنساناً، وهذا- مع كونه ليس جوابا للإشكال – منقوض بأن العلقة أيضاً قد لا تكون إنساناً، ثم قال: وأما قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}[٤٥٠]، فيدل على ما يتجدد له بعد الخروج من بطن أمه، وهذا أيضاً مما لا دلالة عليه من لفظ ثم، والحق أن ذكر العلقة بثم بعد النطفة فلأن النطفة تتفرق في البدن وتجتمع في الرحم في أربعين، ثم أشار بلفظ ثم، وأما قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}، فلأنه إشارة إلى نفخ الروح الذي هو أبدع من كل بديع، فثم للتراخي رتبة[٤٥١].

ثم نأتي إلى رأي الگوراني حول معنى الجمع في بطن أمه:

وقال الگوراني مجيباً عن سؤال موجه له، فإن قلت: ما معنى الجمع في بطن أمه؟ وأجاب الگوراني، قلت: روي عن ابن مسعود- رضي الله عنهما- «أن النطفة إذا وقعت في رحم المرأة وأراد أن يخلق منها خلق، صارت في أجزاء البدن تحت كل شعرة، وفي

---

[٤٤٦]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه برقم (٢٦٤٦).

[٤٤٧]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤١٢.

[٤٤٨]) [المؤمنون: ١٢-١٣-١٤].

[٤٤٩]) [المؤمنون:١٤].

[٤٥٠]) [المؤمنون:١٤].

[٤٥١]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤١٢-٤١٣.

أربعين يوماً تستحيل دماً، وتنزل الى قعر الرحم» وهذا وإن لم يكن مرفوعا فهو في حكمه؛ إذ لا مجال للعقل فيه، {ثم يبعث الله ملكا}- أي: بعد أن يكون مضغة، {فيؤمر بأربع كلمات}- كما جاء في رواية، وفي بعضها {أربعة}- أي: أحكام، {برزقه وأجله وشقي وسعيد}[٤٥٢].

ثم أيضاً سئل عن الإمام الگوراني في هذه المسألة، والسؤال- فإن قلت: المجمل، {أربع}- والفصل ثلاث؟ فأجاب الگوراني بقوله، قلت: أراد كل واحد من الشقي والسعيد على طريق البدل، وفي رواية {وعمله}[٤٥٣]، وعلى هذا فلا إشكال. وفي رواية ابن حبان في صحيحه خمس: {رزقه وأجله وعمله وأثره ومضجعه}[٤٥٤]، يريد قبره، والسعيد والشقي دخلا في عمله، والأثر إما أن يراد منه ذريته، أو أوصافه من الكرم وغيره، قال ابن الأثير مآثر العرب: [مكارمها] وفي بعض الروايات: {ذكر أو أنثى}- والكل صحيح، ولا تنافي، زيادة الثقات مقبولة[٤٥٥].

ثم نأتي إلى قول بعض الشارحين، وقالوا: والعلم بالذكورة والأنوثة يستلزم العلم بالعمل، لأن عمل الرجال يخالف عمل النساء وبالعكس، وهذا الذي قاله فاسد لا معنى له؛ وذلك أن النساء داخلة في أحكام الرجال وخطابهم؛ كما قال الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[٤٥٦]، وأما خواص النساء من الحيض والولادة ونحوها فلا لبس فيها.

وتمام الحديث:{وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع}- هذا كناية عن غاية القرب باعتبار ما يظهر من الأعمال[٤٥٧].

٢.٥: السعادة والشقاوة

السعادة لغة: من سَعِدَ الرَّجُلُ من باب سَلِمَ فهو (سَعِيدٌ) و (سُعِدَ) بضمّ السّين فهو (مَسْعُودٌ)، وَقَرَأَ الْكِسائِيُّ: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا}[٤٥٨] بضمّ السّين؛ و(أَسْعَدَهُ اللَّهُ) فهو (مَسْعُودٌ)

---

[٤٥٢]) الگوراني، الكوثر الجاري، المصدر نفسه، ج١٠/ص٤١١.

[٤٥٣]) أخرجه الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم- (٣٢٠٨).

[٤٥٤]) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَضَى اللَّهُ أَسْبَابَهَا، برقم (٦١٥٠).

[٤٥٥]) الگوراني، الكوثر الجاري، المصدر السابق، ج١٠/٤١١.

[٤٥٦]) [البقرة: ٤٣].

[٤٥٧]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤١٣.

[٤٥٨]) [هود: ١٠٨].

ولا يُقَالُ مُسْعَدٌ، و(الْإِسْعَادُ) الْإِعَانَةُ و(الْمُسَاعَدَةُ) المُعاوَنة؛ وقَوْلُهُمْ: (لَبَّيْكَ) و(سَعْدَيْكَ) أَي: إِسْعَادًا لَك بَعْدَ إِسْعَادٍ؛ و(السَّعْدَانُ) بوزْن الْمَرْجَانِ نَبْتٌ وهو مِنْ أَفْضَلِ مَرْعَى الْإِبِلِ، وفي الْمَثَلِ: مَرْعًى وَلَا كَالسَّعْدَانِ، و(سَاعِدَا) الْإِنْسَانِ عَضُدَاهُ وَسَاعِدَا الطَّيْرِ جَنَاحَاهُ[٤٥٩].

واصطلاحا: السعادة هي الموت على الإيمان باعتبار تعلق علم الله- تعالى- أزلاً بذلك[٤٦٠].

الشقاء لغة: (الشَّقَاءُ) و(الشَّقَاوَةُ) بالْفتح ضِدُّ السَّعَادَةِ؛ وقَرَأَ قَتَادَةُ: «شِقَاوَتُنَا» بالْكسر وهي لُغَةٌ؛ وقَد (شَقِيَ) (شَقَاءً) و(شِقَاوَةً) بالْكسر أَيْضًا و(أَشْقَاهُ) اللَّهُ فهو (شَقِيٌّ) بَيّن (الشِّقْوَة) بالكسر، وفَتْحُهُ لُغةٌ[٤٦١]، ومنه قوله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ}[٤٦٢].

واصطلاحا: الشقاوة هي الموت على الكفر بذلك الاعتبار[٤٦٣].

ويظهر من التعريفين في الاصطلاح: أن السعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا يتغيّران ولا يتبدلان، فإن ختم له بالإيمان دلّ على أنه في الأزل كان من السعداء وإن تقدمه كفر، وإن ختم له بالكفر دلّ على أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدمه إيمان[٤٦٤].

ومن هنا اختلف المتكلمون من أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة حول هذه المسألة على النحو الآتي:

المذهب الأول: مذهب الأشاعرة

قالوا إن السعادة والشقاوة لا تتبدلان، فالسعيد عندهم لا يشقي، والشقي لا يسعد، لأن السعادة والشقاوة في علم الله- تعالى- وإذا ما سعد الشقي وشقي السعيد فإن ذلك تبدل في علم الله، وهو البداء والله- تعالى- منزه عنه[٤٦٥].

---

[٤٥٩]) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج١/ص١٤٨.

[٤٦٠]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/١٧٣.

[٤٦١]) الرازي، مختار الصحاح، ج١/ص١٦٧.

[٤٦٢]) [المؤمنون:١٠٦].

[٤٦٣]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/١٧٣.

[٤٦٤]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، المصدر السابق، ص/١٧٣.

[٤٦٥]) قاسم غفور حسن، مباحث الگوراني العقدية في كتابه – الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري - كتابي – بدء الوحي والإيمان-، كلية العلوم الاسلامية- أصول الدين- أطروحة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة بغداد، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص/١١٣.

أدلة مذهب الأشاعرة

١-عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله- ﷺ- أنه يقول: « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»[٤٦٦].

وهذا يدل أن المؤمن كان منذ الأزل من السّعداء وإن تقدم إيمانه كفر، والكافر منذ الأزل كان من الأشقياء وإن تقدم إيمانه كفر[٤٦٧].

قال ابن حجر- رحمه الله- (وهو شقي باعتبار ما يختم له، وسعيد باعتبار ما يختم له، كما دل عليه بقية الخبر، وكان ظاهر السّياق)[٤٦٨].

والحديث يدلّ على أن الإنسان يعمل العمل الذي فيه سعادته، أو شقاوته بمشيئته وإرادته، وأنه بذلك لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، وهو مخيّر باعتبار أنه يعمل باختياره، ومسيّر بمعنى أنه لا يحصل منه شيء لم يشأه الله تعالى؛ وقد دل على الأمرين ما جاء في الحديث من أنه قبل الموت يسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، أو يعمل بعمل أهل النار[٤٦٩].

---

[٤٦٦]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب، كيفية خلق الآدمي في بطن أمه،ج٤/ص٢٠٣٦، برقم-(٢٦٤٣).

[٤٦٧]) السامرائي، الشيخ طه خالد محمد عرب السيد علي، مسائل الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م، ص/١٤٧.

[٤٦٨]) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ ،ج١١/ص٤٨٣.

[٤٦٩]) ابن رجب، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص/٣٦.

وإن قدر الله- تعالى- سبق بكل ما هو كائن، وأن المعتبر في السعادة والشقاوة ما يكون عليه الإنسان عند الموت، كالسحرة الذين مع فرعون[٤٧٠]، كما قال تعالى:{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى}[٤٧١].

٢- ما رواه عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله- ﷺ- يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الْغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- ﷺ- يَقُولُ: " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ "[٤٧٢].

وهذا الحديث يبيّن أن الله- تعالى- إذا أراد أن يخلق شيئا وهو عالم بما يخلق وما يقدر في الأرحام، وعلم الله- تعالى- واسع لما مضى ولما يأتي، فالأشياء التي لم تأت وهي سوف تأتي قد علمها سبحانه، فعلم عدد المخلوقات وعلم أعمالهم ونحو ذلك[٤٧٣]، كما قال تعالى: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}[٤٧٤].

المذهب الثاني: مذهب الماتريدية

ذهبت الماتريدية إلى أن السعادة هي الإيمان في الحال، والشقاوة هي الكفر كذلك، فالسعيد هو المؤمن في الحال وإذا مات على الكفر فقد انقلب شقيّا بعد أن كان سعيدًا،

---

[٤٧٠]) عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص/٣٦.

[٤٧١]) [طه: ٧٠].

[٤٧٢]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب، كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، برقم- (٦٨٩٦).

[٤٧٣]) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، الإبانة عن أصول الديانة، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار- القاهرة، - ١٣٩٧هـ، ص/٧٣-٧٤.

[٤٧٤]) [الروم: ٤].

والشقي هو الكافر وإذا مات على الإيمان فقد انقلب سعيدا بعد أن كان شقيّاً[٤٧٥].

أدلة مذهب الماتريدية

استدلت الماتريدية لنصرة مذهبهم بعدة أدلة، منها:

١-قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}[٤٧٦]، حيث دلالة هذه الآية على غفران ما قد سلف من الإسلام، فلو لم يكن الشقي سعيدا لفاتت فائدة الغفران[٤٧٧].

٢- قوله تعالى:{يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ}[٤٧٨]، وقالوا في تفسير هذه الآية: ينسخ الله ما يشاء نسخه بدله ما يشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة ما يشاء ويثبت

غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه[٤٧٩].

والماتريدية: ترى أن العبد يمكن أن تتغير صفته، وعلى هذا فالسعيد قد يشقي والشقي قد يسعد، وقال الملا علي القارئ- رحمه الله-: (السعيد هو المتصف بسعادة الإيمان بظاهر الحال قد يشقي بأن يرتدّ في المآل، والشقي قد يسعد في المقال والأفعال، والتغيير قد يكون على السعادة والشقاوة دون الإسعاد والاشقاء، فإنهما من صفات الله- تعالى- لأن الإسعاد تكوين السعادة، والاشقاء تكوين الشقاوة، ولا تغير على الله- تعالى- ولا على صفاته، فلا يلزم من تغيرهما أن يكون علم الله قد تغير، فإن القديم لا يكون محلا للحوادث[٤٨٠].

---

[٤٧٥]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/١٧٤.

[٤٧٦]) [الأنفال: ٣٨].

[٤٧٧]) شيخ زاده، عبد الرحيم بن علي، نظم الفرائد و جمع الفوائد فى بيان المسائل التى وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية فى العقائد، المطبعة الأدبية، مصر، ١٣١٧هـ ، ص/٤٦.

[٤٧٨]) [الرعد: ٣٩].

[٤٧٩]) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المحقق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج٢/ص١٥٨.

[٤٨٠]) القارئ، علي بن سلطان، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص/٣٩٨.

المذهب الثالث: مذهب المعتزلة

رأي المعتزلة أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه[٤٨١]، ولم يؤخذوا برواية عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- بل تجرؤا عليه بالكذب: لروايته في السعيد والشقي[٤٨٢].

أدلة مذهب المعتزلة

١-قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}[٤٨٣]، ومعنى هذه الآية عند الزمخشري- رحمه الله- (إما شاكرا فبتوفيقنا، وأما كفورا فبسوء اختياره)[٤٨٤]،هذا على مذهب المعتزلة هكذا أنه- تعالى- لا يخلق الشر، أما عند أهل السنة فهو خالق الخير والشر، كالشكر والكفر أو ما شاكل إلى ذلك.

٢- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٤٨٥]، المراد بهذه الآية عند الزمخشري- رحمه الله-: (قوم مسلمون سيئاتهم صغائر مغمورة بالحسنات، وإما قوم آمنوا وعملوا الصالحات بعد كفر فالإسلام يجب ما قبله) بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على مرتكب السيئات الكبائر لا بالتوبة، وأطلق تكفير الصغائر وإن لم تكن توبة إذا غمرتها الحسنات، وكلا الأصلين قدري مجتنب[٤٨٦].

---

[٤٨١]) الإمام البيجوري، حاشية تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص/١٦٧.

[٤٨٢]) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤١٣هـ -١٩٩٢م، ج١/ص٥١.

[٤٨٣]) [الإنسان:٢-٣].

[٤٨٤]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٤/ص٦٦٧.

[٤٨٥]) [العنكبوت:٧].

[٤٨٦]) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المصدر نفسه، ج٣/ص٤٤١.

رأي الگوراني- رحمه الله- في الشقي والسعيد؛ مجيبا في كتابه بهذا الشكل، فإن قلتَ: ما وجه قوله: (السعيد يَشْقي والشّقيُّ يسْعَدُ) مع حديث: (يُكتَبُ في بطْن أمّه شقيٌّ أو سَعيدٌ ؟)[٤٨٧]، قلتُ: الأول: باعتبار الظاهر فإنه يكون كافراً ثم يُسْلم، وبالعكس والعياذ بالله. والثاني: بالنظر إلى علم الله، وإلى قوله تعالى: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ}[٤٨٨].

والذي يبدو للباحث بعد الإتيان بآراء العلماء وأدلتهم لهذه المسألة، أن رأي الگوراني- رحمه الله- هو التوفيق بين المذهبين، فقوله الأول: باعتبار الظاهر- إشارة إلى رأي الماتريدية حيث أنهم قالوا: إن السعيد قد يشقي والشقيّ قد يسعد وذلك نظرا للحال، إذ السعيد عندهم هو: المسلم، والشقي هو: الكافر، والكفر يتصور في السعيد أن يشقي بأن يرتد بعد الإيمان، ويسعد الشقي بأن يؤمن من بعد الكفر، وعلى هذا فإن كلاً من السعادة والشقاوة بحسب الظاهر ليستا أزليتين بل تتغيران وتتبدلان، والتقدير فيهما ممكن بنصوص الشرع، وأما قوله الثاني: بالنظر إلى علم الله- إشارة إلى رأي الأشاعرة حيث أنهم قالوا: إن السعادة والشقاوة لا تتبدلان، فالسعيد عندهم لا يشقي، والشقي لا يسعد، لأن السعادة والشقاوة في علم الله- تعالى- وكذلك الماتريدية أنهم قالوا: لا يجوز الارتداء على من علم الله- تعالى- بعد موته على الإسلام، ولا الإسلام على من علم الله موته على الكفر، وعلى هذا يكون الخلاف بين المذهبين خلافاً لفظيا.

٢.٦: الأعمال بالخواتيم

حسن الخاتمة: هو أن يُوفق العبد قبل موته للابتعاد عما يغضب الرب- سبحانه- والتوبة من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة[٤٨٩].

ظهر لنا بأن حياة الإنسان في هذه الدنيا محدودة ومؤقتة، وأنفاسه معدودة محسوبة، آماله تُطوى، وعمره يفنى، وبدنه تحت الثرى يبلى، والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد

---

[٤٨٧]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي بطن أمه، برقم (٢٦٤٣)، والترمذي في سننه، كتاب القدر، باب الأعمال بالخواتيم، برقم (٢١٣٧)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٨).

[٤٨٨]) [ق: ٢٩]- الگوراني، الكوثر الجاري، ج١/ص٦٠-٦١.

[٤٨٩]) علي بن نايف الشحود، الاستعْدادُ للموتِ، دار المعمور، بهانج – ماليزيا، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص/٢٠١.

الموت، والسعيد من ختم له بخير، والشقي من ختم له بسوء وشقاء، فمن عاش على شيء مات عليه، وإنما الأعمال بخواتيمها؛ فمن وفقه الله- تعالى- في حياته بالاستقامة على الطاعة والإقبال على الأعمال الصالحة، والإعراض عما يغضب الله- سبحانه- واستمر في ذلك إلى آخر حياته، ثبته الله عند مماته ورزقه حسن الخاتمة، وبشرته ملائكة الرحمة برضا الله- تعالى- واستحقاق كرامته وجنته؛ كما قال الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[٤٩٠]، ودليل من السّنة: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ»[٤٩١].

وقال ابن القَيّم: (إِذَا نَظَرْتَ إِلَى حَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُحْتَضِرِينَ وَجَدْتَهُمْ يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ)[٤٩٢]، وقال ابن رجب الحنبلي: (وإن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسةٍ باطنةٍ للعبد، لا يطَّلع عليها الناس، إمَّا من جهة عملٍ سيِّئٍ ونحو ذلك، فتلك الخَصلة الخفيَّة توجِب سوء الخاتمة عند الموت، وكذلك قد يعمل الرَّجل عملَ أهل النار، وفي باطِنه خَصلةً خفيَّةً من خِصال الخير، فتغلب عليه تلك الخَصلة في آخِر عمره، فتوجِب له حُسْنَ الخاتمة)[٤٩٣].

سوء الخاتمة: فهي أن تكون وفاة الإنسان وهو مُعْرِضٌ عن ربه- جلّ وعلا- مقيم على مساخطه- سبحانه- مضيع لما أوجب الله عليه، ولا ريب أن تلك نهاية بئيسة، طالما خافها المتقون، وتضرعوا إلى ربهم أن يجنبهم إياها[٤٩٤].

ومن أعرض عن ذكر ربّه، وتناساه وأَخذ من غيره هدايته، وأغفل قلبه عن عبادته، وخالفه، وتولى عنه، وتوجه إلى معصيته، حتى لقي الله على هذه الحالة السيئة فسيكون

---

[٤٩٠]) [فصلت: ٣٠].

[٤٩١]) سنن الترمذي،(٤/٤٥٠)، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، برقم (٢١٤٢).

[٤٩٢]) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص/١٦٥.

[٤٩٣]) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ج١/ص١٧٢-١٧٣.

[٤٩٤]) الشحود، الاستعْدادُ للموت، ص/٢١٦.

أمره فُرُطاً، ويظفر به الشيطان عند موته ويضله، وتكون سوء خاتمته، فتبشره ملائكة العذاب بسخط الله وعقابه، وعن عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»[٤٩٥]، قال ابن كثير- رحمه الله- : (أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الايمان؛ فيقع في سوء الخاتمة)[٤٩٦]، فيكون ممن قال الله فيه: {وكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}[٤٩٧]، وقال ابن قدامة (وإذا عرفت معنى سوء الخاتمة، فاحذر أسبابها، وأعد ما يصلح لها، وإياك والتّسويف بالاستعداد، فان العمر قصير، كل نفس من أنفاسك بمنزلة خاتمتك، لأنه يمكن أن تخطف فيه روحك، والإنسان يموت على ما عاش عليه، ويحشر على ما مات عليه)[٤٩٨].

فعلى الإنسان أن يُلْزِمَ نفسه بطاعة الله؛ وأن يجتنب نفسه عمَّا نهى عنه الله؛ وعن مخالفة أمر الله؛ وأن يُبادِر إلى الله بتوبته عن المعاصي، وأن يُلِحَّ في الدعاء لكي يخْتم له بالخاتمة الحُسْنَى، وأن يُحسن ظنَّه بربِّه - عزَّ وجلَّ.

٢.٧: العدل

العدل لغة: خلاف الجَوَر؛ يقال: عَدَلَ عليه في القضيّة فهو عادِلٌ؛ وبسط الوالي عَدْلَهُ ومَعْدِلَتَهُ ومَعْدَلَتَهُ؛ وفلان من أهل المَعْدَلَةِ؛ أي من أهل العَدْلِ[٤٩٩].

واصطلاحا: العدل عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا[٥٠٠].

---

[٤٩٥]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، برقم (٢٦٨٤/١٥).

[٤٩٦]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٩/ص١٦٣.

[٤٩٧]) [الفرقان: ٢٩]

[٤٩٨]) ابن قدامة، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص/٣١١.

[٤٩٩]) الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥/ص١٧٦٠.

[٥٠٠]) الجرجاني، التعريفات، ص/١٤٧.

أو استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير[٥٠١].

لا شك أن العدل الإلهي صفة من صفات الله- تعالى- ولولا العدل لارتفع الوثوق بوعد الله- تعالى- ووعيده، وامتنع حصول التصديق بمعاجز مدعي النبوة، ولأهمية هذه الصفة فقد وصف الله- تعالى- نفسه بها، فقال عزّ وجلّ: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ}[٥٠٢]،فإنّه بمعنى أَنَّه الَّذي يَلِي الْعَدْلَ بين خلْقه[٥٠٣]، فجميع الأقدار الإلهية تحمل معاني العدل المطلق الذي لا تشوبه شوائب الظلم، لذا يجب على المسلم الاعتقاد بأن الله- تعالى- عدل لا يظلم أحدًا من خلقه مثقال ذرة، ولا يقع في أفعاله- سبحانه- ظلم أبدًا، وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}[٥٠٤]، وقال تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}[٥٠٥]، وقال تعالى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}[٥٠٦].

ومن السنة: عن أَبي ذَرّ، عن النّبيّ- ﷺ- فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[٥٠٧]، والعدل ليس هو التسوية بين الخلق في كل شيء! كلا، بل العدل هو وضع الشيء في موضعه اللائق به، كما أن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، قال ابن القيم- رحمه الله-: (والصواب أن العدل وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منازلها، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقد تسمى- سبحانه- بالحكم العدل)[٥٠٨].

وقال أيضًا:- رحمه الله- وقال أهل السّنة والحديث ومن وافقهم: (الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو- سبحانه- حكم عدل، لا يضع الشيء إلا في موضعه الذي يناسبه ويقتضيه العدل والحكمة والمصلحة، وهو- سبحانه- لا يفرق بين متماثلين ولا يساوي بين مختلفين، ولا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ويضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة،

---

[٥٠١]) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الصحابة للتراث، بطنطا، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص/٢٨.

[٥٠٢]) [آل عمران:١٨].

[٥٠٣]) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٥/ص٢٨٠.

[٥٠٤]) [النساء:٤٠].

[٥٠٥]) [فصلت:٤٦].

[٥٠٦]) [الكهف:٤٩].

[٥٠٧]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، برقم (٢٥٧٧/٥٥).

[٥٠٨]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم الجوزية، ص/٢٧٦.

ولا يعاقب أهل البر والتقوى)[٥٠٩].

فمثلا إذا كان أحد الزانين أقيم عليه الحد ولم يقم الحد على الآخر هذا ليس ظلما لأحدهما، لأن التفاوت بين العباد في المقادير ليس ظلمًا، وإذا كان كذلك فيلزم على أن العدل لا يتحقق إلا إذا تساوى الخلق في كل ما يقدره الله بينهم؛ وهذا القول من أبطل الأقوال، حتى القول عن هذه العبارة (فمات بمعصيته ولم يتبق لديه وقت للرجوع إلى الله) خطأ، فما الذي يمنعه من التوبة والرجوع إلى الله، بل إذا علم أنه سيحد في الغد -مثلًا- كان هذا أدعى لتوبته ورجوعه، وربما لقي الله بلا ذنب، مع ما يستفيده أيضًا من تطهير الحد، كما في حديث الجُهَنية التي زنت: فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى»[٥١٠]. وإذا كان شخص أقرَّ على وقوع الشخصين في معصية الزنا هذا ليس ظلما لهما لأنه بتقدير الله وقضائه؛ فكذلك الشأن فيما يحكم الله عليهما من إقامة حد أو عدمه، أو غير ذلك من سائر المقادير، وكذلك التفاوت بين الخلق في المقدرات ليس ظلمًا أبدًا، وأن تفضيل بعضهم على بعض لا ينافي عدل الله - جلّ وعلا- ولا سبيل للمخلوق إلى الإحاطة بحكمة الله- جل وعلا- فيما يحكم ويخلق ويقدر، لأن القدر سر الله الذي لم يحط به أحد علمه سواه.

وقال الإمام الطحاوي: (وأصل القدر سر الله- تعالى- في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرج الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا أو فكرًا أو وسوسة، فإنه- تعالى- طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال عزّ وجلّ: {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[٥١١]. فمن سأل لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين) [٥١٢]. وكذلك هناك حديث آخر مؤيداً على أن العمل بالخاتمة، وهذا هو، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنِ الْمُسْلِمِينَ، فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا مَعَ

---

[٥٠٩]) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص/٢٣٢.

[٥١٠]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ مَنِ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِالزِّنَى، برقم (١٦٩٦/٢٤).

[٥١١]) [الأنبياء: ٢٣].

[٥١٢]) أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج١/ص٣٢٠.

النَّبِيِّ- ﷺ- فَنَظَرَ النَّبِيُّ- ﷺ- فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى المُشْرِكِينَ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَجَعَلَ ذُبَابَةَ سَيْفِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ- ﷺ- مُسْرِعًا، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالَ: قُلْتَ لِفُلاَنٍ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ» وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ المُسْلِمِينَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لاَ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ- عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[٥١٣].

وبهذا احتج من احتج من الأشاعرة على أن الاعتبار بمحض القدر، وأن فعل العبد لا أثر له في المآل[٥١٤]، فدل ذلك على أن العمل بالخاتمة وما يختم للإنسان به، فالعبرة بالخواتيم والنهايات لا بالبدايات، فقد يكون الإنسان في بدايته كافراً معانداً لرب العالمين، ثم يختم له بالخير، لأن القدر لا يقوم به حجَّة للمذنبين لأنهم مؤاخذون بِعدْل الله- تعالَى.

لا شك أن الدين الإسلامي يتكون من أصول وفروع، فالمراد بالأصول هي الأركان التي يتكون منها الإيمان، وإذا فقدت هذه الأركان لا يكون هناك إيمان، ومن المعلوم أن من الأصول ما هو متفق عليه بين المسلمين، ولكن في بعض الحالات يوجد الاختلافات بين المسلمين، ومما فيه الاختلاف هو العدل، أو العدل الإلهي وهذه صفة من صفات الله تعالى.

رأي الأشاعرة في العدل: فيها يقولون أن لا ظلم في الحقيقة لأن الله فاعل على الحقيقة، ويرون أن الله عدل بمعنى أنه متصرف في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولذلك قالوا بنظرية الكسب، وملخصها أنه لا فاعل الأفعال إلا الله، وأنه قدر كل شيء قبل خلقه، ويقترن خلق الله لأفعال الإنسان بكسبه، فالأفعال مخلوقة من الله مكسوبة من العبد، ويقولون: لا حكم للعقل في حسن الأفعال وقبحها وليس الحسن والقبح عائد إلى أمر حقيقي حاصل فعلا قبل ورود وبيان الشارع، بل ما حسن الشارع فهو حسن وما قبح فهو قبيح، فلو عكس الشارع القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه لم يكن ممتنعا وانقلب

---

[٥١٣]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم- (١١٢).

[٥١٤]) الغفيص، يوسف بن محمد علي، شرح الطحاوية، موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، ج١٣/ص٨.

الأمـر فصـار القبيح حسنا والحسن قبيحاً[٥١٥].

رأي المعتزلة في العدل: هم أرادوا إنقاذ العدل الإلهي عن الظلم، ومعنى أن الله عدل عند المعتزلة أنه ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الوجوب والمصلحة، وقد قصد المعتزلة من نظريتهم في الله أن ينزهوه عن الظلم، فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسئولة عن عملها[٥١٦].

رأي الشيعة الإمامية في العدل: أن العدل الإلهي أصل من أصول الدين، وترى الشيعة الامامية بأن الأفعال في حد ذاتهـا تتـصف بالحسن والقبح، وذلك بغض النظر عن انتسابها التكويني أو التشريعي لله- تعالى- فهم يرون أن العقل حاكم بقبح صدور القبيح وبحسن صدور الحسن عن الله- تعالى- فـالقبيح عنـده قبـيح يجتنـب وينهـي عنه، والحسن لأنه حسن يفعله ويأمر به، والعدل عندهم يعني إتيان الحسن واجتنـاب القبـيح، فلا يجوز على الله- تعالى- أن يرتكب القبيح ويترك الحسن، كون القبيح لا يتناسب مع الكمال المطلق فيستحيل صدوره منه، كما أن الحسن هو الكمال فينبغي أن يتحلى به؛ وكون العقل يحكم بـأن الله- تعـالى- مستجمع لصفات الكمال جميعها، ومنزه عن العيوب والنقص كلها في مقام الذات والفعل، لذا فـإن فعـل القبيح محال على الله- تعالى[٥١٧].

استدلال المتكلمين لإثبات صفة العدل لله بأمور؛ فهي:

١-إن من يفعل الظلم إما أن يكون جاهلا بالأمر فلا يدري أنه قبيح.

٢- وإما أن يكون عالما به ولكنه يجور على فعله وعاجز عن تركه.

٣- وإما أن يكون عالما به وغير مجبور عليه ولكن يفعله عبثا.

وكل هذه الصور محال على الله- تعالى- وتستلزم النقص فيه، فيجب أن نحكم أنه منزه عـن الظلـم وفعل القبيح[٥١٨].

رأي الگوراني- رحمه الله- حول هذه المسألة: مجيباً عن سؤال: ما وجه قوله- (ليس في الحديث النهي عن أن يقال: فلان شهيد) مع حديث النبي- ﷺ- (وإنما الأعمال بالخواتم)- قلت: دلّ عليه حديث هذا الرجل، «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

---

[٥١٥]) أركان علي حسن، العدل الإلهي في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص/١٠.

[٥١٦]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/١٣١.

[٥١٧]) أركان علي حسن، العدل الإلهي في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، ص/٨-٩.

[٥١٨]) أركان علي حسن، العدل الإلهي في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، المصدر نفسه، ص/٩.

فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهِ» وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِنَا غَنَاءً عَنِ المُسْلِمِينَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لاَ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا جُرِحَ اسْتَعْجَلَ المَوْتَ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ- عِنْدَ ذَلِكَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»[٥١٩]، فإنهم زعموا أن الرجل من أفضل المجاهدين في ذلك اليوم، وهو من أهل النار[٥٢٠].

والذي يظهر من- رأي الكَوْراني- رحمه الله- بعد عرض آراء العلماء حول هذه المسألة:

أن رأي الكَوْراني- رحمه الله- هو يقول: دلّ عليه حديث هذا الرجل، فإنهم زعموا أن الرجل من أفضل المجاهدين في ذلك اليوم، وهو من أهل النار، ورأي الأشاعرة: يقولون على أن الاعتبار بمحض القدر، وأن فعل العبد لا أثر له في المآل والمرجع، وأن لا ظلم في الحقيقة لأن الله هو فاعل على الحقيقة، وأن الله عدل بمعنى أنه متصرف في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، أما رأي المعتزلة في العدل: هم أرادوا إنقاذ العدل الإلهي عن الظلم، ومعنى أن الله عدل يعني أنه ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الوجوب والمصلحة، وقد قصد المعتزلة من نظريتهم في الله أن ينزهوه عن الظلم، فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسئولة عن عملها.

ورأي الشيعة الإمامية: يقولون بأن الأفعال في حد ذاتها تتصف بالحسن والقبح، وذلك بغض النظر عن انتسابها التكويني أو التشريعي لله- تعالى- ويرون أن العقل حاكم بقبح صدور القبيح وبحسن صدور الحسن عن الله- تعالى- فالقبيح عنده تعالى قبيح يجتنب وينهي عنه، والحسن لأنه حسن يفعله تعالى ويأمر به، والعدل عندهم يعني إتيان الحسن واجتناب القبيح، فلا يجوز على الله- تعالى- أن يرتكب القبيح ويترك الحسن كما أشرنا إليه من قبل.

فإذاً رأي الكَوْراني موافق لرأي الأشاعرة على أن الاعتبار بمحض القدر، وأن فعل العبد لا أثر له في المآل.

---

[٥١٩]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم- (١١٢).

[٥٢٠]) الكَوْراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤٢٠.

٢.٨:حكم من مات من أولاد المشركين وهو صغير

من المعلوم أن الله- عزّ وجلّ- أخذ العهد والميثاق على البشر أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}[٥٢١]، فمن خالف هذا الميثاق، كان من أهل النار، ومَن مات صغيرًا قبل التكليف، مات على الميثاق الأول؛ فإن كان من أولاد المسلمين، فهو في الجنة[٥٢٢]. وقال الإمام أحمد- رحمه الله -: (أما أطفال المسلمين، فلا يختلف فيهم أحد؛ يعني: أنهم في الجنة)، وحكى ابن عبد البر عن جماعة: (أنهم توقفوا فيهم، وأن جميع الولدان تحت المشيئة، قال: وذهب إلى هذا القول جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث)[٥٢٣].

وقال الإمام النووي- رحمه الله- في أولاد المشركين ثلاثة مذاهب

المذهب الأول: قيل: هم من اهل النار؛ لقوله- ﷺ- في الحديث لما سئل: ((هم من أبائهم))[٥٢٤].

المذهب الثاني: وقيل: بالتوقف لحديث النبي- ﷺ- «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٥٢٥].

المذهب الثالث: وهو الصحيح، والصواب أنهم من أهل - الجنة- لما في البخاري أنه- ﷺ- رأى إبراهيم- عليه السّلام- في الجنة، وحوله أولاد الناس، وسئل: وأولاد المشركين؟ قال: «وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ»[٥٢٦]، وأقول: قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}[٥٢٧]، دليل عليه أيضا، كيف وإذا كان البالغ الذي لم تبلغه الدعوة- ولو عاش

---

[٥٢١]) [الأعراف: ١٧٢].

[٥٢٢]) أبو عاصم، مختصر معارج القبول، ص/١٣.

[٥٢٣]) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ، ص/٣٨٧.

[٥٢٤]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب اهل الدار يبيتون فيصاب الوالدان والذراري برقم-(٣٠١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتل النساء والصبيان في البيات من غير تعمد برقم_(١٧٤٥).

[٥٢٥]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم (١٣٨٤).

[٥٢٦]) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح برقم-(٧٠٤٧).

[٥٢٧]) [الإسراء: ١٥].

دهراً- من أهل الجنة فالطفل الذي لا شعور له من باب الأولى. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولهذا لما سئل رسول الله - ﷺ - عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير، قال «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٥٢٨]؛ أي: إن الله أعلم بمَن يؤمن منهم ومَن يكفر لو بلغوا؛ ثم إنه جاء في حديث إسناده مُقارب عن أبي هريرة - رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللَّهَ يَمْتَحِنُهُمْ وَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ أَجَابَهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ»[٥٢٩]، فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله - سبحانه- ويجزيهم على ما ظهر من العلم، وهو إيمانهم وكفرهم، لا على مجرد العلم، وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين، وعليه تتنزل جميع الأحاديث[٥٣٠].

وهناك مذهب آخر: أنهم يمتحنون في الآخرة ويرسل إليهم الله- تعالى- رسولاً، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار؛ وعلى هذا، فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار. وهذا قول جميع أهل السنة والحديث، حكاه الأشعري رحمه الله[٥٣١].

ورأي الگوراني- رحمه الله- في هذه المسألة مجيباً عن سؤال، فإن قلت: فما الجواب عن حديث «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٥٣٢]، فأجابه الگوراني- قلت: لم يكن عالما حينئذ فوكل العلم اليه- تعالى- ثم أعلمه الله أنهم من أهل الجنة [٥٣٣].

والذي يبدو لي أن القول الراجح في حكم من مات من أولاد المشركين- والعلم عند الله- قول من قال بأنهم في الجنة، وهو قول الإمام الگوراني.

---

[٥٢٨]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، برقم (٢٦٥٩/٢٧).

[٥٢٩]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم (٢٤/٤)- أخرجه الطبراني في معجم الكبير، برقم (٨٤١).

[٥٣٠]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٤/ص٢٤٦-٢٤٧.

[٥٣١]) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، أحكام أهل الذمة، المحقق، يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى- الدمام، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج٢/ص١٠٨١.

[٥٣٢]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم (١٣٨٤).

[٥٣٣]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤١٦.

٢.٩:معرفة الله تعالى بصفاته

إن من مقامات العظيمة؛ ومنازل العالية؛ معرفةَ الربِّ- بأسمائه وصفاته، وما تعرَّف به إلى عباده في كتابه وسُنَّة رسوله- ﷺ- بل إنَّ هذا أساس الدين، وأصل من أصول الإيمان، وقوام الاعتقاد، ما أعظمه من مقام، وما أجلَّها من منزلة، وما أعلاها من رتبة حينما يعرف المخلوق خالقه، فيتعرف على عظمته، ويتعرَّف على أسمائه وصفاته.

وفي كتاب الله آيات متكاثرة، ونصوص متضافرة يدعو العباد إلى معرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته، ويبين ما يترتَّب على هذه المعرفة، ويقول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٥٣٤]، وقال تعالى أيضا: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٥٣٥]، وقال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٥٣٦].

ومعرفة الله-عزّ وجلّ- ومعرفة أسمائه الحُسنى وصفاته العظيمة باب شريف من العلم له الأثر البالغُ على من اعتنى به وفَهمه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥٣٧].

والأسماءُ الحُسْنَى عند الأشاعرة عبارةٌ عن الإضافات، وأما عند المَاتَرِيدِيَّة: فكلها مندرجةٌ في صفة التكوين[٥٣٨].

افترقت الطوائف في أصل المعرفة بالله هل هي نظرية أم ضرورية، كما يأتي:

وعن الجاحظ أنه قال: معرفة الله ضرورية، وأنها تقع في طباع نامية عقب النظر والاستدلال، وأن العبد غير مأمون بها.

وذكروا عن الجهم أنه قال: معرفة الله واقعة باختيار الله لا باختيار العبد، لأن العبد لا يفعل شيئاً.

---

[٥٣٤]) [الأعراف: ١٨٠].

[٥٣٥]) [الإسراء: ١١٠].

[٥٣٦]) [طه: ٨].

[٥٣٧]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابٌ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، برقم (٢٦٧٧).

[٥٣٨]) أمالي، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج٦/٥٥٣.

وقال جمهور طوائف المسلمين: يمكن أن تقع ضرورة، ويمكن أن تقع بالنظر.

بل قال كثير من هؤلاء: إنها تقع بهذا تارة وبهذا تارة، فالذين جوزوا وقوعها ضرورة هم عامة أهل السنة وسائر المثبتين للقدر كالأشعري وغيره.

وتنازع نظارهم: هل ذلك بطريق خرق العادة أو هو معتاد؟ على قولين.

ومن هؤلاء القائلين بأنها تحصل تارة بالضرورة وتارة بالنظر أبو حامد والرازي والآمدي وغيرهم[٥٣٩].

وفيما يلي عرض مفصل فيما قيل في هذه المسألة

المسألة الأولى: مذهب أهل السنة والجماعة في معرفة الله، وأدلتهم.

الفرع الأول: بيان قول أهل السنة في المعرفة.

خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة ومن أيّدهم في معرفة الله- تعالى- فيما يلي:

١-معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده عند أهل السنة والجماعة أمر فطريٌّ ضروري، وهذا هو الأصل عند كل الناس، وهو الذي يقر به عامة الناس من مختلف الديانات.

قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله- : « والمقصود هنا أنه من المعروف عند السلف والخلف أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق، مقرون به؛ فعلم أن أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقرٌ في قلوب جميع الأنس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروريٌ فيهم، وإن قُدِّر أنَّه حصل بسبب، كما أن اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم وذلك ضروري فيهم؛ وهذه هو الإقرار والشهادة المذكورة في قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [٥٤٠].

٢- معرفة الله وإن كانت فطرية ضرورية، إلا أنها قد تقع بطرق أخرى غير الفطرة، كالنظر الصحيح الذي جاء به الشرع، ونحو ذلك من الطرق.

---

[٥٣٩]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج٧/ص٣٥٤.

[٥٤٠]) [الأعراف: ١٧٢–١٧٣]؛ ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، المصدر نفسه، ج٨/ص٤٨٢-٤٤٠.

والأصل أن هذا النظر إنما يخاطب به من فسدت فطرته، وغطت الشبهات بصيرته، فجاهر بإنكار وجود الله- تعالى- فإنه يخاطب حينها بالطرق النظرية الصحيحة، والتي جاء القرآن ببيان أصولها أحسن بيان وأوضحه[٥٤١].

٣- ومما يقرره أهل السنة أن معرفةَ الله والإقرارَ بوجوده ليس هو الغاية الأولى من بعثة الرسل، وليس هو المقصد من خلق الإنسان، ولا يكفي ذلك الإقرار وحده في دخول الإنسان في الإسلام، إنما الغاية العظمى من بعثتهم هو تحقيق لازم تلك المعرفة، ألا وهو إفراد الله- تعالى- بالعبادة والقصد والطلب، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[٥٤٢].

٤- ومن فضل الله ورحمته أن لم يؤاخذ العباد بمقتضى هذه الفطرة وذلك الميثاق لوحدة، بل كانت المؤاخذة موقوفة على إقامة الحجة الرسالية، كما قال تعالى: (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}[٥٤٣]، فالرسل تذكر الناس بذلك الميثاق الأول وبمقتضاه، وتفصِّل لهم أمور الدين من أخبار وأحكام، وتنفي عن الناس ما غير فطرهم وأفسدها[٥٤٤]، فبهم تقوم على الناس الحجة، وتنقطع المعذرة، كما قال تعالى: {فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً * عُذْراً أَوْ نُذْراً}[٥٤٥]، وهي الملائكة التي تنزل الوحي إلى رسل الله- ﷺ- فيكون فيه إعذار إلى الخلق[٥٤٦]، وكما قال سبحانه:{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}[٥٤٧].

الفرع الثاني: أدلة أهل السنة على فطرية المعرفة

استدلّ أهل السنة على قولهم إن معرفة الله ضرورية فطرية بعدة أدلة، ومنها:

١-قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

---

[٥٤١]) مقال، نعيم القاضي، معرفة الله بين أهل السنة ومخالفيهم، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.

[٥٤٢]) [الذاريات:٥٦].

[٥٤٣]) [الإسراء:١٥].

[٥٤٤]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/ص٣٤٨.

[٥٤٥]) [المرسلات:٥-٦].

[٥٤٦]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨/ص٢٩٧،- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص/٩٠٣- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج١٦/ص٣٢٨.

[٥٤٧]) [النساء:١٦٥].

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[٥٤٨].

٢- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللَّه: (ما من مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ على الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو ينصرانه أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها من جَدْعَاءَ. ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه-: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّين الْقَيِّم)[٥٤٩].

٢.١٠: الفطرة

تعددت أقوال العلماء في بيان معنى الفطرة، والصواب من الأقوال أن المراد بالفطرة في الآية والحديث: هو الإسلام، كما فسرها بذلك جمع من السلف، وغالب الأقوال الأخرى للسلف ترجع إلى هذا التفسير[٥٥٠]،

بل قد حُكِي إجماع السلف على تفسير الآية بذلك[٥٥١]، والإسلام الذي فُسِّرت به الفطرة يراد به الإسلام العام، وهو معرفة الله ومحبته وتوحيده[٥٥٢]، «وإذا قيل إنه ولد على فطرة الإسلام، أو خُلق حنيفاً، ونحو ذلك، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله تعالى يقول:{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ}[٥٥٣]، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين

---

[٥٤٨]) [الروم:٣٠].

[٥٤٩]) أخرجه الأمام البخاري في صحيحه، بَابُ{لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} برقم (٤٧٧٥)- [الروم: ٣٠].

[٥٥٠]) جامع البيان، للطبري، ج٢٠/ص٩٨- ينظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،١٣٨٧هـ، ج١٨/ص٧٢- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٦/ص٢٦٩-٢٧٠- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، أحكام أهل الذمة، المحقق: يوسف بن أحمد البكري- شاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر- الدمام، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج٢/ص٩٥٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦/ص٣١٣- ابن حجر، فتح الباري، ج٣/ص٢٤٨-٢٥٠- المبار كفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت، ج٦/٢٨٧.

[٥٥١]) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج١٨/ص٧٢- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٣/ص٢٤٨.

[٥٥٢]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/ص٣٤٤.

[٥٥٣]) [النحل:٧٨].

الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له»[٥٥٤].

وهذه الفطرة هي الحنيفية التي خلق الله عليها العباد، كما في:

١-حديث عِيَاضِ بن حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رسُول اللَّه- ﷺ- قال ذَاتَ يَوْمٍ في خُطْبَتِهِ: «ألا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يومي هذا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عن دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي ما لم أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[٥٥٥]. «فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب، ومحبته، وتوحيده، فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول: «لا إله إلا الله»[٥٥٦]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: «فالنفس بفطرتها إذا تُرِكت كانت مقرة لله بالإلهية محبة له، تعبده لا تشرك به شيئاً، ولكن يفسدها ما يزين لها شياطين الإنس والجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل»[٥٥٧]. كما أن هذه الفطرة هي العهد الذي أخذه الله- تعالى- على الناس وهم في صلب أبيهم آدم [٥٥٨].

٢- قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}[٥٥٩].

٣- وعن أنس بن مالك- رضي الله عنهما- عن النبي- ﷺ- قال: « يقول الله- تَعَالَى- لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يوم الْقِيَامَةِ: لو أَنَّ لك ما في الأرض من شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فيقول: نعم؛ فيقول أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ من هذا وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لا تُشْرِكَ بِي شيئاً، فَأَبَيْتَ إلا أَنْ تُشْرِكَ بِي»[٥٦٠].

٤- وعن ابن عَبَّاس- رضي الله عنهما- عن النبي-ﷺ- قال: «أَخَذَ الله الْمِيثَاقَ من ظَهْرِ

---

[٥٥٤]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٨/ص٣٨٣.

[٥٥٥]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بابُ الصِّفَات الَّتي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّار، برقم (٢٨٦٥/٦٣).

[٥٥٦]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/ص٣٤٥.

[٥٥٧]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المصدر نفسه، ج١٤/ص٢٩٦.

[٥٥٨]) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج٦/ص٢٧٠.

[٥٥٩]) [الأعراف:١٧٢-١٧٣]

[٥٦٠]) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، برقم (٦٥٥٧).

آدَمَ بِنَعْمَانَ يَعْنِى عَرَفَةَ فأخرج من صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بين يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلاً»- قال: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}[٥٦١].

قال ابن كثير- رحمه الله- عن آية الأعراف السابقة: (يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه)[٥٦٢].

٥- ومما يدل على فطرية المعرفة من العقل: أن جميع العلوم النظرية لا بد أن تنتهي إلى علوم ضرورية، إذ لو كانت كل العلوم النظرية مبنية على علوم أخرى للزم من ذلك الدور القبلي، أو التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء، وكلاهما معلوم البطلان بالضرورة واتفاق العقلاء، فثبت بهذا أن العلوم النظرية لابد وأن تنتهي إلى علوم ضرورية فطرية أولية يبتدئها الله في قلب الإنسان، ولولاها لم يثبت في الإنسان علم أبداً، لا ضروري ولا نظري[٥٦٣].

وذلك يتضح بالتأمل في تعريف المتكلمين للنظر، فقد عرفوا النظر بأنه: ترتيب تصديقات يتوصل بها إلى تصديقات أخرى[٥٦٤]. وهو كما قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله- : (فإن الله تعالى نصب على الحق الأدلة والأعلام الفارقة بين الحق والنور وبين الباطل والظلام، وجعل فطر عباده مستعدة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق، لم يكن النظر والاستدلال ولا الخطاب والكلام، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا ذلك لما أمكن تغذيتها وتربيتها وكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل أعظم من ذلك)[٥٦٥].

---

[٥٦١]) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم (٢٤٥٥)، [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

[٥٦٢]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣/ص٥٠٠.

[٥٦٣]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٣/ص٣٠٩-٣١٠.

[٥٦٤]) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المحصول، تحقيق: د، طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص/٨٧.

[٥٦٥]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٥/ص٦٢.

المسألة الثانية: بيان مذهب المخالفين في معرفة الله- تعالى- وأدلتهم، والرد عليها:

الفرع الأول: بيان مذهب المتكلمين في معرفة الله

ذهب جماهير المتكلمين من المعتزلة[٥٦٦]، والأشاعرة، والماتريدية، وغيرهم إلى أن معرفة الله- تعالى- نظرية، فلا سبيل إلى معرفته عندهم إلا بالنظر والاستدلال بطرقهم التي ابتدعوها، وأنكروا أن تكون معرفة الله فطرية.

وبناء على قولهم هذا فقد ذهبوا إلى القول بوجوب النظر، بل والقول بأنه أول واجب على المكلف.

ومما يشار إليه هنا أن هذا القول ليس هو قول جميع المعتزلة، بل قد خالف فيه بعضهم، كأبي القاسم البلخي، وأبي علي الأسواري، وأصحاب المعارف، كالجاحظ وغيره[٥٦٧]، كما خالف فيه بعض الأشاعرة.

الفرع الثاني: أدلة المتكلمين على أن معرفة الله ليست فطرية ولا ضرورية

استدل المتكلمون على أن الله لا يعرف بالضرورة، وإنما يعرف بالنظر والاكتساب بعدة أدلة، ومنها:

١-أن العلم بالله- تعالى- لو كان ضرورياً لوجب في العادم له أن يكون معذوراً، لأن ذلك عند الخصم موقوفٌ على الله- تعالى- حتى إذا اختار الله- تعالى- كان، وإلا فلا، وهذا يوجب في الكفار كلهم أن يكونوا معذورين في تركهم معرفة الله- تعالى- وغير ذلك من المعارف، وهذا الوجهُ مُعتَمَدٌ عليه)[٥٦٨].

والجواب عن هذه الشبهة يقال:

إن مبنى الرد هذه الشبه راجع إلى بيان الغاية من الخلق والتكليف وإرسال الرسل، وهل الغاية منها مجرد معرفة الله- حتى يكون الكفار معذورين بتحقيقهم لهذه المعرفة- أم إلى غير ذلك.

---

[٥٦٦]) قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، المجموع في المحيط بالتكليف، تحقيق يان بترس، دار المشرق السلسلة، ١٩٩٩م، ص/٣١.

[٥٦٧]) القاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، المجموع في المحيط بالتكليف، المصدر السابق، ص٣١- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص/٥٢- القاضي عبدالجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل، المحقق، الدكتور خضر محمد نبها، الشركة العربية – مصر، ١٣٨٠هـ، ج١٢/ص٣١٦.

[٥٦٨]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٥٤.

والذي تدل عليه من الآيات والأحاديث على أن المعرفة وحدها ليست كافية في معذرة الكافرين، فإن عامة الكفار مقرون بأصل معرفة الله، كما قال تعالى عنهم:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}[٥٦٩]، وقال:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[٥٧٠]، وقال:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}[٥٧١]، وقال: {قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[٥٧٢].

فالأدلة من الآيات والأحاديث في ذلك كثيرة، وما نقل من أقوال مشركي العرب وأشعارهم من الإقرار بوجود الله، فضلاً عما هو معلوم بالضرورة من حال كفار أهل الكتاب.

فالحاصل أن أصل المعرفة ليس وحده كافياً لمعذرة الكفار، إنما يكون بتحقيق لازم تلك المعرفة من إخلاص الدين لله، والاتباع لرسوله؛ وبهذا يسقط قول عبد الجبار السابق: (وهذا يوجب في الكفار كلهم أن يكونوا معذورين في تركهم معرفة الله تعالى وغير ذلك من المعارف)[٥٧٣].

فيقال في الأول: إن عامة الكفار لم يتركوا معرفة الله أصلاً، بل قد دلت النصوص السابقة على إقرارهم بأصلها، كما دلت آية الفطرة وحديثها على أن الخلق جميعاً قد ولدوا على هذه الفطرة وهذه الضرورة، لا كما يوحي به قوله: (لأن ذلك يعني وقوع النظر ضرورةً في العبد) عند الخصم موقوف على الله- تعالى- حتى إذا اختار الله- تعالى- كان وإلا فلا»[٥٧٤]، فيقال: إننا نقرُّ بأنها راجعةٌ إلى اختيار الله- تعالى- وقد اختار سبحانه أن يفطر جميع بني آدم على الإقرار بوجوده، كما سبق التفصيل في الفطرة.

---

[٥٦٩]) [العنكبوت:٦١].

[٥٧٠]) [لقمان:٢٥].

[٥٧١]) [الزخرف:٩].

[٥٧٢]) [المؤمنون:٨٤-٨٥].

[٥٧٣]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٥٤.

[٥٧٤]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، المصدر نفسه، ص/٥٤.

وحتى على القول بالنظر، فإن قيام المكلَّف بالنظر أو عدم قيامه به راجعٌ إلى إرادته واختياره، على ما يقرُّ به أهل السنَّة وعامة الفرق- سوى المعتزلة- من أن أفعال العباد داخلة تحت قدرته ومشيئته وخلقه، وليس في ذلك جميعاً ظُلم للعبد، إذ قد أعطاه الله قدرة وإرادة، فانقطعت المعذرة، على ما هو مُقررٌ في أبواب القدر، فهذا الإيراد- لو صح- لكان متوجهاً على القول بالنظر، كما الضرورة، وهذا من طرق قلب الأدلة.

ويقال في الثاني: إن هذه المعرفة لا تكفي وحدها في المعذرة، بل المعذرة تكون بتحقيق لازم المعرفة من إفراد العبادة.

ويقال في الثالث: في قولهم: العلم بالله لو كان ضرورياً لوجب في العادم له أن يكون معذوراً، إننا لو جرينا على هذه الطريقة لأمكن قلبُ الاستدلال، إذ من الممكن أن يقال: إنكم لو جعلتم العلم بالله هو الغاية، وهو الموجب لمعذرة الكفار، ثم جعلتموه نظرياً، لوجب في العادم له أن يكون معذوراً، إذ قد يكون هذا العادم له في فترة النظر، ولمَّا ينته بعد من الفكر فيه، وقد يكون العادم له لم يتحصل له وجوب النظر؛ وهم قد حاولوا الخروج من هذا اللازم بطريق متناقض يعلم فساده من لفظه،

وهو ما ذكره بعضهم من أن معرفة وجوب النظر تقع ضرورة[٥٧٥].

وتهافت هذا الكلام مما لا يخفى، إذ إن النظر المراد ليس نظراً مطلقاً، بل هو (النظر المؤدي إلى معرفة الله)[٥٧٦]، كما هي عبارة القاضي عبد الجبار، فنفس تعريف النظر قد تضمن الإقرار بوجود الله؛ فهل يعقل أن يكون (النظر المؤدي إلى معرفة الله) قد وقع بالضرورة، بينما (معرفة الله) لم تقع ضرورة؟ وهل هذا إلا تناقض في الكلام؟، إذ التقدير: إن معرفة الله لا تقع ضرورة، لكن وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله قد وقع ضرورةً[٥٧٧].

٢- ومما استدلوا به قولهم: إذا كانت معرفة الله والإقرار به ثابتاً في كل فطرة، فكيف ينكر ذلك كثيرٌ من النظار، نظارِ المسلمين وغيرِهم، وهم يدَّعون أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الإلهية، فلمّا أنكر ذلك هؤلاء النظار والعقلاء، دل ذلك على أن

---

[٥٧٥]) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٢/ص٣٥٥- القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٣٩.

[٥٧٦]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/١٥.

[٥٧٧]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، مصدر نفسه، ص/٥٤.

معرفة الله نظرية لا فطرية [٥٧٨].

ومثل هذه الشبهة قد ترد على بعض من ينظر في حال الديانات والفرق- خصوصاً المعاصرة منها- حيث يرى كثيراً من الفرق قد تبنى الإلحاد وإنكار الخالق منهجاً له وعقيدة، ابتداءً من فرعون الذي قال منكراً{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٥٧٩]، وانتهاءً بالأمم الملحدة المعاصرة، ممن جعل الإلحاد مبدأً وعقيدة يتبناها.

والجواب عن هذه الشبهة يقال:

أولاً: إن هذا الإنكار والإلحاد خلافُ الأصل والغالب، فهو وإن كثرت أفراده إلا أنه قليل نسبياً مقارنةً بالأمم التي تقر بوجود الله.

وقد صرح بذلك بعض أئمة المتكلمين، فقد قال- الشهرستاني- وهو من أخبر الناس بالمِلل والنِّحل والمقالات[٥٨٠]، (أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم، فليست أراها مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: كان العالم في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة فاصطكت اتفاقاً فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه؛ ودارت الأكوار، وكرت الأدوار، وحدثت المركبات؛ ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازاً عن التعليل.

فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عليم قدير)[٥٨١].

ثانياً: إن أول من عرف في الإسلام بإنكار معرفة الله بصفاته هم الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية، وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم، ولكن انتَشرَ كثيرٌ من أصولهم في المتأخرين الذين يوافقون السلف على كثير مما خالفهم فيه

---

[٥٧٨]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، المصدر نفسه، ص/٢٦-٢٧- الزيدي، حسين بن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، المحقق، أبو هاشم، د، المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مكتبة بدر- صنعاء، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ص/٢٢-٢٣.

[٥٧٩]) [القصص:٣٨]

[٥٨٠]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ج٦/ص٤٧٠.

[٥٨١]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ص٣٩٧.

سلفُهم الجهمية، فصار بعض الناس يظن أن هذا قول صدر في الأصل عن علماء المسلمين، وليس كذلك، إنما صدر أولاً عمن ذمه أئمة الدين وعلماءُ المسلمين[٥٨٢].

ثالثاً: إن المعرفة قد تحصل في قلوب كثير من الناس بالضرورة، أو بالأدلة النظرية مع توهمه أنها لم تحصل له ذلك، «فإن قيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به، فوجودُ الشيء في الإنسان وغيره غيرُ علم الإنسان به»[٥٨٣].

قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله-:«وقد يكون العلم والإرادة حاصلين بالفعل أو بالقوة القريبة من الفعل مع نوع من الذهول والغفلة، فإذا حصل أدنى تذكر رجعت النفس إلى ما فيها من العلم والإرادة، أو توجهت نحو المطلوب، فيحصل لها معرفته ومحبته، والله تعالى فطر عباده على محبته ومعرفته، وهذه هي الحنيفية التي خلق عباده عليها»[٥٨٤].

فهذا هو المقول في حال مثل هؤلاء، فإن أصل الإقرار العام بالخالق موجود في قلوبهم، ولكن ما علا تلك القلوب من الران، وما علق بها من الشبهات، أو ما عرض لها من غفلةٍ عما خلقت له أدى إلى ذهولها وإنكارها لتلك المعرفة التي وجدت فيها.

رابعاً: إن العبد مفتقر إلى الله في أن يحبب إليه الإيمان ويبغض إليه الكفر، وإلا فقد يعلم الحق وهو لا يحبه ولا يريده، فيكون من المعاندين الجاحدين؛ كما قال- تعالى- عن فرعون ومن معه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}[٥٨٥]، لأن القران يدل على إنكار فرعون-إمام المعطلين الملحدين- وإنكاره ظاهر، وأن باطنه مقر بخلاف ما أظهر، وقال تعالى على لسان موسى- عليه السلام-: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُوراً}[٥٨٦]، ولهذا فإن ذلك الإقرار يبرز عند الأزمات والكربات، كما قال تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[٥٨٧]، وكل هذا شاهد على أن الإلحاد المطلق الذي يزعمه من يزعمه إما أن يكون إنكاراً ظاهراً، مع

---

[٥٨٢]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/ص٣٤٠.

[٥٨٣]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المصدر نفسه، ج١٦/ص٣٤٠-٣٤١.

[٥٨٤]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، المصدر نفسه ، ج٧/ص٤٢٥-٤٢٦.

[٥٨٥]) [النمل:١٤].

[٥٨٦]) [الإسراء:١٠٢].

[٥٨٧]) [يونس:٩٠].

علمه في قرارة نفسه ببطلانه، وتكون تلك مكابرةً مهَّد لها شهوة رئاسة أو مال أو نحو ذلك، وقد يكون ذلك الإنكارُ إنكاراً ظاهراً وباطناً، فيكون وهماً كاذباً من جنس الأوهام التي تطرأ على القلوب والنفوس، والتي دعت قوماً إلى إنكار البدهيات والضروريات من أهل السفسطة ونحوهم[٥٨٨]، ويكون قد مهَّد لهذا الوهم أمورٌ ساعدت على رسوخه في نفس صاحبه، من بيئة فاسدة، أو نظريات إلحادية سائدة، ونحو ذلك، ومهما قيل في أسباب ذلك الإنكار، فإن إنكار أعيانٍ من الخلق لبعض الضروريات لا يعني بحال نفيُ كونها كذلك، إذ ليس من لازم الضروري عدم وجود من ينكره، وكما أخبر النبي- ﷺ- في حديث الفطرة: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[٥٨٩]، فالذي دل عليه هذا الحديث أن المولود يولد على الفطرة، وأنه قد ينحرف عنها لأسباب ذكرها النبي، أهمها: أن انحرافه عن هذه الفطرة بعد ذلك وإنكاره لمقتضاها لا ينفي كونها موجودة فيه ضرورة، فهذا هو الذي يقال فيمن أنكر وجود الله، فإنكارهم لا ينفي كونهم مولودين على الإثبات.

وقد اعترف القاضي عبد الجبار: (بهذا الأمر بعد ذكره لهذا الإيراد، فقال: ومنها- أي من الأدلة على أنه- تعالى- لا يعرف ضرورة) أنه لو كان يُعلم بالله- تعالى- ضرورياً لوجب أن يشترك العقلاء فيه، ومعلوم خلافه؛ إلا أن لقائلٍ أن يقول: لا تجب هذه القضية في سائر الضروريات، وإنما تجب في بداية العقول، ولهذا فإن العلم بالصنائع والحِرف ضروري، ثم لم يشترك العقلاء فيه)[٥٩٠].

قال الإمام ابن تيمية- رحمه الله- : (وهكذا المعرفة موجودة في قلوب هؤلاء، فإن هؤلاء الذين أنكروا محبته هم الذين قالوا: معرفته لا تحصل إلا بالنظر؛ فأنكروا ما في فطرهم وقلوبهم من معرفته و محبته، ثم قد يكون ذلك الإنكار سبباً إلى امتناع معرفة ذلك في نفوسهم، وقد يزول عن قلب أحدهم ما كان فيه من المعرفة والمحبة، فإن الفطرة قد تفسد، فقد تزول، وقد تكون موجودةً ولا تُرى إلى أن قال: وكل مولود يولد على الفطرة، وهي الحنيفية التي خلقهم عليها، ولكن أبواه يُفسِدان ذلك، فيهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه، كذلك يجهِّمانه، فيجعلانه منكراً لما في قلبه من معرفة الرب ومحبته وتوحيده، ثم المعرفة يطلبها بالدليل، والمحبة ينكرها بالكلية، والإنسان قد يخفى عليه كثير من

---

[٥٨٨]) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ج٧/ص٤٠٣-٤٠٤.

[٥٨٩]) أخرجه الأمام البخاري في صحيحه، بَابُ{لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}، برقم (٤٧٧٥).

[٥٩٠]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٥٥.

أحوال نفسه فلا يشعر بها)[٥٩١]

ملخص الكلام حول ما تقدم من الآراء والأقوال

موقف مذهب أهل السنة في معرفة الله- تعالى- بصفاته؛ معرفة الإله: وهي عبارة عن معرفة وجود ذاته بصفات الكمال، فيما لم يزل ولا يزال، دون معرفة حقيقية ذاته وصفاته لاستحالة ذلك عقلا عند الأكثرين، يعني أن العقل يحيل معرفة كنه ذاته، وقال السفاريني- رحمه الله:- (أول واجب يعني لنفسه على كل مكلف بالنظر في الوجود والموجود، ووجوب ذلك بالشرع دون العقل، لأن العقل لا يوجب ولا يحرم)[٥٩٢].

وقالت المعتزلة: وجبت معرفة الله عقلا لا شرعا، لأنها دافعة للضرر المظنون، وهو خوف العقاب في الآخرة، حيث أخبر جمع كثير بذلك، وخوف ما يترتب في الدنيا على اختلاف الفرق في معرفة الصانع من المحاربات وهلاك النفوس، وتلف الأموال، وكل ما يدافع الضرر المظنون بل والمشكوك واجب عقلا، كما إذا أردت سلوك طريق فأخبرت بأن فيها عدوا أو سبعا، فإنه يجب عليك اجتنابها خوف الوقوع في الهلكة[٥٩٣].

فعند الأشعري: معرفة الله واجبة بالشرع لا العقل وأنه لا يجب إيمان ولا يحرم قبل ورود الشرع؛ وعند الماتريدية: معرفة الله واجبة بالعقل ولو لم يكن الشرع[٥٩٤]؛ ومن السنة حول معرفة الله- تعالى- بصفاته، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا المَلِكُ، «فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ- ﷺ- {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}- إِلَى قَوْلِهِ {يُشْرِكُونَ}»[٥٩٥]. هذا من أحاديث الصفات، وفيها مذهبين:

---

[٥٩١]) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٦/ص٣٤٤-٣٤٦-٣٥٠.

[٥٩٢]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ج١/ص١١٣.

[٥٩٣]) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، المصدر نفسه، ج١/ص١١٣.

[٥٩٤]) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، لمجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ج٢/ص٣٤٧.

[٥٩٥]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب، رقم- (٣٧٨٦)، والترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة الزمر برقم- (٣٢٣٨) [الانعام: ٩١].

التأويل، والإمساك عنه، مع الإيمان بها مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد، فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الأصبع في هذا للمبالغة والاحتقار، فيقول أحدهم: بأصبعي أقتل زيدا أي لا كلفة علي في قتله، وقيل: يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته وهذا غير ممتنع، والمقصود أن يد الجارحة مستحيلة.

ورأي الگوراني حول هذا الحديث، وجواب عن سؤال له، فإن قلت: ما معنى التقييد بيوم القيامة، والسماوات والكائنات كلها ثابتة بقدرته، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا}[٥٩٦]، وأجابه، قلت: العالم اليوم مرتبط بعضه ببعض، فلا يظهر فيه ذلك على طريق المشاهدة بخلاف ذلك اليوم، فإنه يفصل بعضه عن بعض[٥٩٧].

٣: منهج الگوراني وآراؤه في شرح الاحاديث المتعلقة بالأنبياء في القضاء والقدر

منهج الگوراني وآراؤه في شرح الأحاديث المتعلقة بالأنبياء في القضاء والقدر؛ إن الإمام الگوراني- رحمه الله- ردّ على أقوال العلماء، وبيّن رأيهم في حديث المحاجة وقال فيه دلالة، لأن النزاع إنما هو في أن الأمور الكائنة إنما يعلمها الله تعالى حين الوقوع، أو مقدرة في الأزل، لأن هذه قصة في علم الملكوت عند ارتفاع الأسباب وزوال التكليف، ولأن الذنب كان غفر لآدم بعد توبته، ورجح برأيه ما هو أرجح الآراء وأقواها، ومن منهجه اعترض على الإمام البخاري- رحمه الله- لأن البخاري استدل بالخفي والإشارة إلى ما ورد في سائر الطرق، وكذلك رد على من قال بأن الإنسان مجبر على أفعاله وليس له اختيار.

وبالنظر إلى الأحاديث التي قد تبدو على أنها تدل على الجبر، وتتعلق بموضوع القدر وخلق الأفعال للإنسان، أو بتصريف القلوب، أو ما شاكل ذلك، فإذاً هناك عدة أحاديث وردت وهي تتعلق بالقدر وخلق الأفعال للإنسان، ومن هذه الأحاديث: حديث محاجة آدم وموسى- عليهما السلام- وهو عَنْ طَاووسٍ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ

---

[٥٩٦]) [فاطر:٤١].

[٥٩٧]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج٨/ص٢٧٠.

آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى " ثَلاَثًا قَالَ سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- مِثْلَهُ ثَلاَثًا قَالَ سُفْيَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- مِثْلَهُ»[٥٩٨].

هذا الحديث يتحدث عن القدر وعن علم الله تعالى، وقد اخْتَلَف الْعلماء في وقت هذَا اللَّفظ فقيل يَحْتَمل أَنَّه في زمان موسى فأحيا اللَّه له آدم معجزة له فكلّمه، أَو كشف له عن قَبره فتحدَّثَا، أَو أَراه اللَّه روحَه كما أَرى النَّبيَّ- ﷺ- ليلةَ الْمعراج أرواح الْأنبياء أَو أَراه اللَّه له في المنام ورؤْيا الْأنبياء وحيٌ[٥٩٩].

وقال القاضي عياض:[٦٠٠](ويحتمل أنه على ظاهره، وأنهما اجتمعا بأشخاصهما))[٦٠١]، حيث إن الله- تعالى- لو قال لشيء(كن فيكون) أو ما شاء الله كان، وكل شيء ما بين يديه، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأما المراد بقوله: (خَيَّبْتَنَا) أَي: أوقعتنا فِي الخيبة وَهِي الحرمان، وقوله: (وَأَخْرَجْتَنَا) أي كنت سببًا لإخراجنا، وقوله: (مِنَ الجَنَّةِ) دار النعيم والخلود إلى دار البؤس والفناء[٦٠٢]. وأما المقصود في قوله: (عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ) وَالْمرَاد بالتقدير هُنَا الْكِتَابَة فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ أَو فِي صحف التَّوْرَاة، وإلاَّ فتقدير الله أزلي، أو أَنّ اللَّه أَثْبته في علْمه قبل كوْني، وحكَم بأَنَّه كائنٌ لا محالة؛ فكيف تَغْفُل عن العلْم السّابق؛ وتذْكر الْكسْبَ الَّذي هو السّبب؛

---

[٥٩٨]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم- (٢٦٥٢).

[٥٩٩]) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ج١١/ص٥٠٦.

[٦٠٠]) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض ابن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، ومولده منتصف شعبان سنة ٤٧٦هـ - المتوفى: ٥٤٤ هـ] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٣م، ج١١/ص٨٦٠.

[٦٠١]) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المطبعة المصرية بالأزهر،١٣٤٩هـ- ١٩٣٠م، ج١٦/ص٢٠٠.

[٦٠٢]) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، ج٩/ص٣٥٧.

وتنسى الأَصل الَّذي هو الْقَدَرُ[٦٠٣]. وقوله: (فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى) أي: غلبه بالحجة[٦٠٤]. وقال الليث بن سعد:[٦٠٥] (وإنما صحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى؛ من أجل أن الله قد غفر لآدم خطيئته، وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يعير بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال له آدم: أنت موسى الذى آتاك الله التوراة، وفيها علم كل شيء، فوجدت فيها أن الله قد قدّر عليّ المعصية، وقدر عليّ التوبة منها، وأسقط بذلك اللوم عنّي، أتلومني أنت، والله لا يلومني، وبمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له: إِنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فقال ابن عمر: ما على عثمان ذنب؛ لأن الله- تعالى- قد عفا عنه)[٦٠٦]، بقوله: (وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ)[٦٠٧]، وأما من عمل الخطايا ولم تأته المغفرة، فإن العلماء مجمعون أنه لا يجوز له أن يحتج بمثل حجة آدم، فيقول: أتلومني على أن قتلت أو زنيت أو سرقت، وقد قدر الله عليّ ذلك. والأمة مجمعة على جواز حمد المحسن على إحسانه، ولوم المسيء على إساءته؛ وتعديد ذنوبه عليه[٦٠٨]. وبعد ذلك تبين احتجاج آدم- عليه السلام- بالقدر على هذه المصيبة التي أصيب به، لأنّه تاب على ذنبه، وتاب الله عليه، كما قال الله تعالى:{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ}[٦٠٩]، ذلك هو القدر ولكن هذا ليست حجة لكل مذنب وذنوب أو عاصٍ ومعاصٍ، لأن القدر لو كان حجة لأي شخص في الذنوب والمعاصي

---

[٦٠٣]) القاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢٠١٠م، ج٢٣/ص١٥٨- أو الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج٤/ص٣٨٣.

[٦٠٤]) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج١٠/ص٣١٥.

[٦٠٥]) الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي وأصله من أصبهان، وكان ثقة سريا سخيا كنيته أبو الحارث كان مولده سنة أربع وتسعين ومات سنة خمس وسبعين ومائة، ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ج٤/ص١٢٧.

[٦٠٦]) أخرجه البخاري في صحيحه، بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم(٣٦٩٨).

[٦٠٧]) [آل عمران: ١٥٥].

[٦٠٨]) ابن بطال، شرح صحيح البخارى، المصدر السابق، ج١٠/ص٣١٤.

[٦٠٩]) [البقرة:٣٧].

فيكون حجة لإبليس وأحبابه[٦١٠]. وبالنسبة لكتابة المقادير، فإنّه إذا علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر ومن نفع أو ضر ومن حسنة أو مصيبة، ومن كارثة أو نكبة، فإن أصاب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه، فكل ذلك مقدّر عليه، ما أثبته لمصلحته الدنيوية أو الأخروية، لأنه لا يصيب العبد إلا ما كتب له من المقادير في اللوح المحفوظ، فإذاً لا يتغير المقدر بموافقته ولا بمخالفته، كما قال الله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا}[٦١١]، أي لن يصيبنا خير ولا شر، ولا خوف ولا رجاء، ولا شدة ولا رخاء، إلا هو مقدر علينا مكتوب عند الله[٦١٢]. وورد أيضاً قول النبي- ﷺ- عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ»[٦١٣]، معنى الحديث: (إن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنى؛ فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام؛ ومنهم من يكون زناه مجازا بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله؛ أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده؛ أو يقبلها؛ أو بالمشي بالرجل إلى الزنى؛ أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية؛ ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب؛ فكل هذه أنواع من الزنى المجازي؛ والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه، معناه أنه قد يحقق الزنى بالفرج، وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك)[٦١٤].

ويقول الإمام ابن حجر- رحمه الله- في شرح الحديث: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى بن آدَمَ) أَي قَدّر ذلك عليه أو أَمر الملَكَ بكتابته، قولُه (أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ) بفتح الميم أَي لا بدَّ له من عمل ما قدّر عليه أَنَّه يعملُه، وقَال ابن بطَّال- رحمه الله-: (كلّ ما كتبه اللَّه على الآدميّ فهو قد سَبَقَ في علْم اللَّه)[٦١٥]، والظاهر في هذا الحديث أن المراد بالكتابة هنا علم الله-

---

[٦١٠]) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المصدر نفسه، ج١٠/ص٣١٥.

[٦١١]) [التوبة: ٥١]

[٦١٢]) الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني- القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج١/ص٥٠٣.

[٦١٣]) أخرجه البخاري في صحيحه، بَابُ زِنَا الجَوَارِحِ دُونَ الفَرْجِ، برقم (٦٢٤٣).

[٦١٤]) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت،١٢٨٣هـ، ج٤/ص٢٠٤٦.

[٦١٥]) ابن حجر، فتح الباري، ج١١/ص٥٠٤.

تعالى- السابق بما سيفعله الإنسان.

١.١:فهم السلف لأحاديث الجبر

وقد فهم السلف لأحاديث الجبر فهما صحيحاً وسليماً، ولم يرد عن أحد منهم بأنه مخالف لهذا الفهم الصحيح السليم، لأن أهل الحق من السلف لا يكون متبوعهم إلا رسول الله- ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة؛ وذلك بسبب هذا الإيمان الذي ثبّت في قلوبهم وفي ذهنهم، من حيث إن النبي- ﷺ- ترباهم على المحجة البيضاء، وتركهم عليها، ولذلك قال النبي- ﷺ-: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[٦١٦].

وهناك أمثلة من أعمال الصحابة- رضي الله عنهم- تدل على فهمهم للقدر

الأول: موقف الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: (لعلك تظن قضاء واجبًا وقدرًا حتمًا، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، ولما كانت تأتي من الله لأئمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن)[٦١٧]، وهناك توضيح على لسان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - شارحًا الفرق بين قضاء الله تعالى وأمره، وأن عليًا يفسر ما حدث بالجبر؛ لذلك أسرع علي فأفهمه معنى الإيمان بالقدر على حقيقته، وأنه لا يتنافى مع حرية إرادة الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، فقال له: لعلك تظن قضاء واجبًا وقدرًا حتمًا، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد[٦١٨].

الثاني: وعندما وصل الخليفة عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- إلى مشارف الشام، وعلم بنزول الطاعون فيهم، وهمّ بالرجوع، قال له أبو عبيدة بن الجراح- رضي الله عنه- « أفراراً من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال- رضي الله عنه- : لو كان غيرك قالها يا أبا

---

[٦١٦]) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل أصحاب النبي-ﷺ- برقم (٣٦٥٠).

[٦١٧]) د، مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٦هـ، ص/١٦.

[٦١٨]) مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٦هـ، ج١/ص١٦.

عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ونقع في قدر الله، ثم قال عمر- رضي الله عنه- ما معناه: لو كان عندك غنم أو إبل وأمامك أرض مجدبة وأخرى مخصبة فإذا نزلت بالمجدبة أو المخصبة أو تحولت من المجدبة إلى المخصبة، فكل ذلك بقدر الله»[٦١٩]، إن مباشرة الأسباب لمنع وقوع ما يحتمل وقوعه من الأقدار؛ ليس فيه مناقضة للمعنى الصحيح للقدر؛ وإنما هو أخذ بقدر لمنع قدر؛ لأن السبب والمسبب بقدر الله تعالى.

الثالث: عن عمرو بن العاص- رضي اللَّه عنه- أنه قال لأبي موسى الأشعري- رضي الله عنه-: (وَدِدْتُ أَنِّي أَجِدُ مَنْ أُخَاصِمُ إِلَيْهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: أَنَا، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَيُقَدِّرُ عَلَيَّ شَيْئًا يُعَذِّبُنِي عَلَيْهِ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: نَعَمْ، قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُكَ، فَقَالَ عَمْرٌو: صَدَقْتَ)[٦٢٠]، هذا هو الفهم الصحيح السليم لموضوع القدر الذي يجب على كل مسلم أن يؤمن به، كما قال عبد الله ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»[٦٢١].

وهكذا يتبيّن فهم الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- لحقيقة القضاء والقدر، بشكل واضح صحيح صريح سليم، بحيث لا تكلف فيه، ولا تعقيد، ولا غموض، وسار على نهجهم ومنهجهم ممن كان من التابعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين.

١.٢:موقف الجبرية من حديث محاجة آدم وموسى (عليهما السلام)

ووردت عدة أحاديث تتعلق بالقدر واعتبرها الجبرية مؤيدة لمواقفهم، والحديث الذي هو مقصدنا هذا هو، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقَالَ لَهُ، «أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ، قَالَ: قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «فَحَجَّ آدَمُ

---

[٦١٩]) الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، الإيمان بالقدر، المكتبة العصرية- دار المعرفة، ص/٢٤٧.

[٦٢٠]) الشيبانيّ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، كتاب السنة، تح: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢/ص٤٢٢.

[٦٢١]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ، برقم (٨/١).

مُوسَى»[٦٢٢]. اعتبر الجبرية بأن هذا الحديث مؤيد لموقفهم من أفعال العباد، وكونهم مجبرين عليها، ولذا ذكر الإمام ابن كثير- رحمه الله- استدلالهم بهذا الحديث، وقال: (واحتجّ به قوم من الْجبريّة، وهو ظاهر لهم بادِيَ الرَّأْيِ، حيث قَال: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» لمّا احتجّ عليه بتقْديم كتابه)[٦٢٣]، كما ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني- رحمه الله- احتجاجهم؛ وقَال: (وليس فيه حجّة للْجبريّة؛ وإن كان في بادئ الرَّأْيِ يُسَاعِدُهُمْ)[٦٢٤].

١.٣:موقف المعتزلة من حديث محاجة آدم وموسى (عليهما السلام)

كذلك وردت مجموعة من الأحاديث التي تتعلق بموضوع القدر، واعتبرها المعتزلة مخالفة لآرائهم حتى أنكروها، ومن ذلك الأحاديث التي هي جوهر الموضوع هو حديث محاجة آدم وموسى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ- قَالَ: حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ، قَالَ: قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[٦٢٥]، حيث موقف المعتزلة لهذا الحديث هو رده؛ وإنكاره؛ واعتباره احتجاجاً بالقدر على المعصية، من حيث إنهم خالفوا أهل السلف في فهمهم لهذا الحديث، وقالوا بأنه مخالف لما جاءت به الرسل، لأن المعتزلة يقدمون العقل، ويحكمون على النقل بالبطلان والرد، ولذلك لما قصرت عقولهم عن فهم هذا الحديث ردوه.

---

[٦٢٢]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم-(٢٦٥٢).

[٦٢٣]) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج١/ص٩٤.

[٦٢٤]) ابن حجر، فتح الباري، ج١١/ص٥٠٩.

[٦٢٥]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم-(٢٦٥٢).

وقال ابن القيم- رحمه الله- : وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كـأبي علي الجبائي[٦٢٦]، وقال: (ومن وافقه على ذلك، وقال: لو كان هذا الحديث صحيحاً لبطلت نبوات الأنبياء، فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي) وفي ظنهم أن آدم- عليه السلام- احتج بالقدر على المعصية، وأن هذا الأمر المقدر مكتوب قبل خلق السماوات والأرض، ولا بد للإنسان أن يعمله، فحينئذ ما قيمة النبوة والرسالة والكتب إذا كان المقدر قبل ذلك سيكون لا محالة؛ وهذا بلا شك يساوي عندهم إهدار النبوات[٦٢٧].

لقد أنكر المعتزلة هذا الحديث وردوه، لأنهم رأوا فيه إثباتاً صريحا للقدر، ولذلك فالْمعتزلة طعنوا فيه من وجوه:

أَحدها: أَنّ هذا الْخبر يقتضي أَنْ يكون موسى قد ذمّ آدم على الصَّغيرة؛ وذلك يقتضي الجهلَ في حق موسى- عليه السلام- وأنه غير جائز.

ثانيها: أَنَّ الْولد كيف يُشَافِهُ وَالِدَهُ بالْقَول الغليظ.

ثالثها: أَنَّه قال: (أَنْت الَّذي أَشقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ)، وقد علم موسى أن شفاء الخلق وإخراجَهم من الجنة لم يكن من جهة آدم، بل الله أخرجه منها.

رابعها: أن آدم- عليه السلام- احتج بما ليس بحجة، إذ لو كان حجة لكان لفرعونَ وهامان وسائرِ الكفّارِ أن يحتجوا بها، ولمّا بطل ذلك علمْنا فساد هذه الحجة.

خامسها: أن الرسول- ﷺ- صوّبَ آدمَ في ذلك[٦٢٨].

بناء على ما سبق يبدو أن المعتزلة لا يقبلون هذا الحديث، ويعتبرونه غير صحيح عن رسول الله- ﷺ- لكون ذلك غير موافق لمبادئهم ومعتقداتهم في أعمال العباد، ولا حجة لهم في ذلك؛ ولكنهم استمروا في إنكارهم، وردهم.

---

[٦٢٦]) أبو علي الجبائي شيخ الاعتزال، وهو زوج أم أبي الحسن الأشعري، وكان يعتمد في الاعتزال على أبي الحسن الأشعري أيما اعتماد، فلما ترك أبو الحسن الأشعري مذهبه في الاعتزال وتبنى مذهباً جديداً وهو مذهب الأشاعرة، أفلس المعتزلة في ذاك الزمان. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج٤/٥٥.

[٦٢٧]) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، ص/١٣.

[٦٢٨]) الرازي، التفسير الكبير، ج٢/ص٢٩١.

١.٤:موقف المعتزلة لحديث الفطرة الذي يعد من أحاديث الاختيار

ومن تلك الأحاديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُونَ البَهِيمَةَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»[٦٢٩]. والمعتزلة يحتجون بهذا الحديث (على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره بل مما ابتدأ الناس إحداثه)[٦٣٠]، ولما صار المعتزلة يحتجون بهذا الحديث على قولهم، صار الناس يؤوّلونه بتأويلات يخرجونه بها عن مقتضاه، فقالت المعتزلة (كل مولود يولد على الإسلام؛ والله- سبحانه- لا يضل أحدا وإنما أبواه يضلانه)، ولهذا قيل: لمالك بن أنس إن القدرية يحتجون علينا بأول الحديث فقال: (احتجوا عليهم بآخره؛ وهو قول: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٦٣١].

وأما ما يتعلق بأطفال المشركين، فيقول القاضي عبد الجبار: (في أنه تعالى لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم، فالذي يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يعذب أطفال المشركين بذنوب آبائهم، هو أن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم، والله- تعالى- لا يكون ظالماً باتفاق الأمة، ولأنه قبيح، والله- تعالى- لا يفعل القبيح لعلمه بقبحه وبغناه عنه؛ وقد استدل- رحمه الله- على هذه المسألة تنبيهاً على أن الدلالة السمعية من الكتاب والسنة توافق ما ذهبنا إليه واعتقدناه في ذلك[٦٣٢]، فمما يدل على ما ذكرناه من كتاب الله، قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا}[٦٣٣]، ومعلوم أن الأطفال لم تبعث إليهم الرسل؛ فيجب أن لا يعذبهم الله- تعالى- على ما نقوله، وقوله: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}[٦٣٤]، والطفل لم يكتسب إثماً حتى يعذب؛ ومن السنة ما روي عن النبي- ﷺ- أنه قال:« رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ»[٦٣٥]، فبين أن القلم مرفوع عنه، ولن

---

[٦٢٩]) أخرجه الإمام البخاري، كتاب القدر، بَابٌ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، برقم (٦٥٩٩).

[٦٣٠]) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل، ص/٢٨٤.

[٦٣١]) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل، المصدر نفسه، ص/٢٨٤.

[٦٣٢]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٤٧٧.

[٦٣٣]) [الإسراء: ١٥].

[٦٣٤]) [المدّثر:٣٨].

[٦٣٥]) سنن أبي داود، كتاب الحدود، بَابٌ فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا، برقم (٤٤٠٢) ج٤/ص١٤٠.

يكون كذلك إلا ولا يحسن تعذيبه، فصح أن تعذيب أطفال المشركين ظلم، وأنه تعالى لا يختاره[٦٣٦].

١.٥ :أفعال العباد الجانب الجبري والجانب الاختياري

وسيتبيّن من خلال ذلك بعض الآيات التي تتعلق بالجانب الجبري، وتتعلق بالجانب الاختياري، وبالنظر إلى بعض الآيات التي تتعلق بالجبر، يتبيّن أنها آيات إما تتعلق بالمشيئة الإلهية، وهي الإرادة الكونية التي يعيش خلالها الإنسان مسيرا، وإما آيات القدر والخلق، وسيتضح من خلال النظر إلى حقيقة الجانب الجبري فيها.

وهذا ينقسم إلى الأقسام التالية:

القسم الأول: الجانب الجبري، والجانب الاختياري، عند السلف:

تحت فرعين التاليين:

الفرع الأول: الجانب الجبري؛ وله نقاط:

النقطة الأولى: المشيئة الالهية

والمشيئة الواردة في القرآن الكريم تجعل الإنسان مجبراً، لأنه يسير وفق إرادة الله- تعالى- ونواميسه الكونية التي تخضع لها كل من مخلوقاته ومما فيها الإنسان فلا اختيار له ههنا، فيستوي فيها الإنسان مع سائر الموجودات الأخرى، ومن ذلك قوله تعالى: { وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[٦٣٧]؛ وهذه الآية تدل أنها لا يجري شيء من ملك الله وملكوته إلا بمشيئته، وقال تعالى: {فَمَن شَاء ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ}[٦٣٨]؛ ومع هذا فلا يقع الفعل منهم حتّى يُرِيد من نَفسه إعانتَهم وتوفيقَهم[٦٣٩].

وقال تعالى:{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}[٦٤٠]، فقد أثبت الله- تعالى- هنا المشيئة الإنسانية، وأنها لا تكون إلا بمشيئته، ولو شاء الله- تعالى- أن لا تكون لنا مشيئة، لما كان لأحد من العباد أي إرادة أو اختيار، والعباد بإرادته ومشيئته يشاؤون، ولذلك قال الإمام ابن تيمية-

---

[٦٣٦]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص/٤٧٨.

[٦٣٧]) [التكوير: ٢٩].

[٦٣٨]) [المدثر: ٥٥- ٥٦].

[٦٣٩]) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، دقائق التفسير الجامع، تح، د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ١٤٠٤م، ج٣/ص٢٧.

[٦٤٠]) [التكوير: ٢٨].

رحمه الله- فأخبر أَن مشيئتهم موقُوفة على مشيته؛ ومع هذَا فلا يُوجب ذَلك حصول الْفعل منهم إِذْ أَكثر ما فيه أَنه جعلهم شائين ولا يقع الْفعل إِلَّا حين يشاؤه منهم[٦٤١].

النقطة الثانية: القدر

وكذلك ورد في القران الكريم آيات كثيرة ومتضافرة حول مسألة القدر الذي هو أحد أركان الإسلام، قال الخطابي: (قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله- تعالى- العبد على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمون، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله بما سيكون من اكتسابات العبد وخلقه لها خيرها وشرها)[٦٤٢]. قال الإمام العلامة محيي الدين النووي - رحمه الله- (أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله- تعالى- قدَّر الأشياء في القدم، وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده؛ وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها) وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه لم يقدرها، ولم يتقدم علمه بها[٦٤٣]. وأما السلف الصالح فقد فهموا أمر القدر فهماً سليماً، وقد تكلم الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله- كلاماً واضحاً عن حقيقة القدر حيث قال: (والقدر خيره وشرّه قليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومرّه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيّئه، وأوّله وآخره من الله- عزّ وجلّ- قضاء قضاه على عباده وقدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاء، بل هم كلّهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم، وهو عدل منه عز وجل[٦٤٤]. ومما وردت من آيات تتحدث عن القدر، قوله تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[٦٤٥]، وقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[٦٤٦] أي: بمقدار قدرناه وقضيناه، وفي هذا بيان، أن الله جل ثناؤه، توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع كفرهم به[٦٤٧]، وقال ابن عباس: إني لأجد في القرآن قوما يسحبون في النار على

---

[٦٤١]) ابن تيمية، دقائق التفسير الجامع، ج٣/ص٢٧.

[٦٤٢]) حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج٥/ص٣١١.

[٦٤٣]) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ، ج١/ص١٥٤.

[٦٤٤]) أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ج١/ص٢٥.

[٦٤٥]) [الأحزاب:٣٨].

[٦٤٦]) [القمر:٤٩].

[٦٤٧]) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٢/ص٦٠٤.

وجوههم، يقال لهم ذوقوا مس سقر لأنهم كانوا يكذبون بالقدر وإني لأراهم فما أدري أشيء - كان- قبلنا أم شيء فيما بقي[٦٤٨]، وقال أبو هريرة- رضي الله عنه- (جَاءَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُخَاصِمُونَ رَسُولَ اللهِ- ﷺ- فِي الْقَدَرِ)- فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ* يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ*إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[٦٤٩]. وقد حكم النبي- ﷺ- على من ينكر القدر، وقال: (لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ قَدَرَ إِنْ مَرِضُوا فَلاَ تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلاَ تَشْهَدُوهُمْ)[٦٥٠]، وهذا دليل واضح كالقمر في ليلة البدر على من ينكر القدر، لأنه أحد أركان الستة، لأَنَّ الإِنْسان إِذَا علم أَنَّ ما قَدَّره اللَّه كائنٌ، وأَنَّ كلَّ ما ناله منْ خيرٍ أَو شرّ إِنَّما هو بقَدر اللَّه وقضائه هانَتْ علَيْه الْمصائبُ، ولَم يجدْ مرارةَ شماتة الأَعداء، وتَشَفِّي الْحَسَدَةِ هو مولانا أَي ناصرُنا، وجاعل الْعاقبة لَنا، ومُظْهِرٌ دينَهُ علَى جميع الأَديان، والتَّوكُّلُ علَى اللَّه تفْوِيضُ الْأُمور إِلَيْه؛ وأَنَّ من حقِّ الْمؤْمنين أَنْ يجعلوا توَكُّلَهُمْ مخْتصًّا باللَّه-تعالى- لا يتوكَّلون على غيره[٦٥١]، وعلى هذا الأساس كان موقف أهل السنة والجماعة واضحاً على منكري القدر.

النقطة الثالثة: الخلق

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتبيّن أن الله- تعالى- هو الخالق لكل شيء بدون استثناء، فما من شيء وجد بعد أن لم يكن موجوداً فالله خالقه عن علمٍ وإرادةٍ حتى أفعال العباد، ورغم خلقه للأفعال؛ إلا أنه لم يجبر أحداً على أفعاله الاختيارية، إلا أننا نأتي ببعض الآيات حول هذه المسألة:

ومما وردت من آيات الخلق، قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٦٥٢]، وكما ورد قوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[٦٥٣]، إن هذه الآيات توضح حقيقة، وهي أن الله خالق كل شيء ومقدره، وكل شيء تحت قهره وتقديره، ومما

---

[٦٤٨]) القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج١١/ص٧٢٠٦.

[٦٤٩]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، برقم (٢٦٥٦)، [القمر:٤٧-٤٨-٤٩].

[٦٥٠]) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٦٩١).

[٦٥١]) الشوكاني، فتح القدير، ج٢/ص٤٢١.

[٦٥٢]) [الرعد: ١٦].

[٦٥٣] [الفرقان: ٢].

لاشك فيه أن أفعال العباد- الله- هو خالقها[٦٥٤].

النقطة الرابعة: الثواب والعقاب

هناك آيات تتحدث عن الثواب والعقاب، وأنها عبارة عن ثواب من الله- تعالى- للإنسان على ما قدمه من خير؛ أو على ما قدمه من شر؛ ومن ذلك قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}[٦٥٥]، أي: مبينا لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله، إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسُه فعلَه، متلذذا به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه، ومَنَّ عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق، وأن علامة من يرد الله أن يضله، أن يجعل صدره ضيقا حرجا، أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته؛ يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه، وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجس عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسره الله لليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى[٦٥٦].

وقال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}[٦٥٧]، أي إنك لا توصل الهداية إلى القلوب؛ لأن الله- تعالى- هو الذي يهدي القلوب ويزيدها هدى وإيمانا[٦٥٨]؛ ولذلك أطلقها الله قضية إيمانية عامة في قوله: {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله}[٦٥٩] فالقرآن الكريم يحمل هداية الدلالة للذين يريدون أن يجعلوا بينهم وبين غضب الله وعذابه وقاية[٦٦٠].

---

[٦٥٤]) محمد حسن رباح بخيت، أفعال العباد بين الجبر والاختيار، ص/٢٥٦.

[٦٥٥]) [الأنعام:١٢٥].

[٦٥٦]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص/٢٧٢.

[٦٥٧]) [القصص: ٥٦].

[٦٥٨]) الشعراوي، الخواطر، ج١/ص١٢٣.

[٦٥٩]) [آل عمران: ٧٣].

[٦٦٠]) الشعراوي، الخواطر، المصدر نفسه، ج١/ص١٢٣.

فإذاً خلاصة موقف السلف لهذه القضية من حيث إثبات الإرادة والاختيار للإنسان، هو أن الله خالق هذه الإرادة وهذا الاختيار، لا يقصد بذلك جبر الإنسان على الفعل، بل أراد منه أن يختار ويريد.

الفرع الثاني: الجانب الاختياري

لقد ورد في القران الكريم آيات توضّح أن للإنسان إرادة وحرية في اختيار أفعاله وأعماله، سواء أكان ذلك ناتجاً عن الإرادة الإنسانية الحرة المختارة، أو وجوده بين نازعي الخير والشر، أو التقوى والهوى في داخل النفس الإنسانية؛ وهذا كله يوضح أن الإنسان له اختيار إلى جانب أن الآيات وضحت أن هناك طريقين: طريق الخير؛ وطريق الشّر؛ وأن من اتبع طريق الخير فجزاؤه الجنة، ومن تبع طريق الشر فعقابه النار، إلا ما رحم ربي، كما أن إثبات القرآن الكريم للكسب الإنساني يدل بوضوح على أن الإنسان حر في الفعل الذي يفعله، ولو لم يكن حراً ومختاراً لما ثبت له كسب، ولكن إثبات الرضا والقبول لدى الإنسان وإيثاره شيئاً على شيء، يعطي دلالة واضحة على أن للإنسان حرية واختياراً، وهذا في ضوء القضاء الكوني الذي قدر الله- تعالى- من خلال وجود إرادة حرة للإنسان؛ وقدرة واختيار. ومما ورد في ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}[٦٦١]، وقوله تعالى أيضا:{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[٦٦٢]، فإذا كان كذلك فمن عمل للآخرة وسعى لها يقويه الله- تعالى- ويعينه ويبارك له في عمله[٦٦٣]. وفهم السلف للآيات الواردة في القرآن الكريم بشأن حرية الإنسان، الفهم الذي يتفق مع مراد الله- تعالى- من غير انحراف؛ أو زيغ عن الحق؛ لأن عقيدتهم كانت صافية أخذوها عن رسول الله- ﷺ- فلم تتأثر بأفكار دخيلة ولا معتقدات باطلة، ولذلك أثبتوا للإنسان إرادة واختياراً، وكما يتبين موقف السلف بوضوح من خلال قول الإمام علي- رضي الله عنه- (أَلا إِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ)[٦٦٤]،

---

[٦٦١]) [آل عمران:١٤٥].

[٦٦٢]) [القصص: ٧٧].

[٦٦٣]) محمد حسن رباح بخيت، أفعال العباد بين الجبر والاختيار، ص/٢٦٩-٢٧٠.

[٦٦٤]) فاروق دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، دار الدعوة - الأسكندرية، ج٢/ص١٩.

فالإنسان له حرية؛ واختيار؛ فيختار الدنيا أو الآخرة؛ ولا يجبر على أفعاله الاختيارية الواقعة في مجال التكليف، هذه الإرادة والحرية والاختيار للإنسان والتي ينتج عنها الأفعال، هي خلق الله- فهو خالق الإنسان؛ وخالق إرادته؛ وخالق أفعاله، ولذلك سبق قول وفهم الإمام أبي حنيفة- رحمه الله- حيث قال: (وجميع أَفعَال الْعباد من الْحركة والسكون كسبهم على الحقيقة؛ والله- تعالى- خالقها وهي كلّها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره)[٦٦٥].

١.٦ :موقف الجبرية والمعتزلة فمخالف لآيات المتعلقة بأفعال العباد

حيث حاول كل فريق بإرادة أدلتهم؛ وتأويل نصوصهم حسب ما يرون؛ بدون النظر إلى حقيقة النصوص؛ ودلالتها؛ فأدّى بهم ذلك إلى الانحراف عن فهم السلف للآيات القرآنية، وهذا ينقسم إلى أقسام:

الأول: موقف الجبرية من آيات الجبر

ومما استدلت الجبرية به من الآيات، قوله تعالى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ}[٦٦٦]، وقال الإمام الرازي في بيان حقيقة اعتمادهم على هذه الآية: والجبري يقول: (متى ضُمّت هذه الآية إلى آية التي بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر، وذلك لأن قوله: {فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا}[٦٦٧]، يقتضي أن تكون مشيئة العبد متى كانت خالصة مستلزمة للفعل، وقوله بعد ذلك: {وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ}[٦٦٨]، يقتضي أن مشيئة الله- تعالى- مستلزمة لمشيئة العبد، ومستلزم المستلزم مستلزمٌ، فإذاً مشيئة الله مستلزمة لفعل العبد، وذلك هو الجبر[٦٦٩].

وكذلك استدلوا بالآيات التي تدل على العقوبات الناتجة عن انحراف الإنسان سواء بكفره؛ أو نفاقه؛ أو معصيته؛ وذلك قوله تعالى:{خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}[٦٧٠]، وقوله:{وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ}[٦٧١]، وقوله:{كَذَٰلِكَ

---

[٦٦٥]) أبو حنيفة، الفقه الأكبر، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص/٣٣.

[٦٦٦]) [التكوير: ٢٩].

[٦٦٧]) [الإنسان: ٢٩].

[٦٦٨]) [التكوير: ٢٩].

[٦٦٩]) الرازي، التفسير الكبير، ج٣٠/ص٧٦١.

[٦٧٠]) [البقرة: ٧].

[٦٧١]) [الأعراف: ١٠٠].

يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ}[٦٧٢]، وقوله: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[٦٧٣]، وزعمت الجبرية: (أن الله أكرهها على ذلك؛ وقهرها عليه؛ وأجبرها من غير فعل منها؛ ولا إرادة؛ ولا اختيار؛ ولا كسب البتة؛ بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب؛ ولا سبب من العبد؛ يقتضي ذلك بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى؛ فلم ييسر إليه سبيلا؛ ولا أعطاه عليه قدره؛ ولا مكنه منه بوجه؛ وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه)[٦٧٤]، واستدلوا بقوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ}[٦٧٥]، فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبته لنفسه- فدل على أنه لا صنع للعبد، قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال[٦٧٦].

واستدلوا بآيات الخلق، كقوله تعالى: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ}[٦٧٧]، وقوله:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[٦٧٨]، وقوله:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[٦٧٩]، وقال الجبري: (معتمدي في الجبر على حرف لا خلاص لكم منه إلا بإلزام الجبر؛ وهو أن العبد لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له؛ ولو كان محدثا له؛ لكان خالقا له؛ والشرع والعقل ينفيه)[٦٨٠].

وموقف الجبرية من آيات الاختيار

الآيات التي تثبت حرية الإنسان وإرادته واختياره، حولها الجبريون عن مدلولها الحقيقي، وأولوها مخالفاً للغة، ولاعتقاد السليم، وكل ذلك من أجل إثبات أن الإنسان مجبر على أفعاله. ومن الآيات التي ذهبوا إليها، قوله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ

---

[٦٧٢]) [البقرة:١٠١].

[٦٧٣]) [محمد: ٢٤].

[٦٧٤]) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص/٨٥.

[٦٧٥]) [الأنفال:١٧].

[٦٧٦]) ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٢/ص٦٤١.

[٦٧٧]) [فاطر:٣].

[٦٧٨]) [الفرقان:٢].

[٦٧٩]) [الصافات:٩٦].

[٦٨٠]) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، ص/١٥١.

فَلْيَكْفُرْ}[٦٨١]، وقد سبق بيان موقف الجبرية من الآيات المتعلقة بالمشيئة الإنسانية. ومن الآيات التي لا يعتبر بها الجبرية، قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[٦٨٢]، وكسب الجبرية لفظ لا معنى له ولا حاصل تحته[٦٨٣]، وقالت الجبرية: (الكسب اقتران الفعل بالقدرة الحادثة من غير أن يكون لها فيه أمر)[٦٨٤].

وبعض من الجبرية تنسب للعبد قدرة ولكنها غير مؤثرة، لأن القدرة المؤثرة تعتبر كسباً وليس جبراً[٦٨٥]. وخالف الجبرية النصوص القرآنية في قضية الكسب، ونفوها لأجل إثبات الجبر. ومما سبق تبيّن موقف الجبرية من آيات الأفعال، وأنهم جاهدوا على صرف الكلمات وتأويل الآيات لكي توافق اعتقاداتهم، وأعرضوا عن المعنى الحقيقي لآيات الجبر أو الاختيار.

الثاني: موقف المعتزلة من آيات الجبر

موقف المعتزلة من آيات الإرادة والمشيئة، وآيات الخلق، وآيات العقاب.

وردت عدة آيات تتحدث عن الإرادة والمشيئة، ومن ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ}[٦٨٦]، بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة[٦٨٧]. وقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا}[٦٨٨]، بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان، وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار، ويعضده قوله: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ} يعنى: مشيئة الإلجاء والقسر[٦٨٩]،هذا عند المعتزلة؛ وقوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}[٦٩٠]، أي: قسراً

---

[٦٨١]) [الكهف:٢٩].

[٦٨٢]) [البقرة:٢٨٦].

[٦٨٣]) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، المصدر نفسه، ص/١٢١.

[٦٨٤]) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، المصدر نفسه، ص/١٣٠.

[٦٨٥]) سعدالدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد، المحقق: د، عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت- لبنان،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ج٤/ص٢٢٤.

[٦٨٦]) [الأنعام:٣٥].

[٦٨٧]) الزمخشري، الكشاف، ج٢/ص٢٠.

[٦٨٨]) [الرعد:٣١].

[٦٨٩]) الزمخشري، الكشاف، ، ج٢/ص٥٣٠

[٦٩٠]) [النحل:٩].

وإلجاءاً[٦٩١]، هذا عند المعتزلة.

أما عند أهل السنة: فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً، وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح، وهداية الكل صلاح، فظاهر الآية يخالف مذهبهم، ولذا قالوا: إنه أراد هداية الكل، لكن إرادة لا تنافى تخيير العبد، لئلا يبطل تكليفه، وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد، وأهل السنة لم يوجبوا على الله- تعالى- شيئا، وكل ما أراده الله لا بد من وقوعه، وهذه الإرادة لا تنافي اختيار العبد عندهم لما تقرر له من الكسب[٦٩٢]. وفي الحقيقة تمسك المعتزلة بحمل آيات المشيئة على معنى الإلجاء الذي لا يشاؤه الله تعالى؛ وكذلك وردت عدة آيات من القرآن الكريم تتحدث عن خلق الله- تعالى- ومن ضمن ذلك أفعال العباد، وأيضا فالمعتزلة أولوا وحرفوا الآيات عن مدلولاتها الحقيقية، لأجل استدلالاتهم بها على أن الله- تعالى- لا يخلق أفعال العباد، ومن ذلك قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ}[٦٩٣]، وقال القاضي عبد الجبار: (إن الله نفى التفاوت عن خلقه، فلا يخلو: إما أن يكون المراد بالتفاوت من جهة الخلقة؛ أو من جهة الحكمة؛ ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة؛ لأن في خلقة المخلوقات من التفاوت ما لا يخفى، فليس إلا أن المراد به التفاوت من جهة الحكمة على ما قلناه، وإذا ثبت هذا لم يصح في أفعال العباد أن تكون من جهة الله- تعالى- لاشتمالها على التفاوت وغيره)[٦٩٤].

واستدلوا أيضا: بقوله تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}[٦٩٥]، وقال القاضي عبد الجبار إن هذه الآية: (تدل على أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، ووجه الاستدلال أنه لا يخلو، إما أن يراد به- الخلق- أن جميع ما فعله الله فهو إحسان؛ أو المراد به أن جميعه حسن؛ ولا يجوز أن يكون المراد به الإحسان؛ لأن في أفعاله ما لا يكون إحساناً كالعقاب؛ فليس إلا أن المراد به الحسن على ما نقوله، إذا ثبت هذا، ومعلوم أن أفعال العباد تشتمل على

---

[٦٩١]) الزمخشري، الكشاف، المصدر نفسه، ج٢/ص٥٩٦.

[٦٩٢]) الزمخشري، الكشاف، المصدر نفسه،ج٢/ص٥٩٦.

[٦٩٣]) [الملك:٣].

[٦٩٤]) مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣هـ، ج٤/ص٦.

[٦٩٥]) [السجدة:٧].

الحسن والقبيح، فلا يجوز أن تكون مضافة إلى الله تعالى)[٦٩٦].

واستدلوا أيضاً: بقوله تعالى: {صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}[٦٩٧]، ويقول القاضي عبد الجبار- بعد أن أورد هذه الآية للاستدلال: (إن الله- تعالى- بيّن أن أفعاله كلها متقنة، والإتقان يتضمن الأحكام والحسن جميعا حتى لو كان محكما، ولو لم يكن حسنا لكان لا يوصف بالإتقان، ألا ترى أن أحدنا لو تكلم بكلام فصيح يشتمل على الفحش، فإنه وإن وصف بالإحكام لا يوصف بالإتقان، ثم قال: إذا ثبت هذا ومعلوم أن في أفعال العباد ما يشتمل على التهود والتنصر والتمجّس، وليس شيء من ذلك متقنا، فلا يجوز أن يكون الله- تعالى- خالقا لها)[٦٩٨]. ومما سبق يتضح لنا أن ما ذهب اليه المعتزلة لم يكن عليه نصوص قرآنية، وإنما أرادوا أن يجدوا لمعتقداتهم وأفكارهم حجة وسنداً منها.

ووردت عدة آيات من القران الكريم حول الختم والطبع والمرض وعقوبات العبد على أفعاله، ويوجد للمعتزلة حول هذه الآيات موقف خاص وناتج عن عقولهم بأن العبد خالق لأفعاله، وهذا هو سبب دفعهم لتأويل الآيات حسب أفكارهم وذهنهم واعتقادهم، ولا يقبلون الآيات حسب ظاهرها.

ومن الآيات التي استدلوا بها، قوله تعالى: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٦٩٩]، فالمعتزلة قالوا: إنّه لا يجوز إجراء هذه الآية على المنع من الإيمان واحتجّوا فيه بالوجوه الَّتي حكيناها عنهم في الآية الأولى وزادوا هاهنا بأنّ اللَّه- تعالى- قد كذَّب الكفّار الَّذين قالوا إن على قلوبهم كنانا وغطاءً يمنعهُم عن الإيمان[٧٠٠]، وقوله تعالى:{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ}[٧٠١]، وقوله {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}[٧٠٢]، وقوله {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ}[٧٠٣]، وهذا كله عيب وذم من الله- تعالى- فيما ادّعوا أنهم ممنوعون من

---

[٦٩٦]) القاضي، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، المحقق الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص/٣٥٧.

[٦٩٧]) [النمل:٨٨].

[٦٩٨]) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، المصدر السابق، ص/٣٥٨.

[٦٩٩]) [البقرة:٧].

[٧٠٠]) الرازي، التفسير الكبير، ج٢/ص٢٩٢.

[٧٠١]) [البقرة:٨٨].

[٧٠٢]) [النساء:١٥٥].

[٧٠٣]) [فصلت:٤-٥].

الإيمان[٧٠٤]. وكذلك أولوا هذه الآية: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا}[٧٠٥]، وقالت المعتزلة: المراد بقوله تعالى: {أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا} أَنَّا وجدنا قلبه غافلًا؛ وليس المراد خلق الغفلة فيه[٧٠٦]، وأولوا هذه الآية أيضاً:{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}[٧٠٧]، وأمّا المعتزلة فقد قَالوا: لمَّا دلَّت الدّلائل على أَنّ الزَّيغ لا يجوز أَن يكون بفعل اللَّه، وجَب صَرْفُ هذه الآية إلى التّأْويل[٧٠٨].

موقف المعتزلة من آيات الاختيار

موقف المعتزلة حول إرادة الإنسان الحرة، ووجوده نازعي الخير والشر فيه، وإثبات الكسب له، وقال الله تعالى: {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}[٧٠٩]، وقال تعالى أيضا: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُر}[٧١٠]، وقال الزمخشري: والمعنى جاء الحق وزاحت العلل، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة؛ أو في طريق الهلاك؛ وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخبَر مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين[٧١١]. واعتبر المعتزلة أن الآيات السابقة صريحة في أن الأمر في الإيمان؛ والكفر؛ والطاعة؛ والمعصية؛ مفوض إلى العبد واختياره، فمن أنكر ذلك فقد خالف صريح القران[٧١٢] وورد في القرآن الكريم آيات عن نازعي الخير والشر في الإنسان، ومن ذلك قوله تعالى:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[٧١٣].

وكذلك وردت عدة آيات حول إثبات الكسب للإنسان حيث عند المعتزلة: (هو إحداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالا؛ وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا مكونه ولا

---

[٧٠٤]) الرازي، التفسير الكبير، ج٢/ص٢٩٢.

[٧٠٥]) [الكهف:٢٨].

[٧٠٦]) الرازي، التفسير الكبير، المصدر نفسه، ج٢١/ص٤٥٦.

[٧٠٧]) [آل عمران:٨].

[٧٠٨]) الرازي، التفسير الكبير، المصدر نفسه، ج٧/ص١٤٨.

[٧٠٩]) [آل عمران:١٥٢].

[٧١٠]) [الكهف:٢٩].

[٧١١]) الرازي، التفسير الكبير، المصدر نفسه، ج٢/ص٤٨٢.

[٧١٢]) الرازي، التفسير الكبير، المصدر نفسه، ج٢١/ص١٠١.

[٧١٣]) [الإنسان:٣].

مريداً له)[٧١٤]، ومن ذلك قوله تعالى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٧١٥]، قَال صاحب الْكشَّاف: «بَلَى» إِثْبَاتٌ لما بعد حرف النَّفْيِ، وهو قوله تعالى: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ}[٧١٦]، أَي بلى تمسّكم أَبدًا بدليل قوله:{هُمْ فِيها خالِدُونَ} أَمّا السّيّئة فإِنَّها تتناول جميعَ المعاصي[٧١٧]. وقال تعالى: {وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها}[٧١٨]، وقوله:{مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ}[٧١٩] ؛ ولمّا كان من الجائز أَنْ يُظَنَّ أنّ كلّ سيّئَةٍ صغُرَتْ أو كَبُرَتْ فحالها سواء في أَنّ فاعلَها يُخَلَّد في النَّار لا جَرَمَ أن الله- تعالى- بيَّن أَنّ الَّذي يستحقُّ به الخلود أَن يكون سيِّئَةً مُحِيطَةً به، ومعلومٌ أَنَّ لفْظ الإحاطة حقيقَةٌ في إحاطة جسمٍ بجسْمٍ آخر كإحاطة السُّور بالْبلَد والْكوز بِالْماء وذلك هاهنا ممتنعٌ، فنَحْمله على ما إِذا كانتِ السّيّئَةُ كبيرةً لوجهين:

أَحدهما: أَنَّ الْمحيط يَسْتُرُ الْمُحَاطَ به والْكبيرَةُ لكونها محيطَةً لثَواب الطَّاعات كالسَّاترة لتلك الطَّاعات، فكانت المشابهة حاصلَةً من هذه الجهة.

ثّانيهما: أَنّ الكبيرة إِذا أَحْبَطَتْ ثواب الطّاعات فكأَنَّها استولتْ على تلك الطَّاعات وأَحاطتْ بها كما يُحيط عسكر العدوّ بالإنسان، بحيث لا يتمكَّن الإنسان من التَّخلُّص منه، فكأَنَّه- تعالى- قال: (بلَى منْ كَسَبَ كَبيرَةً وأَحَاطَتْ كبيرتُه بطَاعاته فأُولَئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، فإِن قيل: هذه الآية وردتْ في حقّ الْيهود، قلنا: العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السبب، هذا هو الوجه الَّذي اسْتدلّت المعتزلة به في إِثبات الوعيد لأصحاب الكبائر[٧٢٠].

وقال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[٧٢١].

فالْمعتزلَة عوَّلوا على هذه الآية في أَنَّه لا يكَلِّف الْعبدَ ما لا يطيقه ولا يقْدر عليه، ونظيره قوله تعالى: {وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[٧٢٢]، وقوله:{يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ

---

[٧١٤]) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل، ص/١٣٠.

[٧١٥]) [البقرة: ٨١].

[٧١٦]) [البقرة:٨٠].

[٧١٧]) الرازي، التفسير الكبير، ج٣/ص٥٦٨.

[٧١٨]) [الشُّورَى: ٤٠].

[٧١٩]) [النِّسَاء: ١٢٣].

[٧٢٠]) الرازي، التفسير الكبير، ج٣/ص٥٦٨.

[٧٢١]) [البقرة:٢٨٦].

[٧٢٢]) [الحج: ٧٨].

عَنْكُمْ}[٧٢٣]، وقوله: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ}[٧٢٤]، وقالوا: هذه الآية صريحة في نفي تكليف ما لا يطاق، وقالوا: وإذا ثبت هذا فههنا أصلان:

الأول: أن العبد موجد لأفعاله نفسه، فإنه لو كان موجدها هو الله- لكان تكليف العبد بالفعل تكليفاً بما لا يطاق، فإن الله إذا خلق الفعل وقع لا محالة ولا قدرة البتة للعبد على ذلك الفعل ولا على تركه، إما إنه لا قدرة له على الفعل فلأن ذلك الفعلَ بقدرة الله- تعالى- والموجود لا يوجد ثانيا، وأما إنه لا قدر له على الدفع فلأن قدرته أضعف من قدرة الله- تعالى- فكيف تقْوى قدرتُه على دفع قدرة الله- تعالى- وإذا لم يخلق الله الفعل استحال أن يكون للعبد قدرة على التحصيل، فثبت أنه لو كان الموجد لفعل العبد هو الله- لكان تكليف العبد بالفعل تكليفاً بما لا يطاق.

والثاني: أن الاستطاعة قبل الفعل وإلا لكان الكافر المأمور بالإيمان لم يكن قادراً على الإيمان، فكان ذلك تكليفاً بما لا يطاق؛ وهذا تمام استدلال المعتزلة في هذا الموضوع[٧٢٥].

رأي الگوراني- رحمه الله- في هذه المسألة: التي تتعلق بأعمال العباد وبمحاجة آدم وموسى: يقول مجيبا عن هذا السؤال الموجه له: فإن قلت: فلا دلالة في الحديث على أن التقدير أزلي؟

وأجاب الگوراني قلت: فيه دلالة؛ لأن النزاع إنما هو في أن الأمور الكائنة إنما يعلمها تعالى حين الوقوع، أو مقدرة في الأزل، ولا قائل بالفصل بأن يكون قبل الحدوث دون الأزل.

وفي الحديث الآخر: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[٧٢٦]، ولا شك أن قصة آدم وما قدر عليه داخل في ذلك (فحج آدم وموسى)[٧٢٧].

وكذلك فإن قلت: هذا يدل على الجبر وأن ليس للإنسان اختيار في أفعاله وألا مؤاخذة ولا عتاب على العاصي؟ وأجاب الگوراني بلفظ- قلت- وقال: هذه قصة في علم الملكوت عند

---

[٧٢٣]) [النِّسَاءِ: ٢٨].

[٧٢٤]) [الْبَقَرَة: ١٨٥].

[٧٢٥]) الرازي، التفسير الكبير، المصدر نفسه، ج٧/ص١١٥.

[٧٢٦]) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى، برقم(٢٦٥٣)؛ والترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، برقم(٢١٥٦)؛ وأحمد في المسند، برقم(٦٥٤٣).

[٧٢٧]) الگوراني، الكوثر الجاري، ج١٠/ص٤٢٥-٤٢٦.

ارتفاع الأسباب وزوال التكليف، ولأنه لم يكن له أن يواجهه بذلك، والأول هو الجواب، لأن الأسباب إنما يعتد بها في دار التكليف[٧٢٨].

والذي يبدو لي بعد عرض آراء العلماء حول هذه المسألة، أن رأي الكَوْراني هو رأي ما ذهب إليه أهل السنة ، حيث إن مذهب أهل الحق هو مذهب السلف وهو إثبات القدر، ومعناه: أن الله- تعالى- قدَّر الأشياء في القدم، وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها[٧٢٩].

أما الجبرية فزعمت : (أن الله أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا إرادة ولا اختيار ولا كسب البتة بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضي ذلك بل أمره وحال مع أمره بينه وبين الهدى فلم ييسر إليه سبيلا ولا أعطاه عليه قدره ولا مكنه منه بوجه؛ وأراد بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه)[٧٣٠]، وأنكرت القدرية من المعتزلة هذا، وزعمت أنه لم يقدرها، ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، ورأي الكَوْراني موافق لرأي مذهب أهل الحق وهو مذهب السلف.

---

[٧٢٨]) الكَوْراني، الكوثر الجاري، المصدر نفسه، ج١٠/ص٤٢٦.

[٧٢٩]) الأشقر، القضاء والقدر، ج١/ص٢١.

[٧٣٠]) ابن القيم الجوزية، شفاء العليل، ج١/ص٨٥.

الخاتمة

لله وحده الحمد؛ الجليل عطاؤه؛ الظليل غطاؤه؛ غافر الذنوب والخطايا؛ سامع الدعوات؛ و راحم المؤمنين يوم العرض الأكبر؛ ليس كمثله شيء وهو على كل شيء قدير؛ والصّلاة والسّلام على نبينا محمد- ﷺ- ونفعنا بشفاعته؛ وحشرنا مع زمرته يوم القيامة؛ أما بعد:

فإن القضاء والقدر من العناصر اللطيفة المهمة في عقيدتنا الإسلامية؛ وهو أحد الأركان الستة في العقيدة الإسلامية؛ فأجمل أهم ما توصلت إليه من فوائد في هذه الرسالة في الأمور التالية:-

١-إن الكوراني اهتم بنصوص النقل أكثر مما اهتم بنصوص العقل.

٢- إن رأي الكوراني في أعمال العباد هو رأي ما عليه أهل السنة والجماعة؛ بأن الله له حكم الأشياء والتصرف فيها.

٣- استدل الكوراني بالآيات والأحاديث كما استدل بأقوال العلماء مؤيدة لرأيه.

٤- يبدو من رأي الكوراني بأن الخلائق والأكوان أدلة واضحة وحجة ملزمة على تعظيم الله وتجليله لكي يُعبد ويحس الناس بدلائل قدرة الله تعالى في الكون.

٥- من خلال البحث تبيّن أن القدر مما تكلم فيه الناس في القديم، وكل فرقة أو نحلة أو جماعة قد تكلمت في القدر، إن بحق أو بباطل، وهذا دليل على أنه شغل حياة الناس وعقولهم، ولكن يلحظ أنه لم يعصم من الزلل فيه إلا من استمد هديه من الله، وهم الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين المخلصين.

٦- إن التعريف الدقيق للقضاء والقدر هو ما انتظم مراتبه الأربع، فهو إذا علم- الله- الشامل المحيط بالأشياء وكتابته ومشيئته لها وخلقه لكل ما هو كائن إلى الأبد.

٧- الأدلة الكثيرة في كتاب الله- عز وجل- وسنة الرسول- ﷺ- تدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر وفق فهم السلف الصالح.

٨- الأقوال المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة أقوال باطلة ومنحرفة زينها الشيطان لهم وجعلهم يردون النصوص ويحرفونها من أجل ذلك.

٩- إن قول أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر هو القول الحق الذي يجب الاعتقاد والأخذ به هكذا الرأي عندي.

وفي الأخير قد رأينا من خلال البحث أن موضوع القدر قد بحث في هذا العصر، وكتب حوله كتاب عديد، ولكن أغلب هذه الكتابات جاءت منحرفة في فهمها لقضية القدر، لأنها مبنية على أقوال منحرفة قديمة، ولم يعصم من الانحراف إلا من التزم منهج السلف وعقيدتهم.

وفي الختام اسأل الله- تبارك وتعالى- أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم؛ وأن ينفعنا بهذا البحث وأن يكتب لنا فيه الأجر والثواب إنه جواد كريم.

التوصيات

من النتائج التي عُرضت في البحث: أن آثار الإيمان بالقضاء والقدر كلها ترجع إلى أداء الواجبات واجتناب المحرّمات والتخلّق بالخلق الحسن.

أشار الكوّراني بأن الأشياء التي تتعلق بالقضاء والقدر في العبادات لا تحتاج في ثبوتها إلى الاجتهاد والثقافة العلمية والدينية، لأن الأصل في العبادات التوقيف، لا تزيد عليها ولا تنقص منها.

وكما أنه يقول: إذا كان عند شخص التشكيك والإبهام في شيء يجب على مقابله أن يصله إلى حد يزيل الحائل وأورده إلى اليقين.

ومن التوصيات: أن تُعرض قضايا العقدية بأسلوب ليّن وسهل يتناسب وينسجم مع عقول الناس، والابتعاد عن أسلوب الارتباك والاشتباه والغموض أثناء إلقائها وطرحها.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

١- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري، مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المحصول، تحقيق: د، طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦- الصلابي، د، علي محمد محمد، الإيمان بالقدر، دار المعرفة، بيروت لبنان، ٢٠١٠م.

٧- الزاملي، أحمد بن علي عسيري، منهج شيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي، كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.

٨- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

١١- الزمخشري جار الله، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.

١٢- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
١٣- الزيدي، حسين بن بدر الدين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، المحقق، أبو هاشم، د، المرتضى بن زيد المحطوري الحسني، مكتبة بدر- صنعاء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٤- السامرائي، الشيخ طه خالد محمد عرب السيد علي، مسائل الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م.
١٥- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي.
١٦- السخاوي، شمس الدين أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الحياة – بيروت، د ،س، ط.
١٧- سعد عبد الله عاشور، موقف الفرق الإسلامية من افعال العباد، كلية اصول الدين، الجامعة الاسلامية، غزة فلسطين، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٠١م.
١٨- سعدالدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح المقاصد، المحقق: د، عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت- لبنان،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩- سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي، دار الفكر. دمشق- سورية، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
٢٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
٢١- السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف- الرياض، ١٩٩٨م.
٢٢- السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، لوامع الانوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٣- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، المحقق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٤- السلمان، أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٥- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، سير أعلام النبلاء، ت، مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٦- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٧- الشعراوي، محمد متولي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٨- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر- بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٩- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،١٤١٣هـ -١٩٩٢م.

٣٠- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحفة الذاكرين، دار القلم - بيروت – لبنان، ١٩٨٤م.

٣١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة – بيروت، د، س، ط.

٣٢- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ١٤١٤هـ.

٣٣- الشيبانيّ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، كتاب السنة، تح:محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٤- شيخ زاده، عبد الرحيم بن علي، نظم الفرائد و جمع الفوائد فى بيان المسائل التى وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية فى العقائد، المطبعة الأدبية، مصر، ١٣١٧هـ.

٣٥- الشيخ محمد عبده، الاعمال الكاملة، تحقيق، الدكتور محمد عمارة، دار الشروق- بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.

٣٦- الصابوني، تحقيق، محمد علي الصابوني، مختصر ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

٣٧- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني - القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٩- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، الإيمان بالقدر، المكتبة العصرية- دار المعرفة، د، ط.

٤٠- طاشْ كُبْري زَادَهْ، أبو الخير، عصام الدين، أحمد بن مصطفى بن خليل، الشقائق النعمانية فِي علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي – بيروت، د، س، ط.

٤١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، جامع البيان، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٢- الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ١٤- فبراير ١٩٩٨م.

٤٣- عبد الرحمن بن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٤- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤٥- عبد الفتاح محمد طيرة، خلق الانسان دراسة علمية قرانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

٤٦- عبد الله بن عبد العزيز المصلح والدكتور عبد الجواد الصاوي، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار جياد، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٧- عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٨- عبد الناصر توفيق العطار، نظرية الأجل في الالتزام، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.

٤٩- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح رياض الصالحين، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٦هـ.

٥٠- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٥١- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، تقريب التهذيب، المحقق، محمد عوامة، دار الرشيد– سوريا،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٢- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، لسان الميزان، المحقق، دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

٥٣- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٤- العسقلاني، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث- مصر، د، ط.

٥٥- ابن بَطَّة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، الإبانة الكبرى، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية- الرياض، ١٤١٥هـ.

٥٦- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، الفروق اللغوية، تح، د، عزة حسن، دار طلاس - دمشق، ١٩٩٦م.

٥٧- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٨- علاء بكر الإسكندرية، ملامح رئيسية للمنهج السلفي، دار العقيدة، د، ط.

٥٩- علي بن نايف الشحود، الاستعْدادُ للموتِ، دار المعمور، بهانج – ماليزيا، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٠- عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٨هـ.

٦١- عوض، الدكتور أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي، الماتريدية دراسة وتقويما، دار العاصمة،١٤١٣هـ.

٦٢- الغامدي، صالح بن غرم الله، المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف للزمخشري في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير، الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي، دار الأندلس- حائل،١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٦٣- الغرابي، علي مصطفى، الفرق الإسلامية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٨٤م.

٦٤- الغفيص، يوسف بن محمد علي، شرح الطحاوية، موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net،.

٦٥- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٦٦- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٧- فاروق دسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، دار الدعوة – الأسكندرية، د، ط.

٦٨- الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض، كتاب القدر، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٩- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المصباح المنير، المكتبة العلمية – بيروت، د، ط.

٧٠- القاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت،٢٠١٠م.

٧١- القاري، علي بن سلطان محمد، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٢- قاسم غفور حسن، مباحث الكَوْراني العقدية في كتابه – الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري - كتابي – بدء الوحي والإيمان-، كلية العلوم الاسلامية- أصول الدين- أطروحة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، جامعة بغداد،١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧٣- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ١٤١٨هـ.

٧٤- قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، المجموع في المحيط بالتكليف، تحقيق يان بترس، دار المشرق السلسلة، ١٩٩٩م.

٧٥- القاضي عبدالجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل، المحقق، الدكتور خضر محمد نبها، الشركة العربية – مصر، ١٣٨٠هـ.

٧٦- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٧- القاضي عبد الجبار بن احمد، شرح الأصول الخمسة، المحقق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٧٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧٩- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي المالكي، الهداية الى بلوغ النهاية، تح، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨٠- القرني، الدكتور، اسماعيل محمد القرني، القضاء والقدر عند المسلمين، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م.

٨١- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

٨٢- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

٨٣- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله البخاري الحسيني، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المَكتبة العصريَّة - صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٨٤- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٨٥- القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، المحقق: مجموعة رسائل جامعية

بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٨٦- كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية (بشير فرنسيس- كوكيس عواد) مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٨٧- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، العبودية، المحقق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٨- الگوراني، أحمد بن اسماعيل بن عثمان بن محمد، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المحقق: محمد بن رياض الاحمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢م.

٨٩- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، شرح أصول الاعتقاد، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٩٠- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، التوحيد، المحقق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، د، س، ط.

٩١- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تأويلات أهل السنة، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٢- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان، د، ط.

٩٣- المبار كفورى، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت، د، ط.

٩٤- مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣هـ.

٩٥- مجموعة من الباحثين، آثَار الشّيخ العَلاّمَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المُعَلّمِيّ اليَماني، دار عالم الفوائد، ١٤٣٤هـ.

٩٦- محمد با كريم محمد با عبد الله، وسطية أهل السنة بين الفرق، دار الراية، الرياض- جدة،١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٩٧- محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، دار ابن خزيمة، ٢٠٠٦م.

٩٨- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩٩- محمد بن عبد الرحمن الخميس، اعتقاد الأئمة الأربعة، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

١٠٠- محمد حسن رباح بخيت، افعال العباد بين الجبر والاختيار، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، رسالة الدكتوراه، جمهورية السودان،١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠١- محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشرق، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٢- المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

١٠٣- مرتضى، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض، تاج العروس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٢٠٥هـ.

١٠٤- المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٠٥- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت،١٢٨٣هـ.

١٠٦- مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

١٠٧- مصطفى محمد حلمي، منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٦هـ.

١٠٨-ابراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٠٩- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، أبو حامد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، المحقق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى

البابي الحلبي وشركاه،١٣٨٥هـ -١٩٦٥م.
١١٠- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١١١- المغراوي، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، د، ط.
١١٢- مقال، نعيم القاضي، معرفة الله بين أهل السنة ومخالفيهم، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ.
١١٣- المقدسي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، المحقق نور الدين طالب، دار النوادر- إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١٤- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٨هـ.
١١٥- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب عبد الخالق ثروت-القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١١٦- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت- لبنان،١٤١٠هـ.
١١٧- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم- ديمشق،١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
١١٨- نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، د، ط.
١١٩- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المحقق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٢٠- نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دستور العلماء-جامع العلوم في اصطلاحات، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٢١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، دقائق التفسير الجامع، تح، د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم

القرآن – دمشق، ١٤٠٤م.
١٢٢- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.
١٢٣- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المطبعة المصرية بالأزهر،١٣٤٩هـ- ١٩٣٠م.
١٢٤- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي، التفسير الوسيط، المحقق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د، أحمد محمد صيرة، د، أحمد عبد الغني الجمل، د، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
١٢٥- النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بابن البيع، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٢٦- هرّاس، محمد بن خليل حسن هرّاس، شرح العقيدة الواسطية، دار الهجرة– الخبر، ١٤١٥هـ.
١٢٧- اليماني، عبد الرحمن بن يحى المعلمى، الانوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عالم الكتب- بيروت-١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٢٨- ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، المحقق، محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، دط.
١٢٩- ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣٠- ابن حبان، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، مجروحي ابن حبان، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي – حلب، ١٣٩٦هـ.
١٣١- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.
١٣٢- ابن حنبل، إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن محمد بن احمد، الرد على الزنادقة والجهمية، المحقق، وغيش بن شبيب العجمي، غراس- الكويت، ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م.

١٣٣- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٧١م.

١٣٤- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٣٥- ابن رجب، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، فتح القوي المتين، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٣٦- ابن ابي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، المكتب الاسلامي، ط،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١٣٧- ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق، دكتور محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية،١٩٦٤م.

١٣٨- ابن شاكر، صلاح الدين، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر، فوات الوفيات، المحقق، إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ١٩٧٤م.

١٣٩- ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٤٠- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية – تونس، ١٩٨٤هـ.

١٤١- ابن عباس، عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية – لبنان، د، س، ط.

١٤٢- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب،١٣٨٧هـ.

١٤٣- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي

رسلان، الناشر، د، حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ.
١٤٤- ابن قدامة، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٤٥- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، أحكام أهل الذمة، المحقق، يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، رمادى- الدمام، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٤٦- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ١٣٩٤هـ.
١٤٧- ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٤٨- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح، محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٤٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ١٤١٩هـ.
١٥٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٥١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٥٢- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمود حسن، دار الفكر-بيروت، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م.
١٥٣- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإسطنبولي الحنفي الخلوتي، روح البيان، دار الفكر– بيروت.
١٥٤- ابن كثير، تعريف بالأماكن في البداية والنهاية، د، س، ط.
١٥٥- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ.

١٥٦- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري الرويفعى الإفريقى، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٤م.

١٥٧- أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د، ط.

١٥٨- ابن أبي مكي، موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم بن عثمان الشارعي الشافعي، مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٥٩- أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٦٠- أبو حنيفة، الفقه الأكبر، ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، مكتبة الفرقان - الإمارات العربية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٦١- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د، ط.

١٦٢- أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد، الغنية في أصول الدين، المحقق عماد الدين أحمد، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت- لبنان، ١٩٨٧م.

١٦٣- أبو عاصم، هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، مختصر معارج القبول، مكتبة الكوثر- الرياض، ١٤١٨هـ.

١٦٤- ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري- وفي ذيله تلخيص المستدرك محمد بن احمد الذهبي، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م.

١٦٥- أبو عمار، د، محمود المصري، موسوعة القضاء والقدر، مكتبة الصفا ، القاهرة، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣م.

١٦٦- الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، الشريعة، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن – الرياض-السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦٧- أحمد بن عوض الله بن داخل الهيبي الحربى ، الماتريدية ، دار العاصمة، ١٤١٣هـ.

١٦٨- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٦٩- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح، طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٧٠- أحمد مدحت إسلام، هل نحن وحدنا في هذا الكون، مركز الأهرام، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٧١-أرشيف منتدى الألوكة، مجلس العقيدة والقضايا الفكرية المعاصرة، http://majles.alukah.net، الأحد، ٢١ أغسطس، ٢٠١٦م- ١٨ ذو القعدة- ١٤٣٧هـ.

١٧٢- أركان علي حسن، العدل الإلهي في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

١٧٣- الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي أبو منصور، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ١٩٧٧م.

١٧٤- اسم المؤلف، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل– الكويت، ١٤٢٧هـ.

١٧٥- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، الابانة في اصول الديانة، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار- القاهرة، ١٣٩٧هـ.

١٧٦- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، كتاب اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع، تعليق، د، حموده غرابه، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٩٥٥م.

١٧٧- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، الإبانة عن أصول الديانة، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار- القاهرة، - ١٣٩٧هـ.

١٧٨- الاشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي، القضاء والقدر، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥م.

١٧٩- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٨٠- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٨١- آل مُبَارَك، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي، توفيق الرحمن في دروس القرآن، المحقق عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان، القصيم – بريدة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٨٢- أمالي، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، فيض الباري على صحيح البخاري، المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

١٨٣- الآمدي، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، غاية المرام في علم الكلام، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، د، س، ط.

١٨٤- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨٥- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٨٦- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله في التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، د، س، ط.

١٨٧- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٧هـ.

١٨٨- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، مناقب الامام احمد، دار هجر، ١٤٠٩هـ.

١٨٩- البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، المحقق، محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٩٠- البيجوري، ابراهيم بن محمد بن احمد الشافعي، تحفة المريد على شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٩١- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ.

١٩٢- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد الحسيني، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية – القاهرة.

١٩٣- التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع، تفسير التستري، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون / دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٩٤- التميمي، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، د،ط.

١٩٥- الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الصحابة للتراث، بطنطا، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٩٦- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، تح، جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٩٧- الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩٨- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩٩- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٠- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠١- حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٢- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، شأن الدعاء، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الأولى، ط، الأولى، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ -

١٩٨٤م-ط الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٠٣- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ميزان الاعتدال، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٢٠٤- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢٠٥- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣ م.
٢٠٦- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، العرش، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٠٧- الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ÖZGEÇMİŞ

KİŞİSEL BİLGİLER

Adı Soyadı	**MOHAMMED SEDEEQ MOHAMMED**
Doğum Yeri	**ŞEKLAWE-ERBİL- KÜRDISTAN -IRAK**
Doğum Tarihi	**70.04.1988**

LİSANS EĞİTİM BİLGİLERİ

Üniversite	**SALAHADDIN ÜNİVERSİTESİ**
Fakülte	**ILAHIYAT FAKÜLTESİ**
Bölüm	**TEMEL ISLAM BILIMLERI**

YABANCI DİL BİLGİSİ

İngilizce	**KPDS (…..) ÜDS (….) TOEFL (….) EILTS (….)**
…	

İŞ DENEYİMİ

Çalıştığı Kurum	**Vakıflar Bakanlığı**
Görevi/Pozisyonu	**İmam Hatip**
Tecrübe Süresi	**Altı sene**

KATILDIĞI

Kurslar	
Projeler	

İLETİŞİM

Adres	**Erbil/IRAK- T: +9647721212880**
E-mail	**sayamohammed2014@gmail.com**

السيرة الذاتية

الاسم: محمد صديق محمد.

مكان الولادة: شقلاوة / أربيل.

الجنسية: العراقية.

الديـــــــــانة: مسلم.

تاريخ الميلاد: ١٩٨٨/٤/٧.

البريد الالكتروني sayamohammed2014@gmail.com.

الرقم الهاتف:(٠٠٩٦٤٧٧٢١٢١٢٨٨٠).

التحصيل العلمي: حصلت على شهادة البكالوريوس في قسم أصول الدين/ جامعة صلاح الدين/ أربيل/ كردستان العراق، وعلى شهادة الدراسات العليا في الجمهورية التركية/ جامعة/ بنغول.

الحالة الاجتماعية: متزوج.

عدد الأولاد: ولي ابنتين الحبيبتين، هما: تسنيم- و- سايه.

الدورات العلمية: دورة في فن الخطابة والتنمية فقط.

اللغات: العربية، والتركية قليلة.

الهوايات: تنطوي الهواية على قدرات الشخصية، لأن الهوايات التي وهبها الله- عزّ وجل- للإنسان، فتختلف الهوايات من شخصٍ لآخر، إلا أنّ هذه الهوايات تحتاج إلى متابعة وتطوير للوصول إلى ما يسير إليه، ويكتشف الأهل عادة وغالبا عند الأول والصغر.

والهوايات التي أريد أن أمارسها، وأهتم بها، هي: كسب العلم، وقراءة الكتب، وخدمة الناس.

(وكل منا يقر بأن الله وحده هو ولي التوفيق، والقادر عليه)